مِنبر الإسلام

العدد ١٠ – السنة ٢٠ – شوال ١٣٨٢ – مارس ١٩٦٣

الثمن ٥ قروش

[illegible]

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية
يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
في غرة كل شهر عربي

رئيس التحرير محمد توفيق عويضة

شوال ١٣٨٢
مارس ١٩٦٣
العدد ١٠ - السنة ٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

- معالم الطريق
- زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة
- نؤمن برباط روحى وثيق يشدنا الى العالم الاسلامى السيد حسين الشافعى
- من أحكام العيد فى الاسلام ـ فضيلة شيخ الجامع الازهر محمود شلتوت
- حديث مع سفير ليبيا
- منهج الاسلام فى تكوين الفرد ـ فضيلة الشيخ أحمد هريدى
- لا تضيقوا عليهن ـ لأستاذ الجيل أحمد لطفى السيد
- حاجة المجتمع الى الدين ـ فضيلة الشيخ محمد أحمد فرج السنهورى
- عوامل النجاح فى الحياة ـ فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
- نحو الأخلاق ـ فضيلة الشيخ عبد المطيف السبكى
- جمال الدين الافغانى ـ الدكتور عثمان امين
- الانفاق والتصدق الاستاذة مفيدة عبد الرحمن
- تحقيق عن العيد بقلم نخبة من كبار الكتاب ـ مصور
- تحقيق عن مؤتمر ذكرى لومومبا ـ مصور
- تحقيق مصور عن مؤتمر تأييد ثورة العراق
- المرأة فى المجتمع الاشتراكى ـ الدكتورة سهير القلماوى

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة من البلاد الاخرى

*

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الامير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

الحمد لله

الرئيس جمال عبد الناصر
يحيى الجماهير المحتشدة
فى عيد الوحدة

• ليست هناك ثورة موالية لعبد الناصر ولكن عبد الناصر هو الموالى لكل ثورة عربية .

• وحدة الصف بدون وحدة هدف لا يمكن أن تقيم أى نوع من أنواع الوحدة الحقيقية .

• تحطمت حملات الشتائم والإتهامات أمام ضمير الأمة العربية .

• العام الذى تصوره أعداؤنا عام النكسة .. أصبح عام الإنتصارات المتوالية .

نص الخطاب الذى ألقاه السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى مسار الخميس ٢٧ من رمضان سنة ١٣٨٢ - الموافق ٢٢ فبراير سنة ١٩٦٣ بميدان الجمهورية إحتفالاً بعيد الوحدة . وقد حضر الحفل أكثر من نصف مليون مواطن من أفراد الشعب العربى .

أيها الاخوة المواطنون :

الحمد لله .. الحمد لله .. مرة أخرى أقف أمامكم لاتكلم هذا العام فلا أجد ما أبدأ به غير أن أقول من قلبى .. الحمد لله .. لقد كررتها خلال العام الماضى منذ وقفت معكم هنا فى احتفال العام الماضى بعيد الوحدة .

ان الله جلت قدرته أراد أن يكرم كفاح الامة العربية ونضالها ويكافىء صبرها وايمانها فأعطاها فى نفس العام الذى تصوره أعداؤها عام النكسة . أعطاها من الانتصارات المحققة ما يجعلها تحمده وتشكره وتذكره فضلا وعرفانا فى كل يوم من أيامها أن أعانها على التجربة ومكن تصميمها أن ينتزع أهدافه الغالية فى مواجهة تحديات كان يبدو من المستحيل التغلب عليها .

الحمد لله .. الحمد لله

الحمد لله الذى أعطانا ما نحمده عليه كل يوم من أيامنا فى عام تصوره لامتنا أصعب الاعوام .. أراده أعداء هذه الأمة العربية عام تراجع وهزائم .. عام تراجع الى الوراء البعيد .. وأرادت الأمة العربية وساندتها ارادة الله عام تقدم متواصل وعام أمل عريض .

الحمد لله أقولها أمامكم اليوم وفكرى وقلبى يتجه الى النصر العظيم الذى حققه النضال العربى لشعب العراق العظيم . وثورته الباسلة ليضيف بعد العزلة التى فرضت عليه قوته الى أمته العربية الكبيرة التى هى أحوج ما تكون الى جهده والى عمله والى مشاركته فى صنع آمال مستقبلها الكبير .

الحمد لله ونحن اليوم نحتفل بعيد الوحدة

بعد عام ونصف من نكسة الانفصال أن نرى بيننا هنا أحرار العراق يشاركوننا هذا الاحتفال .

أيها الاخوة منذ عام مضى احتفلنا بعيد الوحدة وكان الاعداء يعتقدون أن فكرة الوحدة العربية قد انتكست وفى طريقها الى الزوال .. واليوم حينما نقول الحمد لله . نقولها لأننا نشعر .. نشعر بقوتنا .. ونشعر بأن كفاح أمتنا قد انتصر .. نشعر أن الشعب العربى فى جميع انحائه وفى جميع أرجائه آلى على نفسه أن يحقق الاهداف الكبرى .. وآلى على نفسه أن يحقق الامال آلى على نفسه أن يتصدى للانعزالية . ان يتصدى للرجعية وأن يتصدى لاعداء الأمة العربية . أن يتصدى للاستعمار وأن يتصدى لأعوان الاستعمار . أن يتصدى لكل أعداء الأمة العربية .. آلى على نفسه أن يبذل الغالى والرخيص .. أن يبذل الأرواح والدماء .. ان يبذل كل ما يملك . فى سبيل آمال الآباء وآمال الأجداد آلى على نفسه ان يقاتل .. وقد قاتل شعب العراق يوم ١٤ رمضان خرجوا جميعا يقاتلون من أجل أهداف شعب العراق ومن أجل حرية شعب العراق .. ومن أجل أهدافكم أنتم وأهداف الأمة العربية كلها من أجل أهدافها فى الوحدة . من أجل أهدافها فى العدالة الاجتماعية .. من أجل أهدافها فى أن تتحق الامانى والآمال التى كافحت الأمة من أجلها زمنا طويلا .

معكم قلبا وقالبا

واليوم أيها الاخوة . لقد استمعنا الى خطاب الأخ على صالح السعدى الذى عبر فيه عن آمال شعب العراق وعن مشاعر شعب العراق .. وعن التقاء بغداد مع القاهرة .. مع الدول العربية المتحررة ..

اننا اليوم استمعنا الى هذا الكلام ... واستمعنا الى هذا الخطاب بقلب مفتوح استمعنا اليه .. ونحمد الله الذى أعطانا الفرصة حتى نستمع الى هذا القول فى هذا اليوم .. يوم عيد الوحدة . حتى نستمع الى هذا القول الذى يمثل قلب العراق الصافى . الذى يمثل روح العراق الصافى فى يوم من أعز أيامنا .. وفى يوم من أخلد أيامنا .. يوم الوحدة التى قامت بين مصر وسورية سنة ١٩٥٨، يوم الوحدة التى عبرت عن ارادة الأمة العربية .. يوم الوحدة التى عبرت عن ارادة الشعب العربى .. اننا نستمع الى هذا القول بقلب مفتوح .. اننا نستمع اليه ونقول .. نقول لهؤلاء الاخوة الذين يحتفلون معنا اليوم بهذه المناسبة .. قولوا لشعب العراق .. أن شعب الجمهورية العربية المتحدة معكم قلبا وقالبا .. ان شعب الجمهورية العربية يوم ١٤ رمضان كان يتتبع أخبار الثورة من العراق .. كان يتتبعها ويده على قلبه .. كان كل فرد من أبناء هذه الأمة معكم فى المعركة وحتى انتهى اليوم وحتى بانت نتائج المعركة كنا جميعا نحمد الله أن انتصرت ثورتكم فى العراق .. بل انتصرت ثورتنا فى العراق .. لانها ثورة الأمة العربية كلها .. ثورة الأحرار فى كل مكان ..

اننا أيها الأخوة نمد اليكم يدنا .. وهذا هو الأمر الطبيعى لقد فرق الاستعمار بيننا .. فرق بين الأخ وأخيه فرق بين شعب العراق وشعب مصر ولكن هل استطاعت بذور التفرقة التى بذرها الاستعمار أن تنبت أبدا انها انبتت شجرة هزيلة قامت ثورة ١٤ رمضان فقضت عليها فى جذورها أنها أنبتت السراب الذى ملأ الاستعمار بالأمل فى ضرب الأمة العربية .. السراب الذى ملأ قلب الرجعية بالأمل فى تفتيت الأمة العربية ولكنا نقول ان الاستعمار الذى ظن أن الأمة العربية قد تفتتت وان وحدتها قد تفككت سيشعر دائما ان الأمة العربية قد توحدت وليست الوحدة أيها الاخوة المواطنون هى الوحدة الدستورية ولكن الوحدة هى وحدة الهدف واليوم هناك وحدة الهدف تجمع ثورة بغداد وثورة القاهرة وتجمع الأحرار فى كل مكان من أرجاء الأمة العربية .

نقول لكم أيها الاخوة . قولوا لشعب العراق اننا معكم .. ولسنا بحاجة الى ورقة مكتوبة لنثبت اننا معكم . اننا معكم بدمائنا . اننا معكم بقلوبنا اننا معكم بارواحنا . اننا معكم ولن نمكن الاستعمار ولن نمكن الرجعية ولن نمكن الصهيونية ولن نمكن أعداء الأمة العربية من أن يفرقوا بيننا أبدا .

قولوا هذا لشعب العراق واحملوا له من شعب الجمهورية العربية المتحدة القلب الصافى .. والفكر المفتوح . والاخلاص . ومعاهدة الله على الفداء فى سبيل قضايا

الأمة العربية كلها . وفي سبيل تحرير الأمة العربية كلها .

قولوا ايها الاخوة قولوا للمجلس الوطني لقيادة الثورة اننا هنا في الجمهورية العربية المتحدة آلينا على انفسنا أن نتكاتف معكم حتى نثبت الأهداف وحتى نثبت الآمال وحتى نمكن الأرض الراسخة من أن تساعدنا على أن نحقق كل أهدافنا وحتى نحقق الوحدة العربية لنكون أمة عربية واحدة قضت على ما أراده الاستعمار لها من التفرقة ومن التفتت أمة عربية واحدة تقضى على الحدود المصطنعة . أمة عربية واحدة في وجه الاستعمار . وفي وجه الصهيونية وفي وجه الرجعية وفي وجه أعداء أماني الأمة العربية . أمة عربية واحدة تشعر بالقوة . تشعر بالعزة . تشعر بالكرامة ولكي نحقق هذا لابد أن يكون الهدف واحدا . والهدف أيها الأخوة المواطنون بيننا اليوم هنا في القاهرة . وهناك في بغداد . هدف واحد لأنه هدف الأحرار .

ايها الاخوة المواطنون . اننى في هذه المناسبة التى نجتمع فيها مع أحرار العراق نحملهم الى شعب العراق كل تحية وكل تقدير وكل اخاء . ونحملهم الى المجلس الوطني لقيادة الثورة في العراق كل تأييد وكل تقدير ونحملهم الى الرئيس عبد السلام عارف رئيس جمهورية العراق كل محبة وكل اخاء ونقول لهم اننا نحمد الله معكم أن خطط الاستعمار في التفرقة بيننا قد فشلت وقد هزمت وخطط الاعداء في التفرقة بين صفوفنا . قد انتهت وقضى عليها .

عبد الناصر هو الموالى لكل ثورة

واليوم نحن ايها الأخوة شعب واحد وأمل واحد وهدف واحد . سنجاهد كتلة واحدة . سنجاهد من اجل تحقيق الأهداف ولن يتمكن الاستعمار ولا الأعداء من أن يبثوا بيننا بأى حال من الأحوال أى نوع من أنواع التفرقة . لقد بدأت هذه الدسائس من أول يوم من أيام ثورة العراق . قالوا ان ثورة العراق ناصرية وأن ثورة العراق موالية لعبد الناصر وأرادوا بهذا أن يثيروا عوامل الدس وأن يثيروا عوامل الفتنة . ردى على هذا رد بسيط ليست هناك ثورة موالية لعبد الناصر ولكن الحقيقة أن عبد الناصر الذى يمثل امانى هذه الجمهورية هو الموالى لكل ثورة يقوم بها الاحرار في كل مكان .

بذلتم الغالى والرخيص

ايها الاخوة المواطنون . قبل شهر واحد كنت في اسوان في زيارة للسد العالى . وقلت الحمد لله الذى مكن الكفاح العربى من أجل بناء السد العالى أن ينتصر . وقلت لكم انكم قاتلتم فحاربتم سنة ٥٦ وبذلتم الغالى والرخيص من أجل حريتكم ومن أجل استقلالكم ومن أجل أن تعلوا ارادتكم . قلت لكم ان السد العالى يرتفع . ارتفع حجرا فوق حجر ليثبت ان ارادتكم قد انتصرت وان الدماء التى ضحيناها حققت الهدف . قلت هذا . وقلت الحمد لله في شهر ديسمبر ونحن نحتفل بعيد النصر في بورسعيد . قلت الحمد لله وكان فكرى وأنا أقول الحمد لله يتجه الى ثورة اليمن التى جاءت كما تجىء المفجرات التى فجرت في جزء من الوطن العربى طاقات للنور حيث كان الظلام كثيفا وفتحت امام شعب من شعوب الأمة العربية منفذا الى الحياة ليشارك مع أمته العربية وليتحمل المسئوليات .

وفي ظروف ثورة اليمن وما أحاط بها وقفت في كل مرة وليس على لسانى غير كلمة الحمد لله .

ثورة اليمن التى قامت لتقضى على قلاع الرجعية تقضى على قلاع الطغيان . ثورة اليمن التى قامت وهى تعلم . كان الأحرار في اليمن على ثقة من أن الاستعمار سيتصدى لهم . وأن الرجعية ستتصدى لهم . ولكنهم لم يفكروا في هذا بل أرادوا ان يثبتوا للامة العربية أن النكسة التى حاقت بها نتيجة للانفصال لن تؤثر على روحها ولن تؤثر على معنوياتها ولكن الشعب العربى سيسير ليحقق الأهداف . سيسير في طريق الثورة . في طريق النضال وقامت القوات المسلحة في اليمن وقام الشعب العربى في اليمن . وقام الرئيس السلال بقيادة هذه الثورة . وفي رأيى انهم قاموا ليضحوا . ليضحوا بأرواحهم . قاموا ليضحوا بدمائهم كانوا على ثقة من أن الملك سعود لن يسكت عنهم . كانوا على ثقة من أن الاستعمار والانجليز لن يسكتوا عنهم ولكنهم رغم هذا لم يتوانوا ولم يترددوا بل صمموا على أن يقضوا على النظام الاقطاعى .

أيها المواطنون ..

الحمد لله الذى ثبت أقدام شعوبنا فى وجه الرجعية وتحالفها مع الاستعمار حتى حيث كان يبدو للمتشككين أن لا أمل .

أيها الاخوة بعد سنة من الانفصال أو بعد الانفصال كانت الجرائد الأجنبية بتكتب وبتقول لا .. شعار الوحدة العربية انتهى .. لا أمل فى الالتقاء العربى شعار الاشتراكية انتهى . لا أمل للاشتراكية فى العالم العربى . الرجعية استطاعت أن تنتصر . رغم هذا استطاعت الشعوب العربية المؤمنة البطلة أن تنظم صفوفها وتناضل فى كل مكان . فى بغداد . فى دمشق . فى مكة . فى صنعاء . فى القاهرة . فى الجزائر . فى كل مكان ضد الاستعمار وضد الرجعية . فاليوم أيها الاخوة ونحن نجتمع بعد عام ونصف من النكسة ومن الانفصال نحمد الله الذى ثبت أقدام شعوبنا فى وجه الرجعية المتحالفة مع الاستعمار .

نذكر بكل فخر واعتزاز

أيها الاخوة ..

اننا كلنا نذكر كيف حول شباب من طيارى السعودية الأحرار طائراتهم المحملة بالسلاح المعد لضرب ثورة اليمن . كيف حولوا هذه الطائرات الى القاهرة ليكشفوا مؤامرات الرجعية والاستعمار ضد حق شعوب أمتنا العربية فى الثورة .

كلنا نذكر أيها الاخوة بفخر واعتزاز كيف جاء قائد سلاح الجو الاردنى سهيل حمزة الى القاهرة وكيف أن ضميره الحى . كيف أن ضميره الحى رفض أن ينفذ . رفض ان ينفذ مخططات الاستعمار والرجعية وهذا الضمير الحى أيها الاخوة بالنسبة لنا هو ضمير كل شباب أمتنا العربية ..

ثم جاء بعد هذا من رفاقه اثنين من الطيارين كان هذا لنا رمز لتصميم شعب بأسره أن لا يسكت ولا ينام على الغدر وعلى الظلم . تصميم شعب بأسره أراد ان يعلن للعالم أجمع أنه يتعاون وأنه يناضل من أجل نفس الأهداف التى تناضل من أجلها فى كل بقعة من أرجاء الأمة العربية .

أصبحوا وحدهم الخائفين

أيها الاخوة ..

كلنا نذكر كيف انتقل مئات من الضباط والجنود من جيش السعودية من الجانب المضاد لثورة اليمن الى جانب الثورة نفسها وضد اعدائها وهم يؤكدون للدنيا أن جيوش الأمة العربية ليست جيوش الحكام دائما وانما هم لأمتهم وانما هم جنود نضالها وليسوا حربا عليها . مهما كانت المغريات .

أيها الاخوة ..

ان الذين أرادوا توجيه جيوشهم ضد شعوبهم أصبحوا هم وحدهم الخائفين الى درجة تدفعهم الى الهرب من بلادهم وراء أسوار المستشفيات التى حولوها من دور للعلاج الى مراقص للجوارى .

أيها الاخوة ..

من الذى كان يتصور ان حكم أسرة الامام سينتهى وأن حكم سعود سيجد نفسه برغم القوة الأجنبية التى تسنده وتحميه ليلا وان العرش الذى أقامه تشرشل فى الأردن سوف يجد شعبا فى الأردن يدفع الابطال من أبنائه الى تحديه علنا برغم اعتماده المطلق على مساندة الاستعمار له وعلى تدعيم اسرائيل له .

أيها الاخوة ..

اننا حينما نستعرض هذا كله نحمد الله الذى أعاد لنا الثقة فى نفوسنا والذى أعاد لنا الثقة فى أمتنا والذى أعاد لنا الثقة بأن أعطانا المثل أن كفاح الأمة العربية كفاح واحد وأن ضمير الشباب العربى فى كل بلد عربى هو الضمير الحر . هو الضمير الحى . وأن الشباب العربى على استعداد دائما لان يضحى يضحى بنفسه وبروحه ودمه فى سبيل الاهداف العليا وفى سبيل المبادىء الكبار .

كان الله معنا دائما

أيها الاخوة المواطنون ..

الحمد لله لان ثورة الجزائر قد انتصرت . ان ثورة الجزائر بالنسبة لنا نصر عظيم . لقد كان الاستعمار .. كان يريد الجزائر أن تكون فرنسية . كانوا يقولون الجزائر فرنسية . وكنا ندعو الله كل يوم أن نرى الجزائر عربية .

واليوم ونحن نحتفل بعيد الوحدة .. اكبر عيد للامة العربية لأنه العيد الذى طبقت فيه عمليا الوحدة العربية التى تعبر عن آمال الشعب العربى .

نحمد الله ان ثورة الجزائر قد انتصرت وأن الجزائر اليوم عربية وقد ضاع شعار « الجزائر فرنسية » ورفع علم الجزائر العربية . علم الأحرار فى الجزائر .

اننا أيها الاخوة ونحن نستعرض هذا .. هذه الاحداث التى حصلت فى العام الماضى .. نشعر أن الله كان معنا دائما وليس لنا ما نقول الا الحمد لله الذى أعاننا والذى نصرنا على هذه القوى الطاغية التى تصدت لنا والتى تصدت لأمتنا فى كل جزء من أجزائها وفى كل وطن من أوطانها .

أروع مناقشة في تاريخنا

أيها الأخوة ..

فى هذا العام ونحن نحتفل بالعيد الخامس للوحدة بعد عام ونصف من نكسة الانفصال .. نقول الحمد لله أيضا الحمد لله لأننا تحت أنقاض الرجعية وتحت ضغط الاستعمار وفى مواجهة عناصر الانتهازيين والمرتدين تمكنا من أن يتبلور نضالنا الوطنى فى ميثاق للعمل الوطنى أقره مؤتمر منتخب يمثل قوى الشعب العاملة . اننا استطعنا أن نواجه المد الرجعي الاستعمارى .. استطعنا أن نواجه الرجعية واستطعنا أن نواجه الاستعمار المتعاون مع الرجعية فى جميع أجزاء أمتنا العربية وأطلقنا الشعارات التقدمية وأعطينا بعملنا مدلولا حقيقيا لمجالات العمل ومجالات الفكر حينما ناقشنا الميثاق وحينما اجتمعنا فى لجنة تحضيرية قبل الميثاق . شاهدنا هنا فى مصر أروع وأعمق مناقشة حرة جرت فى تاريخنا من أجل تحديد معالم الطريق وكان الشعب كله يتتبع هذه المناقشة . يشترك فى هذه المناقشة وكانت النتيجة ميثاق العمل الوطنى الذى اتخذناه دليلا للعمل فى كل قضايانا .

شفت الشعب هنا بيبكي ..

أيها الاخوة ..

بعد خمس سنين من الوحدة وبعد سنة ونصف من الانفصال لم نيأس لأن المد الرجعى المتعاون مع الاستعمار لم يستطع أبدا أن يثبت أقدامه فى أى مكان فى الأمة العربية وحينما حلت النكسة قام الانفصال رأيتكم هنا فى القاهرة .. الصبح لما رحت الاذاعة شفت الشعب هنا فى القاهرة وأنا خارج من الاذاعة .. شفت الناس بتبكى — شفت الناس منفعلة .. كنت على ثقة فى هذا الوقت أن هذا الشعور الذى لمسته من أبناء الجمهورية العربية المتحدة فى القاهرة هو شعور كل عربى حر فى جميع أرجاء الأمة العربية .. كنت على ثقة أن هذا الشعور هو شعور الشعب السورى الحر فى سوريا . لاننى كنت أعرف الشعب السورى الذى كان دائما يرفع علم الوحدة وحينما كنت أقول فى سوريا أن دمشق قلب العروبة النابض كنت أعنى ما أقول لأننى كنت ألمس هذا من قلب كل فرد من أبناء دمشق وأبناء سوريا .

حصلت النكسة من سنة ونصف والحقيقة تجربة الوحدة كانت تجربة تعتبر نصرا للامة العربية رغم النكسة ورغم الانفصال .

كلنا نعرف كيف أراد الاستعمار دائما أن يفصل شعب مصر عن شعب العروبة . كيف أراد الاستعمار دائما زى ما قال الأخ على صالح أن يقيم العداوة ويقيم المخاوف . يقيم العداوة بين دمشق وبغداد أو بين بغداد والقاهرة ويقسم ، كلنا نعرف أن الاستعمار بعد الحرب العالمية الأولى رفع الشعارات .. شعارات هنا فى مصر أن مصر مالهاش دعوة بالعرب .

كلنا نعرف والكلام ده اتقال فى الميثاق ان بعد ثورة ١٩ لم تتجه الأنظار عبر سيناء الى الشرق العربى ولكن كانت هناك دعوات ثم جاءت حرب فلسطين واستجاب الشعب المصرى الى داعى الواجب ولم تتمكن كل دعايات الاستعمار أن تنسيه عروبته فهب ليؤدى الواجب ثم كانت نكسة فلسطين فى سنة ٤٨ و ٤٩ .. وبعد هذا بدأت النغمة القديمة . النغمة القديمة الانعزالية . النغمة القديمة التى خطط لها الاستعمار النغمة القديمة التى خططت لها الصهيونية وأخذوا من نكسة فلسطين أسباب الانعزال . وأخذوا من نكسة فلسطين دوافع لاقناع الشعب العربى فى مصر بأنه من الأفضل له أن لا يدخل فى مشاكل العرب الأخرى وكانت هذه هى ارادة الاستعمار وارادة الصهيونية .

ولكن حينما تحررنا . حينما قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ٥٢ معبرة عن ارادة هذا الشعب وعن آمال هذا الشعب ظهرت حقيقة هذا الشعب . الحقيقة الطبيعية الحقيقة البسيطة . احنا شعب طيب . احنا شعب بسيط . احنا شعب لا يمكن لافكار الاستعمار ولا يمكن لشعارات الاستعمار مهما حاول ومهما أخذ من الزمن فى محاولة تركيزها فى عقولنا وفى نفوسنا احنا شعب لا يمكن أن نتأثر بهذا ..

كان الطريق مفتوح لنؤكد عروبتنا

بمجرد ما اتحررنا . بمجرد أن قامت ثورة ٢٣ يوليو وقضت على الاستعمار الخارجى وعلى الاستغلال الداخلى وقضت على الاحتلال البريطانى . على طول بالطبيعة أظهر الشعب شعوره بالطبيعة أظهر الشعب روحه بالطبيعة أظهر الشعب أنه جزء من الأمة العربية وأنه يسعى الى الوحدة العربية وأنه يشعر من صميم قلبه أن لابد له من أن يلتقى مع أخوته العرب فى جميع أنحاء الأمة العربية وكان هذا واضح كل الوضوح . لأن الشعب هنا فى مصر كان يتفاعل فى الحال وبطريقة سريعة مع كل قضية عربية . وكان يشعر أن مايصيب أى وطنى عربى يصيبه . وأن ما يسر أى وطنى عربى يسره . وبهذا أيها الاخوة كان أمامنا الطريق مفتوح حتى نؤكد عروبتنا وحتى نتحد . وحتى نلتقى . وحتى نحقق الاهداف التى رفعناها دائما . رفعناها . رغم محاولات الاستعمار ورغم محاولات الرجعية . ورغم محاولات الصهيونية . كنا دائما فى سنة ١٩٣٠ وفى سنة ١٩٤٥ وفى سنة ١٩٣٥ كنا نرفع شعارات الوحدة العربية لم تكن الوحدة العربية أبدا بالنسبة لنا فى هذه الأيام مدلولها بأى حال من الأحوال الوحدة الدستورية . الوحدة المكتوبة على الورق ولكن كانت الوحدة العربية التى تعنى أننا جميعا نلاقى الاعداء واننا جميعا نلتقى فى كل المناسبات اننا جميعا فى وجه أعدائنا . وانـنا جميعا نحتفل بانتصاراتنا . الانتصار فى العراق هو انتصار لدمشق والقاهرة والانتصار للقاهرة هو انتصار لدمشق والعراق وباقى أجزاء الوطن العربى . هذا هو ما كنا نشعر به ونحن نرفع شعار الوحدة العربية . ماكناش أبدا بأى حال من الأحوال بننظر الى الوحدة العربية بالتعقيدات اللى بينظر اليها السياسيين وبالكتابات والورق والاتفاقيات . وكان فعلا هناك وحدة عربية .

لما الفرنسيين ضربوا دمشق ثارت القاهرة ولما الاستعمار أعتدى علينا فى سنة ١٩٥٦ ثارت دمشق وثارت بغداد فى وجه نورى السعيد . وخرجت مظاهرات فى بغداد فى أيام نورى السعيدى . دى الوحدة العربية الحقيقية . دى الوحدة المنزهة عن الهوى الوحدة المنزهة عن الغرض . الوحدة التى تنبع من الشعب الحر الابى المناضل الذى يظهر للعالم أجمع أنه على استعداد دائما لأن يناضل بروحه ولأن يناضل بدمه فى سبيل تحقيق أهدافه وفى سبيل تحقيق آماله . دا كان موقفنا بعد الثورة حينما واجهنا فى سنة ٥٨ حينما واجهنا البحث من أجل الوحدة العربية .

الشعب فرض الوحدة فرضا

وانا كنت فى هذا الوقت أشعر ان التجربة قد تكون تجربة متسرعة وكلكم عارفين اللى أنا قلته فى سنة ٥٨ أنا قلت فى سنة ٥٨ أننا نحن فى حاجة الى خمس سنوات حتى نرسى الوحدة على مراحل وبهذا نرسى هذه الوحدة على أساس علمى وعلى أساس سليم . ولكن الشعب العربى فى مصر والشعب العربى فى سوريا فرض الوحدة فرضا . فى هذا الوقت الشعب العربى . وفى رأيى ان هذا الفرض لم يكن بأى حال بطريقة عاطفية . يمكن احنا ممكن نحللها انها طريقة عاطفية . أبدا بالنسبة للشعب مكنتش العملية طريقة عاطفية بالنسبة للشعب العملية كانت طريقة ايمان . وكانت طريقة نضال وكانت هناك فرصة لوضع الآمال الكبرى فى الوحدة العربية موضع التنفيذ . وكان علينا احنا المسئولين واجب ان ننفذ ارادة هذا الشعب .

العاطفية مطلوبة .. عاطفية الشعب مطلوبة لأن الشعب حينما ينفعل وحينما يتفاعل مع أهدافه ومع روحه يمثل القوة الكبرى للوحدة ويمثل الوحدة الكبرى للأمة العربية ونضالها وكلنا خدعنا . خدعنا بعد الوحدة ليه .. هو الحقيقة كان فيه ثورة هنا فى مصر وبعد كده كان فيه ثورة فى العراق فى ١٤ يوليو ماكنش فيه ثورة أبدا فى دمشق ولا فى سوريا وانا كنت فى هذه الأيام أشعر بنوع من العجز ونوع من التناقض كان فيه تناقض كبير بين المصالح .

حينما أراد السياسيون الوحدة كل واحد أراد الوحدة ليحقق هدفه . الشعب ما كنش عايز كده .. السياسيين كل واحد كان عايز يحقق هدفه السياسى الشعب كان عايز يحقق أمله فى الوحدة .. أمله فى الحرية أمله فى الاشتراكية كان بده يضع شعاره موضع التنفيذ .

الشعب كان منزه عن الهوى الشعب كان

منزه عن الفرض الشعب كان على استعداد ان يقاتل ويناضل دائما من أجل وضع الوحدة موضع التنفيذ ولكن التناقض الاجتماعى ودكتاتورية رأس المال ودكتاتورية الاقطاع التى كانت تتحكم فى هذه الأيام هناك فى سوريا .. التى كانت لها قوى قبل الوحدة استمرت بعد سنة ٥٦ واستطاعت هذه القوى أن تنافس .

قلت بعد الانفصال اننا أخطأنا

وأنا قلت بعد الانفصال ان احنا غلطنا .. غلطنا لأن احنا أمنا بالقوى المعادية بالطبيعة للثورة ولكنها نافقت وخدعت فآمنا أو اطمأنينا لهذا النفاق .

آمنا لاننا تعاونا مع الرجعية وتعاونا مع الانتهازية وكانت الرجعية التى تنافق والانتهازية التى تنافق تعمل من أجل ضرب الوحدة حتى تحفظ لنفسها استغلالها وديكتاتورية رأس المال وسيطرة الاقطاع . الطعنة التى وجهت الينا وجهت الى الوحدة .. وجهت الى شعب الجمهورية العربية المتحدة كانت الطعنة التى تحالف عليها أعداء الحرية وأعداء الاشتراكية وأعداء الوحدة .. كانت الطعنة التى تحالف فيها ديكتاتورية الاقطاع وديكتاتورية رأس المال . وأخذنا الدرس من هذا الوقت وأعلنا هنا فى مصر فى الميثاق أن تحالف الاقطاع مع رأس المال يجب أن يسقط ويجب أن يقوم تحالف لقوى الشعب العاملة يجمع هذا التحالف قوى العمال والفلاحين والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية . مش الرأسمالية المستغلة وأخذنا الدرس من النكسة وأخذنا الدرس من الانفصال .. ولكن هل الشعب السورى الذى آمن بالوحدة والذى آمن بأن النضال هو الوحدة استكان النهارده بعد سنة ونصف حينما ننظر الى ما يجرى فى سوريا نشعر ان الشعب السورى رفع صوته من أول يوم من أيام النكسة .

من أول يوم من أيام النكسة فيه ناس خرجوا . خرجوا بأجسامهم علشان يواجهوا رصاص الانفصال . خرجوا بأجسامهم علشان يفدوا الوحدة والجمهورية بدمائهم . ويفدوا الوحدة والجمهورية بأرواحهم . خرجوا وقتل من قتل فى حلب وقتل من قتل فى حمص ولكنا نعرف أن الشعب لم يسلم ولم يستسلم ولكنه آلى على نفسه أن يكافح وأن يناضل وفى نفس الوقت أيها الاخوة أحنا هنا لم نكفر . ماكفرناش ابدا بالشتايم اللى اتشتمناها ماكفرناش بعد الاتهامات اللى وجهت الينا ولكنا آلينا أن نكافح ونناضل من أجل الاهداف التى أعلناها فى الحرية والاشتراكية والوحدة وأعلنا اننا لم نكفر بالوحدة أبدا .

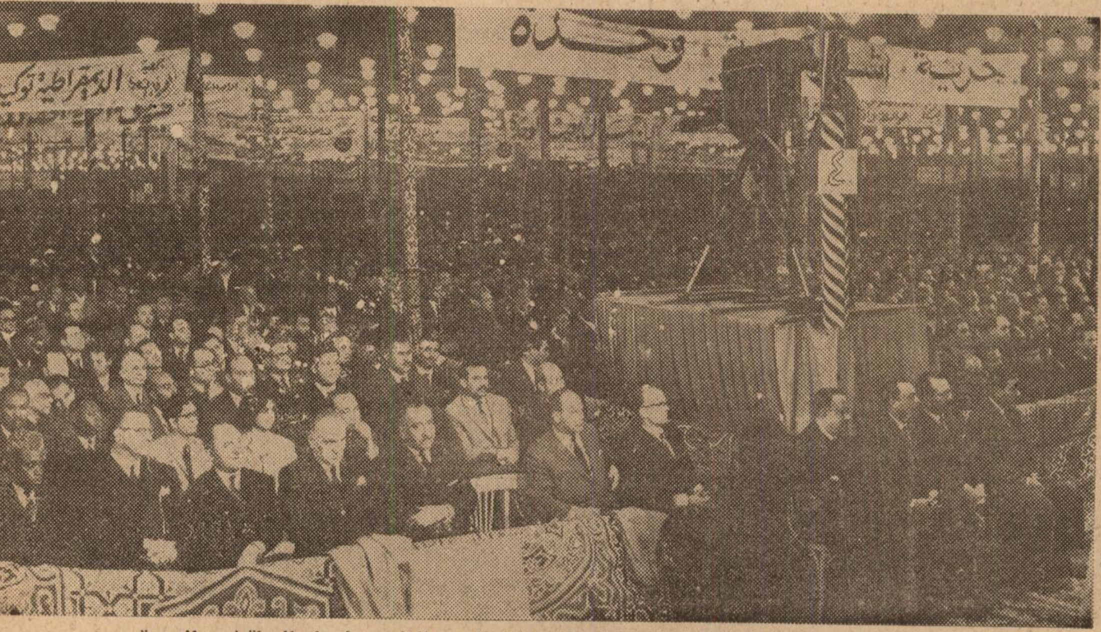

الالوف من أبناء الشعب فى استقبال السيد الرئيس وأحرار العراق فى عيد الوحدة

الشعب السورى رفع صوته والشعب المصرى زاد ايمانه بعروبته وزاد ايمانه بأن يعمل دائما من أجل الوحدة العربية .

زاد ايماننا بالوحدة

أيها الاخوة المواطنون .. نحمد الله النهارده بعد سنة ونصف من الانفصال واحنا بنحتفل بعيد الوحدة ان احنا ماكفرناش بل زادايماننا بالوحدة العربية .. نحمد الله ان احنا شفنا الشعب السورى الباسل وهو يناضل من أجل مبادئه وأهدافه . ناضل من أول يوم . رفع صوته من أول يوم وبعد هذا رفع صوته يوم ٢٨ مارس . بعد ٢٨ مارس رفع صوته وكان صوته يصل الينا دائما .

الشعب السورى لم ترهبه السجون لم يرهبه الرصاص . الشعب السورى كشف الخديعة من أول يوم الجيش السورى كشف الخديعة أيضا من أول يوم .. الخديعة اللى أرادت أن تضلله . الخديعة اللى استخدمت كل الاسلحة . استخدمت الانتهازيين واستخدمت المرتدين واستخدمت كل شيء هذه الخديعة هل صدقها الشعب .. لم يصدقها الشعب السورى .

فى يوم ٢٨ مارس ارتفع من سوريا أقوى الأصوات وأعلاها . ارتفع صوت الجيش السورى ارتفع يقول كل ما كنا نقوله . بعد مؤامرة الانفصال الجيش السورى يوم ٢٧ مارس عمل بيان فى العام الماضى . العام الماضى احنا اجتمعنا هنا فى فبراير . كان مر ٦ أشهر أو سبع أشهر على الانفصال وعلى النكسة ورغم هذا أعلنا للعالم اجمع ان احنا لم نيأس ولم نتخل عن أهدافنا ولكنا سنناضل فى سبيل تحقيق هذه الأهداف .

كانت اذاعات الانفصاليين الرجعية توجه الينا الاتهامات وكنا احنا بنقولهم ان التحالف الرجعى الانفصالى قام ليقضى على مكاسب الفلاحين . يقضى على مكاسب العمال ليخضع سوريا مرة أخرى لدكتاتورية الاقطاع وديكتاتورية رأس المال يخضع سوريا مرة أخرى للاستغلال . يخضع سوريا مرة أخرى لتحكم فئة قليلة من الرأسماليين والاقطاعيين وكان من الواضح طبعا بعد الانفصال ان الرأسمالية والاقطاع حققوا أهدافهم . تحالف جميع أعداء الوحدة . جميع أعداء العدالة الاجتماعية . قضوا على مكاسب الشعب فى ملكية وسائل الانتاج . قضوا على مكاسب العمال . وقضوا على مكاسب الفلاحين وارادوا انهم يخدعوا الشعب بأنهم يعملوا بعض القوانين الزائفة ولكن الشعب لم يخدع .

فى ٢٨ مارس الجيش السورى أعلن بيان قال فيه عن الحكام . لقد تمكنت هذه العناصر

عن طريق التحكم أن تبعد بالسلطتين التشريعية والتنفيذية عن مهمتهما الأساسية كما تمكنت من تعطيل سائر التشريعات والقوانين والأنظمة التى حققت وضمنت مكاسب الفلاحين والعمال وبقية فئات الشعب فراحت هـذه العناصر تصدر التعليمات والأوامر التى تناقض التشريعات والقوانين وتعمل على طرد الفلاحين وطردهم من قراهم وانتزاع أراضيهم منهم وحملهم على تركها والهجرة منها ولاعادة سيطرة أنصارهم ومحاسيبهم وأعوانهم فهدمت بيوت الفلاحين على رؤوسهم وأحالت أراضيهم المزروعة بعرقهم ودموعهم وجهودهم الى خراب كما راحت هذه العناصر تعمل جاهدة للابقاء على التشريعات التى تجعل مكاسب العمال صورية ونظرية وغير حقيقية فضاعت بذلك الحقوق والمكاسب واستهترت بالقوانين والتشريعات وخنقت الحريات ولم تعمل على تحقيق الاستقرار ودفع عجلة التنمية الاقتصادية الى الامام .

لقد استطاعت هـذه العناصر الحاكمة المتآمرة . استطاعت ان تنفذ الى الوزارات والدوائر والمؤسسات فملأتها بالمحاسيب والأنصار واغدقت عليهم المراتب والدرجات جزافا وبدون حساب كأن الدولة مزرعة لهم وكأن الشعب قد سخر لمصلحتهم ولم تكتف بذلك بل حرفت المجلس التأسيسى عن مهمته الأساسية وجعلته شبه معطل فلم يعد هم هذا المجلس الا زيادة رواتب أعضائه فارتفعت من ستمائة ليرة سورية الى ما يعادل ألفين ليرة سورية لكل نائب يقبضها كل شهر . لقد ظنت هذه العناصر ومن ورائها الاستعمار وأعوانه والذين يعملون لحسابه ومصلحته أن الجو قد خلا لهم وأن البلاد قد خلصت خيراتها ومقدراتها لمحاسيبهم وأنصارهم فاسفروا عن وجههم وراحوا يعملون ويتآمرون على سلامة البلاد وأمنها وحريتها ويقبضون كما كانوا بالسابق أجر خيانتهم وثمن بيع ضمائرهم وعهدهم وكأن العهد لم يكن مسئولا فى الوقت الذى كان الجيش السورى فى وجه اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل .

العناصر المتآمرة سيطرت على سوريا

لقد راح الجيش يطلب من المسئولين الكف عن حماية العناصر التى تآمرت على سلامة البلاد وامتدت ايديها الى الغير فقبضت منه مئات الألوف لاحالتها للقضاء ليقول كلمته فيها ولم يترك الجيش بابا الا وطرقه ولا طريقا الا وسلكها لتقويم الاعوجاج واصلاح الانحراف وانقاذ البلاد الا أنه لم يلق من المسئولين الا حماية لهذه العناصر حيث راحوا يراوغون ويسوفون ويماطلون أملا منهم لكسب الوقت ولعل الأيام حسب ظنهم تلهى الجيش عنهم وعن العناصر التى حماها وحالوا دون احالتها الى القضاء فقد سيطرت العناصر المتآمرة المستغلة سيطرة لم يعد ينفع معها نصح ولا تحذير فلم يلق الجيش آخر الأمر آذانا صاغية ولا افئدة واعية ..

ان الجيش السورى بلغ هذا الى المسئولين .. ده الكلام اللى اتقال فى ٢٧ مارس سنة ٦٢ بعد ما اجتمعنا هنا فى العام الماضى بشهر واحد .. الكلام اللى قالوا الجيش كان أبلغ من كل كلام قلناه . الكلام اللى قاله الجيش فى هذه الأيام كان انعكاس لما شعر به شعب سوريا بعد نكسة الانفصال وهذا هو السبب الذى دفع الشعب السورى لأن يناضل ويناضل ويستمر فى النضال حتى يقضى على العناصر التى سيطرت عليه . على ديكتاتورية الاقطاع وعلى ديكتاتورية الاستغلال وعلى دولة المحاسيب ودولة الأنصار .

السنة اللى فاتت لما اتكلمت معاكم فى عيد الوحدة بعد الانفصال بست أشهر . اتكلمت عن وحدة الهدف وكان شعار جديد لينا يعنى قلت حاجتين .. وحدة الهدف هى الأساس مش وحدة الصف .. لأن وحدة الصف بدون وحدة الهدف لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تمكن وحدة أو أن تقيم وحدة وقلت أن احنا لن نهادن الرجعية وان احنا نصمم على وحدة الهدف وندعم وحدة الهدف ولكن وحدة الصف دا كان شعار كانوا بيطلقوه السياسيين العرب دائما من أجل خداع الشعوب العربية . كانوا يختلفوا ويطلعوا قدام الناس بيصوتوا ويقولوا وحدة الصف ..

موقفنا فى العام الماضى

السنة اللى فاتت وانا باتكلم معاكم وأعلن وحدة الهدف ماكانش الأمل فى تحقيق هذا قريب أمام أعيننا ليه ؟ كان الملك سعود وكلنا نعرف ان الملك سعود دفع فى عملية الانفصال ٧ مليون جنيه وجاب عملاءه وحطهم فى دمشق - كان فى عنفوان غروره وكان فى

عنفوان وهمه بأن ملايينه المسروقة من شعب الجزيرة العربية هذه الملايين سوف تستطيع أن تخضع أمامه كل مقاومة . وكان بيعتقد ان كل هذه الأموال المسروقة من شعب الجزيرة العربية يمكن ان تشترى كل ضمير .

السنة اللى فاتت واحنا بنتكلم كنا بنتكلم عن وحدة الهدف كان حكم الامام فى اليمن وكان الامام فى هذا الوقت مطمئن جدا الى ان المد الرجعى أخذ طريقه وكلنا نعرف ان فى هذه الأيام بدأ يهجو الوحدة والاشتراكية والحرية بالشعر وبالنثر وده اللى بيهجوا بالشعر لازم مطمئن خالص — فى نفس الوقت كانت بغداد فى عزلة كانت فى عزلة الحكم الفردى وكلنا نعرف من سنة ٥٨ حاولنا الالتقاء مع بغداد ولكن الحكم الفردى فى بغداد كان ضد فكرة القومية العربية وكان ضد فكرة الوحدة العربية وكان ضد فكرة الالتقاء بأى حال من الاحوال — حاولنا بكل وسيلة من الوسائل ولكن لم تفلح هذه الوسائل ولم تنجح — السنة اللى فاتت وأنا باتكلم معاكم من هذا المكان كانت الثورة الجزائرية وراء قضبان السجون فى فرنسا وعلى الجبال فى الجزائر تقاتل .. السنة اللى فاتت وأنا باتكلم معاكوا هنا كانت الرجعية فى سوريا تظن أن الأمر استتب لها وكان عرش الاستعمار فى الاردن يتصور أنه فى آمان .

حينما كنا نتحدث فى العام الماضى عن وحدة الهدف ماكنتش قوى الهدف الواحد ظاهرة أمامنا — كنا بنقول وحدة الهدف ولكن قوى الهدف الواحد لم تكن ظاهرة امامنا .

النهارده واحنا بنجتمع ونعود للكلام بنبص حوالينا نرى ثورة الجزائر اللى كانت وراء القضبان أصبحت حكومة فى الجزائر . نرى فى العراق ثورة شعبية تقدمية تتولى الحكم باسم الشعب — نرى فى اليمن نضال ثورى باسل من أجل التقدم وبعدين نرى ملوك الرجعية وعروش الرجعية اصدقاء الاستعمار واعداء حرية الشعوب أعداء العدالة الاجتماعية وأعداء الاشتراكية اللى كانوا من سنة واحدة بيقولوا الشعر والنثر واللى كانوا من سنة واحدة اطمأنوا الى ان المد الرجعى سيقضى على نضال لأمة العربية والشعب العربى نراهم يقاتلون معركة مستميتة — شايفين فيها فرصتهم الأخيرة لانقاذ مصيرهم — يقاتلون وهم فى تقهقر كل ذلك أيها الاخوة حصل فى عام واحد — الفضل فى هذا الميدان — لنضال الشعب العربى لوعى الشعب العربى — لتضحية الشعب العربى — كل ده حصل فى عام واحد ظنوا فيه ملوك الرجعية بعد نكسة الانفصال بأوهامهم ان القومية العربية الثورية بمضمونها الوحدوى التقدمى تتراجع الى انحسار .. تتراجع الى انهيار .

كنت واثقا من النصر

الحمد لله الذى قوى هذه الأمة ومنحها نورا لترى سبيلها برغم الظلام والصعاب — لقد كانت الأمة على حق فى يقينها بانتصار ارادتها وأقول لكم أيها الاخوة اننى كنت واثقا من انتصار ارادة لأمة لسبب بسيط — تلك حتمية التاريخ — مش معقول سعود ينتصر — مش معقول ملك الاستعمار فى الأردن ينتصر حتمية التاريخ ان الشعوب تنتصر — هل كان يمكن أيها الاخوة الا يحدث ما حدث ؟ هل كان يمكن للاستعمار ان يتمكن فى الأمة العربية — هل كان يمكن للرجعية ان تعيد عقارب الزمن الى الوراء مهما ضللوا جميعا — مهما كابروا مهما زيفوا كان هذا مستحيل .

ماكنتش عارف أبدا

يوم ١٤ رمضان . قامت ثورة العراق أنا ماكنتش عارف ابدا — متقالتش أسامى ولكن كنت على ثقة — كنت على يقين من انتصار الارادة — ارادة الأمة ارادة الشعب العربى فى العراق تلك هى طبيعة الأمور — وتلك هى حتمية التاريخ . الأمور قبل ١٤ رمضان ما كانتش أبدا الأمور طبيعية فى بغداد — العزلة — السجون — المعتقلات — عدد كبير من اخواننا هنا كان فى السجن فى هذه الأيام من أول دقيقة كان لابد ان نتفاعل معهم وان نلتقى معهم بدون ان نعرف من هم — هم مناضلين عرب هم ناس خرجوا علشان يبذلوا دمهم وروحهم فى سبيل وحدة الهدف العربى — فى سبيل نضال الأمة العربية — فى سبيل انتصار ارادة الأمة العربية — كان لابد لنا ان نلتقى معهم بدون ان نعرف اسماءهم — من غير مانعرفهم من أول دقيقة لأن انتصار ارادة الأمة العربية هدف .

فى هذا اليوم التقينا — فى هذا الهدف — فى هذا اليوم كان من الواضح ان هناك وحدة هدف تجمع القاهرة مع بغداد بدون

تعارف بدون لقاء بدون كلام بدون مفاوضات بدون مباحثات بدون كل الشكليات اللى احنا بنسمع عليها دى وبنعرفهـا ـ كان لابد ان يحصل هذا لأن هذا هو تعبير عن الكلام اللى قلناه السنة اللى فاتت وهو وحدة الهدف ».

كان لقاء الأحباب

وحينما اقول هذا انما أعبر عن مشاعر وروح كل المناضلين وكل الأحرار فى الجمهورية العربية المتحدة وفى كل بلد عربى فى جميع أنحاء الوطن العربى ».

احنا يمكن النهاردة بنلتقى لأول مرة مع عدد كبير من اخواننا ـ الشباب اللى قام علشان يضحوا بأنفسهم من أجل نجاح ثورة العراق ولكن حينما التقينا النهاردة ما كانش ابدا لقاء الأغراب كان لقاء الأحباب الناس اللى بيعرفوا بعض من زمن طويل ـ لقاء الناس اللى عندهم وحدة الهدف ـ لقاء فى التفكير ولقاء فى تحقيق انتصار ارادة الأمة العربية .

حينما قامت ثورة اليمن ـ التقينا بثورة اليمن من أول وقت ـ برضه ماكناش بنعرف مين القادة الحقيقيين يمكن كان من الواضح ان الضباط الأحرار والثوار فى شعب اليمن التقوا من أجل الثورة ـ كان لابد ان نلتقى لأن هناك وحدة ـ وحدة هدف تجمع بيننا وتجمع بين كل من يعملون من أجل انتصار ارادة الأمة العربية .

ايها الاخوة النهاردة واحنا بنحتفل بعيد الوحدة بعد الانتصارات اللى شفناها فى كل سنة ـ بنستعرض أيضا البلايا اللى ابتلينا بها فى السنة اللى فاتت ـ ابتلينا بلايا كبيرة جدا ـ لكن ماأثرتش فى أعصابنا وما أثرتش فى ايماننا ـ الانتهازية فى سوريا المرتدين فى سوريا ـ الناس اللى يمكن بيشتغلوا معانا فى وقت الوحدة ازاى كشفوا عن بعض الناس كشفوا عن الانتهازية وعن الردة وبدأت حملات شتائم وحملات اتهام .

كان الهدف أن نكفر بالوحدة

هو كان باين ان فى هدف هذا الهدف هو ان احنا نكفر ونقرف من الوحدة أو من العمل العربى ولكن يمكن كتير منكم سمعوا راديو دمشق أو كان راديو اسرائيل يردد ما تقوله دمشق . قالوا علينا بنتعاون .. قالوا ده جمال عبد الناصر متفق مع بن جوريون (ضحك) وفى اتفاق بين مصر واسرائيل وليه متقفلش خليج العقبة ده دليل على أن فيه اتفاق .

هل هم فى هذا كانوا مخلصين . طبعا علشان نقوم بأى عمل عسكرى لازم نكون على أتم استعداد . ماخدناش قضية فلسطين للمزايدة بدليل اللى بيسمع كلام بن جوريون ماقالش على العظام ولا العظمة أبدا . هو يعنى اللى معتبره العداء .. العدو الوحيد الجمهورية العربية المتحدة أساسا كل الكلام وكل الحملات الجمهورية العربية المتحدة .

رد الفعل فى اسرائيل

حينما قامت ثورة العراق ايه كان رد الفعل فى اسرائيل ـ أول تصريح اتقال ان ده بيخل التوازن فى العالم العربى ـ الاخلال بالتوازن فى العالم العربى بيؤثر على سلامة اسرائيل يعنى ايه الاخلال بالتوازن فى العالم العربى ـ ايه هو التوازن فى العالم العربى ـ لمصلحة مين التوازن فى العالم العربى ؟ حاجة بسيطة قوى التوازن فى العالم العربى ان بغداد تبقى ضد القاهرة والقاهرة تبقى ضد بغداد ودمشق تبقى ضد القاهرة وسياسة المحاور يعنى ما يبقاش فيه وحدة ـ وحدة الهدف كان من الواضح من أول يوم ان اسرائيل تخاف من لقاء القاهرة وبغداد لان ده يخل بالتوازن ـ طبعا اذا أخل بالتوازن بتبقى امكانيات شعب العراق مع امكانيات شعب الجمهورية العربية المتحدة بتكون قوة كبيرة حينما تكون وحدة هدف ـ بتستطيع هذه القوة أنها تكون مؤثرة .

اتهمونا هذه الاتهامات واحنا كنا على ثقة ان الشعب العربى بيعرف الانتهازيين ويعرف المرتدين ويعرف الرجعيين ويعرف الانفصاليين ويعرف المستغلين وما كانش ابدا واجبنا يدعونا الى ان نستجيب لهذا الاستفزاز بأى حال من الأحوال .

اشترينا قمح من أمريكا قالوا ان دول اتفقوا مع امريكا على اسرائيل ـ كان فيه اتفاق بين أمريكا وعبد الناصر علشان اسرائيل ولتأمين اسرائيل وحصلت مكاتبات . بعدين نشر جواب كنيدى وردى على جواب كنيدى زوروا وثائق وعملوا كل ما فى طاقتهم ولكن هل أجدى هذا بشىء أبدا ـ الانتهازية اليوم تتراجع فى سوريا مذعورة ـ المرتدين اليوم

يتراجعوا فى سوريا ويبدوروا على المفر - حملات الشتائم وحملات الاتهام تحطمت أمام ضمير الأمة العربية وضمير الشعب العربى الحر القوى - لم يجد هذا بشىء - سعود استخدم الاسلام وقال ان الاشتراكية ضد الاسلام وابتدأ يعلن حرب عنيفة هل أجدى هذا بشىء ؟ سعود بيحارب معركة يائسة - ده اللى احنا شفناه وده البلاء اللى شفناه فى السنة اللى فاتت - ماأثرش فى ايماننا بل زادنا تصميم وزادنا ايمان - ما أثرش فى ايمان الأمة العربية لأن الأمة العربية أمة واعية تعرف من هم الذين يعملون من أجل أهدافها ومن هم الانتهازيين والمرتدين بدأت عوامل الدس وبدأت عوامل الشك وبدأت عوامل التفرقة بين الشعبين حاولوا بكل الوسائل - الشعب هنا فى مصر لم يصدق والشعب فى سوريا لم يصدق وبدأت عوامل الدس والتفرقة أيضا بين الشعبين فى بغداد قبل ثورة ١٤ رمضان ولكن الشعب العراقى حر استطاع ان يكشف هذه الخدع ثم استطاع ان يقبض عليها وان يحطمها .

بدأت حملة الدس

النهاردة انا بقول لاخواننا - اخواننا الموجودين معانا النهاردة من العراق الحر ان حملة الدس بدأت من أول يوم حملة الدس بيننا وبينهم فى الاذاعات وفى الجرائد وفى وكالات الأنباء حملات دس يعنى انا بقالى ١١ سنة متمرس بقى على حملات الدس دى وعارفها وكاشفها كويس (تصفيق) بدى أقول لكم احنا لن تؤثر فينا هذه الحملات ابدا . الناس اللى بيحرفوا الكلام الناس اللى بيزيفوا - الناس اللى بيحاولوا يثيروا الغيرة حيحاولوا يعملوا هذا الكلام بيننا وبينهم وبينكم وبين بعض .

لن نكون حساسين

هذه القوى قوى كبيرة جدا عندها المال - انتوا بتقابلوا الرجعية والصهيونية والاستعمار والشعوبية قوى موجودة - حاربتنا حاربت الوحدة المصرية السورية - النهاردة بتحارب ثورة العراق - بتحارب الثورة هنا فى الجمهورية العربية المتحدة . اول هدف لها ان تثير عوامل الشك والتفرقة بين العراق والجمهورية حتى لا نعمل سويا من اجل هدف واحد . بأقول لكم احنا لن نكون حساسين - لن تؤثر فينا - بقول الكلام ده علنا مش هاممنا من هذه الناحية - مش حيؤثر فينا الكلام - مش حيؤثر فينا اى شىء من هذه الأمور واحنا أما بنشوف - لما بنشوف هذا الكلام بنعرف الهدف منه ايه - الهدف اولا الوقيعة ثم الضرب - طريقة الاستعمار وطريقة العدو يفصلم وبعد كده يضربوا - انشاءالله سنستطيع بايماننا وبقوتنا وبتصميمنا ان احنا نهزم - وزى ما بقول استطعنا السنة اللى فاتت والحمد لله ان احنا نهزم - نهزم كل القوى التى تصدت لينا والدليل على هذا وجود هؤلاء الاخوة الأعزاء معنا اليوم فى هذا الاحتفال رغم .. رغم طبعا الأعمال الكبيرة المشغولين بها طبعا فى الأسبوع الأول والاسبوع الثانى من الثورة واحنا نقدر منهم هذه البادرة وانشاء الله ونعاهد الله سنقضى على كل عوامل الدس وكل عوامل التفرقة ولن نمكن الاستعمار ولن نمكن اعدائنا بأى حال من الأحوال ان يتمكنوا منا أو أن يفرقوا بيننا - سنكون دائما اليد الواحدة مع الدول العربية المتحررة - ومع الشعوب الحرة من اجل تحقيق الأهداف العربية .

ايها الاخوة اننا فى هذا نعبر عن امانى الشعب - ان الشعب لما يحس بأى نكسة يشعر بالألم لأن أمل الشعب هو اللقاء على الأهداف السليمة اللقاء على المبادىء الحرة - اننا فى هذا سنضرب دائما المثل وسنأخذ من نضال شعبنا المثل حتى نحقق له أو حتى نعاون فى تحقيق أهدافه .

الرجعية تحارب معركة عمرها

ايها الاخوة فى هذا العام ونحن نحتفل بعيد الوحدة ونحن نحتفل بهذه الانتصارات ونحن نرى الرجعية التى ظنت أنها ستقضى على القومية العربية الثورية تحارب يائسة معركة عمرها ونحن نرى القوى التقدمية تنتصر ونحن نرى الشعوب تنتصر نعمل فى هذه الجمهورية العربية المتحدة كقاعدة للنضال العربى وكقاعدة للكفاح العربى نعمل على ان نبنى المجتمع الحر - نعمل على ان يوجد بين ربوع بلدنا المواطن الحر - المواطن الحر فى المجتمع الحر بالعدالة الاجتماعية بالحرية السياسية وبالحرية الاجتماعية بالاشتراكية نبنى المجتمع الذى نريد - اننا بهذا نؤمن

ثورتنا ـ اننا بهذا نؤمن بنتيجة نضالنا ونتيجة كفاحنا .

حينما قامت الثورة فى ٢٣ يوليو سنة ٥٢ كانت البلاد هنا تحت سيطرة الاقطاع ورأس المال ـ تحت اسم الديمقراطية المزيفة لم تكن هذه الديمقراطية المزيفة الا ديمقراطية رجعية ولا يمكن للديمقراطية ان تقوم طالما كان هناك استغلال لا يمكن للديمقراطية ان ترفع رايتها طالما كانت ثروة البلاد فى يد حفنة قليلة من ابنائه ـ كان هناك أيها الاخوة حكم الطبقة الواحدة ـ حكم تحالف الاقطاع مع رأس المال واننا فى تجربتنا الثورية استطعنا ان نقضى ونسقط تحالف الاقطاع مع رأس المال ونقيم بدلا منه تحالف الشعب العامل ـ قوى الشعب العاملة . بهذا أممنا ثورتنا بهذا حققنا الاشتراكية ـ وبهذا حققنا العدالة الاجتماعية وبهذا اقمنا بين ربوع أمتنا الكفاية والعدل ـ العدل الا تكون الأمة وأدوات انتاجها وأرضها ملك الطبقة ملك القلة التى استطاعت ان تكتسب السلطة . واستطاعت فى الماضى أن تكتسب النفوذ واستطاعت أن تكتسب المال والسلطان وتسيطر على كل مقدرات الأمة . اننا اليوم بعد ١١ سنة من الثورة استطعنا أن نقيم بين ربوع امتنا العدالة الاجتماعية ـ قضينا على الاقطاع وقضينا على سيطرة رأس المال وقضينا على الاستغلال وملكنا أدوات الانتاج للشعب وملكنا الأرض للفلاحين وقضينا على الاستغلال الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ـ قضينا على حكم الطبقة .

كانت فيه ديمقراطية زائفة

فى هذه الأيام قبل الثورة كان فيه أحزاب وكانت فيه ديمقراطية زائفة ـ الاحزاب اللى كانت موجودة عندنا قبل الثورة كانت بتمثل ايه ؟ كانت تمثل الطبقة ـ الطبقة الواحدة زى ما قلت لكم احنا أردنا فى أول الثورة ان احنا أردنا ان احنا ندى الحكم للأحزاب ولكن الأحزاب لم تقبل المبادىء الست التى أعلناها ـ فى أول الثورة احنا تفاوضنا مع الوفد على أساس يستلموا الحكم وقلنا لهم ان احنا نريد ان نطبق المبادىء الست .

أول مبدأ القضاء على الاستعمار وثانى مبدأ القضاء على الاقطاع وقلنا لهم عايزين نحدد ملكية الأرض بـ ٢٠٠ فدان وبعدين قعدوا يتفاوضوا معانا ساعات وساعات وأيام ويقولوا لأ ـ احنا بقينا مستغربين ـ والآخر قلنا والله يعنى ـ غاب منا شىء ازاى نطلب من الاقطاعيين انهم يحددوا الملكية لأن حزب الوفد فى هذا الوقت كان حزب يتمثل فى الاقطاعيين ـ الأحزاب الاخرى كانت تتمثل فيها الاقطاعية أو سيطرة ودكتاتورية رأس المال وبهذا ثرنا من أجل تطبيق الحرية وكنا نشعر الا حرية سياسية بدون حرية اجتماعية وزى ما قلنا فى الميثاق أيها الاخوة ـ احنا قلنا فى الميثاق ايه ؟ قلنا « ان رغيف الخبز هو تذكرة الانتخابات ـ تذكرة الانتخابات دى بيأثر عليها ايه ؟ بيأثر عليها رغيف العيش الفلاح اللى مش لاقى ياكل بيروح يدى صوته لصاحب الأرض ـ اذ لا يمكن بأى حال من الأحوال ان احنا نقول على هذا الفلاح انه فرد .

لابد أن نحرر الخبز

اذا اردنا ان احنا نحرر الفلاح لابد ان نحرر الخبز نحرر له قوت يومه ـ وقيل فى الميثاق وذكر الميثاق ان تذكرة الانتخابات مرتبطة ارتباطا كلى برغيف الخبز مرتبطة بالعيش اذا اردنا ان نقيم بين ربوع بلادنا الحياة الديمقراطية السليمة لابد ان نقضى على حكم الطبقة ولابد ان نحقق حرية الوطن وحرية المواطن .

استطعنا أيها الاخوة بفخر ونحمد الله الذى أعاننا على هذا ان نقضى على دكتاتورية الاقطاع ورأس المال ان نقضى على تحالف الاقطاع ورأس المال أن نقضى على دكتاتورية الرجعية التى أقامت زيفا برلمان وقالت ان هذه ديمقراطية ونقيم اليوم بين ربوع أمتنا التحالف الحقيقى لقوى الشعب العاملة التى حرمت من حقها الأصيل طوال السنين الماضية التى حرمت من حقها فى السياسة ومن حقها فى ثروة بلدها .

بعد ١١ سنة

اذا حررنا الثروة واذا حررنا وسائل الانتاج واذا حررنا العامل واذا حررنا الفلاح نستطيع فعلا أن نقول أن هناك امكانية لقيام حياة ديمقراطية سليمة . أن الحياة السليمة . أن الحياة الديمقراطية السليمة هى التى تعبر عن تحالف قوى الشعب العاملة أن الديمقراطية الزائفة أو ديكتاتورية تحالف الرجعية مع رأس المال كانت تمثل حكم الطبقة الواحدة وكان كل الشعب محروم من أن يمارس

حقه السياسى أو أن يمارس حقه الاجتماعى

لقد اغتصبت الطبقة منذ مئات السنين ، اغتصبت الثروات وحينما اغتصبت الثروات سيطرت على أبنــاء الأمة اجتماعيا وحينما سيطرت اجتماعيا سيطرت سياسيا نستطيع أن نقول الآن أن احنا بعد احدى عشرة سنة من الثورة استطعنا فعلا أن نطبق الاشتراكية وبهذا أقمنا بين ربوع بلادنا الحرية الحقيقية حرية الوطن وحرية المواطن وأننا بهذا نسير من أجل اقامة الحياة الديمقراطية السليمة التى تتمثل فيمـــا قلناه أن الحرية كل الحرية للشعب ولا حرية لأعداء الشعب من الاقطاعيين والاستغلاليين .

هذاهو ماقلناه وهذا هو ما أعلناه وهذا هو ما أقره المؤتمر الوطنى لقوى الشعب العاملة لقد أخذ تحالف الاقطاع مع رأس المـــال فى السنين الماضية من مئات السنين الماضية أخذ الحكم وأخذ الفرصة ليسيطر على هــذه البلاد ويسيطر على هذه الأمة وأننا هنا نحن الشعب استطعنا حينما قامت الطلائع الثورية يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ان نقضى على الملكية الفاسدة وأن نقضى على حكم تحالف الاقطاع ورأس المال استطعنا أن نتحرر من الاستغلال السياسى ومن الاستغلال الاقتصادى ومن الاســتغلال الاجتماعى واستطعنا لأول مرة فى تاريخنا أن نبنى المجتمع الذى نريد . مجتمع تكافؤ الفرصة ، المجتمع الــذى يملكه كل فرد من أبنائه استطعنا أن نبنى هــذا ونستطيع أن نفخر . ماكنش ممكن فى أول يوم من أيام الثورة أن احنا نحقق شىء وماكنش ممكن فى أول سنة نحقق شىء

الثورة سهلة رغم المصاعب

والنهـــاردة كنت بقول لاخواننا العراقيين حتلاقوا دائما أن يوم ١٤ رمضان رغم المصاعب اللى كانت فيه ســــهل لأن المشاكل اللى بعد الثورة مشاكل كبيرة احنـــا هنا نستطيع أن نفخر ان احنا الشعب كله اتحد والشعب كله ناضل وماكنش ممكن أول سنة نحقق شىء لأن مش معقول أبدا فى سنة يتحقق شىء .

وثانى سنة كان ممكن نحقق الشىء اليسير وثالث سنة كان ممكن نحقق أكثر النهاردة بعد عشر ســــنين بعد ١١ سنة بنقول ان احنا ضاعفنا الدخل القومى فى عشر سنوات نقول أن احنا بنبنى السد العالى بنقول ان احنا عندنا خطة تنمية من أجل مضاعفة الـــدخل القومى مرة ثانية فى عشر سنوات تنتهى سنة سبعين بنقول ان احنا سنهدف الى أن نحقـــق هذه الخطة فى ٨ سنوات .

بنقول ان الانتاج الصناعى النهـــاردة بقى أكبر من الانتاج الزراعى لأول مرة في تاريخ بلدنا بنقول ان العمال فى بلـــدنا فى السنين اللى فاتوا اشتغل ٦٠٠ ألف عامل بنقول ان مافيش واحد النهاردة مش لاقى عمل بنقول ان احنا بنوجد فرص للعمل حققنا ده بعد سنوات أول سنة ماكنش نقدر نحقق .. ثانى سنة يمكن كان ممكن نحقق اليسير .

بعد عشر ســنين بنقدر نفتح صفحة كبيرة ونقول عملنا كذا وعملنا كذا وعملنا كذا ، الفخر يعود لهذا الشعب ولصبر هــذا الشعب ولتكاتف هــذا الشعب وللوحدة الوطنية لهذا الشعب النهاردة بنعمل .. نشكل المجتمـــع الاشتراكى الذى نريد .. مجتمـــع العدالـــة الاجتماعية ومجتمع الفرص المتكافئة .

النهاردة بعد عشر سنين بنقدر نقول ان حكم الطبقة انتهى واليوم حكم الشعب العامـــل من أجل أبناء الشعب جميعا .

أيها الاخوة المواطنون ونحن نبنى ونحـــن نفخر بأننا كنا نبنى بلدنا كنا فى نفس الوقت نبنى فى كل الميادين فى الميــدان العربى وفى الميدان الدولى .. فى العشر سنين اللى فاتت قبلنا مشاكل لا نهـــاية لها ولكننا نفخر أن اليأس لن يتغلغل الى نفوسنا ولا قلوبنا فى سنة ٥٦ حمل الشعب كله السلاح لأنه شعب كان مؤمن بثورته ومؤمن أنها ثورة قامت من أجل الشعب ومن أجل أهداف الشعب .

نتمنى لسوريا كل خير

حينما تعرضنا لنكسة الانفصال قوى ايمان الشعب .. النهاردة نحمد الله على كل هـــذه الانتصارات نتمنى لاخوتنا فى ســوريا كل خير .. نتمنى لهم أحسن التمنيــــات ، نحيى الشعب السورى المكافح المناضل ونقول له احنا على العهد .. احنا على العهد باقين

أيهـــا الأخوة .. قولوا للشعب السورى اننا معك واننا على ثقة من صـــلابتك ومن نضالك نقول لك حينمـــا احتفلنا بالوحدة أو بعيد الوحدة فى العام الماضى كانت الرجعية

تعتقد أنها انتصرت .. كانت الرجعية تعتقد أن القومية العربية الثورية قد انهزمت ولكننا اليوم نحمد الله لأن انتصارات الأمة العربية فى كل مكان انما هى انتصار لنا جميعا، انتصار لقضايانا . هذه الانتصارات تقوى دائما الأمل فى نفوسنا .. هذه الانتصارات انما هى تعبير عن أن الوحدة العربية هى حقيقة واقعة ..

الوحدة كما عبر عنها الميثاق

الوحدة العربية كما عبرنا عنها فى الميثاق هى وحدة الهدف الوحدة العربية تبدأ من التلاقى بين حكومات عربية وطنية أصيلة الى الوحدة .. أو الاتحاد .. الوحدة العربية التى تجمع بيننا بين الأحرار فى جميع أنحاء الوطن العربى وحدة الهدف التى تجمع بين الأحرار وبين الشعوب المناضلة المكافحة .

أيها الأخوة أرجو الله حينما نلتقى فى العام القادم فى هذا المكان أن تكون هناك انتصارات وانتصارات أدعو أن يوفق أخوتنا فى العراق ويمكن لهم انتصاراتهم أدعو الله أن يوفق الشعب العراقى الأصيل ويدعم له وحدته الوطنية ويدعم له الانتصارات ونقول لهم نحن دائما معكم باليد وبالقلب وبالروح .

ندعو الله أن تكون ثورة اليمن قد قضت على الرجعية قضاء كاملا .

واننا أيها الأخوة حينما ندعو الله هذا الدعاء بالنسبة لثورة اليمن يجب علينا أن نذكر ويجب علينا أن نشعر أننا منذ أول يوم من أيام ثورة اليمن نظرنا الى هذه الثورة على أنها انتصار للأمة العربية كلها فى قلب الجزيرة العربية وأرسلنا الى اليمن أيها الأخوة أبناءنا أخوتنا فلذات أكبادنا ليقاتلوا ويحاربوا من أجل المبادىء التى أعليتموها فى القاهرة والتى رفعها الأحرار فى كل مكان .

التقى الدم العربى ضد الاستعمار

أيها الأخوة لقد التقى الدم العربى مع الدم اليمنى ضد الرجعية وضد الاستعمار ولم يكن هذا اللقاء نتيجة ورقة مكتوبة كان فيه ورقة مكتوبة بيننا وبين الامام أحمد ــ كان فيه اتحاد فيدرالى وكنفدرالى مع الامام أحمد عمره ما نتج عنه أى شىء . مافيش ورقة مكتوبة بيننا وبين اليمن ولكن وحدة الهدف .. وحدة الهدف جمعت بيننا وبين جيشنا فى أشرف مهمة لأشرف أمة ولأشرف شعب وحدة الهدف جمعت بين الدم العربى الدم المصرى والدم اليمنى .. وحدة الهدف جعلت أبناءنا أبناء القوات المسلحة هنا فى مصر يطلبون أن يذهبوا ليقاتلوا بجانب أخوتهم فى اليمن ليجابهوا الرجعية المعتدية ويجابهوا عدوان الاستعمار ثورة اليمن التى تمثل وحدة الهدف كانت بالنسبة لنا نصر ونصر للأحرار فى كل مكان .

قواتنا تحارب من أجل قضايا العرب

اننا اليوم ونحن نحتفل بهذه الأعياد نرى أخوة لنا من القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة تحارب فى اليمن من أجل قضايا العرب فى كل مكان من أجل قضية الحرية فى العراق من أجل الأهداف التى رفعها شعب العراق ومن أجل الأهداف التى رفعها الشعب السورى ومن أجل الأهداف التى رفعها الشعب المصرى ومن أجل الأهداف التى رفعها شعب الجزائر من أجل الأهداف التى آمنا بها جميعا وكانت قوات الجمهورية العربية المسلحة فى هذا التعبير تعبر للأمة العربية كلها انها بعد نكسة الانفصال لم تكفر ولكنها ترى أن أواجبها قد تضاعف وأن عليها واجب كبير نحو أمانى شعب الجمهورية العربية المتحدة ونحو أمانى الأمة العربية .

تحية الى القوات المسلحة

اننا أيها الأخوة نحيى القوات المسلحة الباسلة التى تقاتل فى اليمن من أجل أهداف الأمة العربية ومن أجل نضال الأمة العربية ومن أجل كفاح الأمة العربية اننا نحيى هذا الدم الغالى الذى رأيناه فى اليمن الذى أثبت للأمة العربية أو أثبت للعالم أجمع أن الأمة العربية أمة متحدة لها هدف واحد هدف حر وأن ارادتها لابد أن تنتصر . وأن قوتها فى اتحادها .

اننا أيها الأخوة نرجو أن نجتمع فى العام القادم وقد تحررت كل الشعوب العربية من الرجعية ومن الاستعمار تحررت من الانتهازية تحررت واتحدت الأهداف كلها والتقينا فى وحدة الهدف . والله الموفق أيها الأخوة . والسلام عليكم ورحمة الله .

معالم الطريق .....

الثقافة الاجتماعيّة

• مشرق الفجر :

«كنا نريد الاستقلال حتى نستطيع أن نصنع حياتنا فى حرية . وهكذا لم يكن الاستقلال خاتمة المطاف . وانما كان بداية سعى . ولم يكن نهاية كفاح . بل كان دعوة الى كفاح . لم يكن هبوط الليل بعد نهاية عمل نهار . وانما كان مشرق الفجر» .

(فى افتتاح مجلس الأمة ٢٢ يونيه ١٩٥٦)

● **التجربة الهائلة :**

« لكل شعب من شعوب الأرض ثورتان :

ثورة سياسية يسترد بها حقه فى حكم نفسه بنفسه من يد طاغية فرض عليه ، أو من جيش معتد أقام فى أرضه دون رضاه .

وثورة اجتماعية تتصارع فيها طبقاته ثم يستقر الأمر فيها على ما يحقق العدالة لأبناء الوطن الواحد .

لقد سبقتنا على طريق التقدم البشرى شعوب مرت بالثورتين ولكنها لم تعشهما معا وانما فصل بين الواحدة والثانية مئات من السنين أما نحن فان التجربة الهائلة التى امتحن بها شعبنا هى أن نعيش الثورتين معا فى وقت واحد » .

(من كتاب فلسفة الثورة)

* * *

● **شعبنا صنع معجزة :**

« وأنا أعتقد دون أن أكون فى ذلك متملقا لعواطف الناس أن شعبنا صنع معجزة ، ولقد كان يمكن أن يضيع أى مجتمع تعرض لهذه الظروف التى تعرض لها مجتمعنا . وكان يمكن أن تجرفه هذه التيارات التى تدفقت علينا ولكنا صمدنا للزلزال العنيف ، صحيح اننا كدنا نفقد توازننا فى بعض الظروف ولكننا بصفة عامة لم نقع على الأرض » .

(من كتاب فلسفة الثورة)

* * *

● **وحدة الأساس الوطنى**

« الوطن مجموعة من الأفراد عاشوا بالأمس ويعيشون اليوم وسيعيشون فى المستقبل ولا بد أن يحس الوطن باحساس واحد حتى يكون له كيان قوى سليم » .

(فى المؤتمر التعاونى أول يونيه ١٩٥٦)

* * *

● **المجتمع المنشود**

« هذا المجتمع يجب أن يكون مجتمعا متخلصا من الاستبداد السياسى والاستعمار والنفوذ الأجنبى ، ومن الظلم الاجتماعى .

وكان المجتمع فى الماضى يوجهه الاستعمار وأصحاب المصالح والمستغلون ، والأقلية التى كانت تأخذ المكاسب والثمرات وليست الأغلبية التى كانت تشقى وتعرق وتقاسى وتشعر بانحظاظ الأقلية التى كانت تستبد وتأخذ عمل الغالبية العظمى من هذا الشعب وبعد ذلك كانوا يوجهون الى اقامة مجتمع رجعى انتهازى استغلالى ، كنا نتعلم ذلك . كيف نستغل وننتهز الفرصة .

واليوم لكى نبنى مجتمعا جديدا سليما تسوده الرفاهية لا بد أن تكون لنا مثل ومبادىء نبنى عليها هذا المجتمع ، لا بد أن يعرف كل مواطن طريقه وهدفه وغرضه . وماذا يريده وماذا يعمله لتحقيق هذا الهدف » .

(فى المؤتمر التعاونى أول يونيه ١٩٥٦)

* * *

● **نظام الحكم وسيلة لغاية اجتماعية :**

« نظام الحكم لم يكن أبدا غاية من الغايات ولكن نظام الحكم ذاته ، أى نظام حكم فى العالم فى ذاته ليس الا وسيلة . أما الغاية من النظام الغاية التى يطلبها كل انسان فهى اقامة مجتمع تسوده الرفاهية .. نعم نظام الحكم ليس غاية ولكن نظام الحكم وسيلة لتحقيق أصلح مجتمع انسانى » .

(فى المؤتمر التعاونى أول يونيه ١٩٥٦)

* * *

● **التفكير الاجتماعى :**

« لا بد أن يتطور التفكير الاجتماعى وأن يتحول على أساس أننا نسير فى هذا طبقا للقوانين وطبقا للدستور . وهذا يمكننا أن نصل الى مجتمع كريم » .

(فى المؤتمر التعاونى أول يونيه ١٩٥٦)

* * *

● **أول أهداف الحكومة :**

« ان الهدف الأساسى للحكومة هو النهوض بالأحوال الاقتصادية والاجتماعية للشعب العربى المستقل المتحرر » .

(من حديث مع مراسل الاسوشيتدبرس ٢١ نوفمبر ١٩٥٦)

● **بركة الثقة :**

« هل كان يمكن أن تؤمم القنال ؟

هذا العمل الذى اتخذ سنة ١٩٥٦ لم يكن ممكنا أن يعمل سنة ١٩٥٤ ، فهناك عوامل الشك فلم تكن الثقة فى نفوسنا قد ثبتت بعد ثقة كل منا بأخيه ، وثقة كل منا بالوطن ٠

ولما اتحد الوطن واكتملت الثقة استطعنا أن نحقق هذا الهدف وأن نعيد الحقوق الى أصحابها وأن نؤمم القنال » ٠

(فى المؤتمر التعاونى ٥ ديسمبر ١٩٥٧)

***

● **أخلاق اجتماعية :**

« أنتم مسئولون عن قول الحقيقة ٠ الواحد منا لا يتكلم الا وهو يعرف أن هناك واقعة معينة يبلغ عنها ٠ أنا عندى قلم شكاوى تجىء اليه جوابات يحقق فيها وسنرى لكن لا يمكن أبدا أن أؤيد أية حملة كلامية الغرض منها الهدم ولكن أشخاصا يستجيبون لها لكى أهدم هذا الشخص أو هؤلاء الأشخاص وأحقق لأصحاب الحملة هدفهم » ٠

(فى المؤتمر التعانى ٥ ديسمبر ١٩٥٧)

***

● **كفى بالأمل داعيا الى العمل :**

« ما من شعب وقع فريسة للاستغلال والتضليل والتغرير مثل شعبنا ولقد كان الاعتقاد السائد قبل الثورة هو ألا فائدة ٠٠ !

يبقى المحتل ولا فائدة ٠

ويستبد الملك ولا فائدة ٠

وتحتكر خيرات البلاد ولا فائدة ٠

وتنهب ثرواته وتبعثر آماله ولا فائدة ٠

حتى لقد وصل الأمر الى حد احترقت عاصمة مصر واندلع اللهب فيها ولا فائدة ٠

كانت هذه العبارة الصغيرة تقرع أسماعنا صباح مساء تسد الفضاء الرحب من حولنا وتبقى عزيمتنا أسيرة اليأس ٠

فاذا كان للثورة قيمة حقيقية ـ وان لها لقيمة حقيقية ـ فهى أن هذه العبارة قد مسحت من قاموس شعب مصر ٠

لقد أصبحت هناك فائدة من كل عمل نقوم به ، من كل خطوة نخطوها ، من كل فكرة تخطر لنا ٠

أن باب الأمل مفتوح على مصراعيه أمامنا ٠ وان الأمل لدعوة صريحة الى العمل ٠

(من خطاب افتتاح مجلس الأمة فى ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٧)

***

● **أهداف الثورة :**

ويمكن تلخيص أهداف الثورة وما تنطوى عليها فلسفتها من مبادىء فيما يأتى :

١ ـ رفع مستوى معيشة الفرد العادى فى مصر ماديا ومعنويا ٠

٢ ـ اقامة حياة ديمقراطية حقة على أساس سليم فى البلاد ٠

٣ ـ القضاء على الاقطاع بالاصلاح الزراعى ٠

٤ ـ تخليص الاقتصاد القومى من قبضة الاحتكار الذى يحرم الفرد من حريته والدولة من سيادتها ٠

٥ ـ تقوية الجيش للمحافظة على سيادتنا وحماية مسئوليتنا الدولية ٠

٦ ـ نشر العدالة الاجتماعية ٠

(من خطاب مؤتمر باندونج ١٨ أبريل سنة ١٩٥٥)

***

● **العيد الخالد :**

« أيها المواطنون ٠٠

لعل أجدادنا يتطلعون الينا من المثوى الذى تسكنه أرواحهم فى هذا اليوم برضا وفخر ٠

ولعل أحفادنا الذين ما زالوا فى مجاهل المستقبل سوف يعودون بعد مئات السنين الى ذكرى هذا اليوم باعزاز وتقدير ٠

لعل هؤلاء وهؤلاء الأجيال التى مضت والأجيال التى ستجىء تلتقى نظراتهم عند هذا

وأساطير، أبناؤه الذين غرسوا فى التاريخ أول استكمالا لكفاح من ذهبوا وتمهيدا لكفاح القادمين » ٠

***

● **بالحب والتسامح والفهم المتبادل نبنى الوطن :**

« أيها المواطنون

ان مرحلة من كفاحنا قد انتهت ومرحلة جديدة توشك أن تبدأ ٠

هاتوا أيديكم وخذوا أيدينا وتعالوا نبنى وطننا من جديد بالحب والتسامح والفهم المتبادل ٠

اللهم اعطنا المعرفة الحقة كى لا يستخفنا النصر وتدور رءوسنا من نشوته ٠

اللهم اعطنا الأمل الذى يجعلنا نحلم بما سوف نحققه فى الغد أكثر مما يجعلنا نفاخر بما حققناه فى الأمس واليوم ٠

اللهم اعطنا الشجاعة لنستطيع أن نتحمل المسئوليات التى لا بد أن نتحملها فلا نستهين ولا نهرب منها ٠

اللهم اعطنا القدرة على أن نواجه أنفسنا

ونتقبل أن يواجهنا الآخرون بالحق والعدل ٠

اللهم اعطنا القوة لندرك أن الخائفين لا يصنعون الحرية والضعفاء لا يخلقون الكرامة ، والمترددين لم تقو أيديهم المرتعشة على البناء٠

(من كلمة أذيعت بالراديو يوم اتفاقية الجلاء عن مصر ١٩ أكتوبر ١٩٥٤)

***

● **عانينا طويلا :**

منذ سنين طويلة تستعصى على الحساب ، ووطننا يعيش تحت أوضاع محزنة ، مكانته التاريخية فى الدنيا لم يبق منها الا حكايات

وأساطير أبناؤه الذين غرسوا فى التاريخ أول جذور المدنية لم يجدوا ما يحصدونه بل أصبحوا هم أنفسهم حصادا للفقر والمرض ٠ جيشه الذى كان أعظم الجيوش تألبت عليه القوى وفرضت عليه الضعف والهزيمة ٠

ان قيمته الروحية بدأت تعانى من هذه الظروف كلها أشد صنوف العذاب والارهاق والطغيان يصنع الذل ٠ والجوع يقتل الكرامة٠ والاستبداد يعلم الخوف ٠ والاستغلال يفقد العمل الشريف معناه ٠ ويجعل انتهاز الفرصة بأى ثمن وعن أى طريق ، قانون المجتمع وسنته ٠

***

● **القدر المساعد :**

« وقدر لهذا الجيل أن يلمس بيده النعيم الكبير » ٠

« مكانة الوطن عادت اليه بحق وجدارة » ٠

أبناؤه لم يعودوا حصارا للفقر والمرض ٠ وانما هبوا لمعركة مستميتة ضد الفقر والمرض٠ جيشه لم يبق كما كان ٠ قيمه الروحية عادت اليها معانيها ٠ فتأكد أن لا شرف بغير حرية ولا كرامة بغير عدل ٠ ولا رزق بغير عمل ٠ ولا فرصة بغير كفاية ٠

ولكن جيلنا لم يصنع هذا كله ٠

فخلال قرون طويلة كانت أجيال شعبنا تكافح وتناضل ، كان الشهداء يسقطون على الأرض وبجوارهم أعلامهم مضرجة بالدماء ٠ ولكن لا يستسلمون أبدا ٠ كانت المعارك لا تنقطع بين مد وجزر ٠ وتقدم وتأخر ٠ ولكن روح المقاومة فينا ظلت تخفق وتنبض ٠

ثم جاء موعدنا مع القدر ٠ أتيح لجيلنا أن يشارك فى المرحلة الحاسمة من المعركة وأن يسمع بأذنيه دقات أجراس النصر تتجاوب فى الآفاق ٠

(من تهنئة للشعب بتحقيق الجلاء أذيعت بالراديو فى ١٨ يونيه ١٩٥٦) ٠

زعماء العالم الاسلامي .. في القاهرة

السيد الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل السيد محمد أو وزير الاشغال العامة والاسكان والمواصلات والمناجم (لجمهورية مالى)

محمد أو
وزير الأشغال العامة والإسكان والمواصلات والمناجم لجمهورية مالى

من أجل العمل البناء لوحدة العمل العربية الأفريقية .

من أجل التماسك مع جميع الشعوب والتعاون بين الدول الأفريقية .

من أجل تجميع قوى الكفاح الأفريقى لغد أفضل ومستقبل مشرق للانسانية جمعاء تستقبل القاهرة .. الزعماء الأحرار .. لدعم أسس الكفاح والوثبة الافريقية

ففى ٩ يناير .. وصل الى القاهرة « السيد/ محمد أو » وزير الأشغال والاسكان والمواصلات والمناجم لجمهورية « مالى » .

أمضى أسبوعا تفقد خلاله ما تم فى شأن مشروعات طرق مالى والفندق السياحى المقرر انشاؤه فى العاصمة « باماكو » .

والتقى ضيف القاهرة بالرئيس جمال عبد الناصر وحضر الاجتماع السيد موديبو ديالاو سفير مالى بالقاهرة .. وقد قام وزير مالى بعدة زيارات لتفقد معالم القاهرة فزار مديرية التحرير وشاهد مناطق الاصلاح الزراعى بالمديرية .

وفى الاسكندرية . زار قصر رأس التين وكان يرافقه الدكتور « **مصطفى خليل** » وزير المواصلات العربى وزار الوزيران محطة الركاب البحرية والباخرة العربية « **الجزائر** » .

كما زار السيد « محمد أو » الأقصر وأسوان ومنطقة السد العالى .

وفى وزارة المواصلات احتفل بتوقيع البروتوكول الخاص بالاجراءات التنفيذية لانشاء الفندق السياحى والطريق الرئيسى فى جمهورية مالى . وقعها عن « **الجمهورية العربية المتحدة** » **وزير المواصلات** ، وعن « **جمهورية مالى** » السيد « **محمد أو** » وزير المواصلات ، وموديبو ديالو سفير مالى - على أن يبدأ سفر الفنيين المصريين لتنفيذ هذه المشروعات ابتداء من شهر فبراير .

واستقبل السيد على صبرى عضو مجلس الرئاسة ورئيس المجلس التنفيذى السيد « محمد أو » واستعرض معه ما تم تنفيذه حتى الآن من اتفاقية القرض المعقودة بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية مالى . وكذلك ما تم تنفيذه من المشروعات التى أسند تنفيذها الى الجمهورية العربية المتحدة فى مالى .

وقد وقع وزير مالى « محمد أو » على التصميمات النهائية للمشروعات المختلفة الجديدة . والمعروف أن تكاليف الفندق السياحى تبلغ ثلاثة ملايين جنيه بينما تبلغ تكاليف الطريق الجديد - الذى سينشأ بين سباكاسو وكاتيالا البالغ طوله ١٢٠ كيلومترا - مليونا و ٢٥٠ ألف جنيه ، وسيتم تحويل هذين المشروعين من القرض العربى لمالى وقدره ستة ملايين جنيه .

مالى فى سطور :

*** تقع غرب أفريقيا . يحدها غربا السنغال وغينيا - وشرقا جمهورية فولتا العليا والنيجر - وشمالا موريتانيا والجزائر وجنوبا ساحل العاج .**

*** المساحة : مليون و ٣٣٠ ألف كيلومتر .**

*** السكان : ٤٫٧٠٠٫٠٠٠ نسمة .**

*** نسبة المسلمين : ٩٥٪ من مجموع السكان .**

*** العاصمة : باماكو . وهى تشتهر بانتاج الفول السودانى والأرز .**

*** كانت مالى قبل الاستقلال تسمى السودان الفرنسى - يضمها اتحاد فيدرالى مع السنغال .**

*** استقل هذا الاتحاد فى ٣٠ يونيو ١٩٦٠ ثم انفصل السنغال من الاتحاد .**

*** فى ٢٢ من سبتمبر سنة ١٩٦٠ استقل السودان الفرنسى وأطلق اسم جمهورية مالى عليها .**

*** ضيف القاهرة محمد أو :**

*** تخرج مهندسا للطرق والكبارى .**

*** فى عهد الاستعمار الفرنسى اشتغل بمصلحة الأشغال العامة . حتى جاء الحكم الذاتى .**

*** فاشتغل وزيرا لاشغال جمهورية السودان ، ثم وزيرا لأشغال اتحاد مالى .**

*** واليوم : وزير أشغال ومواصلات ومناجم واسكان جمهورية مالى المستقلة .**

*** قدم الى القاهرة بدعوة من السيد مصطفى خليل وزير مواصلات الجمهورية العربية المتحدة .**

"نؤمن برباط روحى وثيق
يشدنا إلى العالم الاسلامى"
الميثاق

نحو تنظيم شعبى جديد

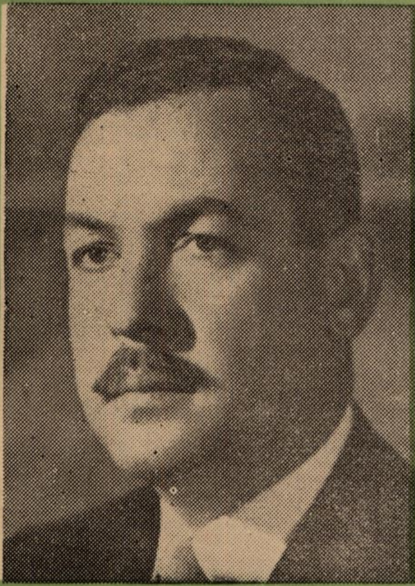

السيد / حسين الشافعى
نائب رئيس الجمهورية
وعضو مجلس الرياسة

كثيرون يسألون عن دور الاتحاد القومى .. هل أدى دوره ؟ هل فشل فى مهمته ؟

وأرد عليهم بأن مرحلة الاتحاد القومى كانت مرحلة حتمية .. مرحلة من مراحل التطور .. القيادة تعبر عن ارادة الشعب .. والشعب يؤمن بصدق أن هذه القيادة تريد دائما أن تعطيه .. بل أن تنتزع له حقوقه المسلوبة .

اننى ابتعد فى التعبير عن وصف هذه المرحلة بالنجاح أو الفشل .. اننى أقول ان

التنظيم الشعبى الذى عبرت عنه هيئة التحرير ثم الاتحاد القومى .. كان انعكاسا لمراحل طبيعية ، من واجبنا أن نتعمق الى جذورها ، لنستمد من النظرة العميقة الصادقة .. رؤى المستقبل ومقتضيات هذا المستقبل ..

ثم ظهر عامل جديد فى مرحلة التطور ..

الميثاق الوطنى .. كانت هناك عقبات أمام الاهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. كانت القيادة فى معارك قاسية مستمرة

لتطهير الأرض من هذه الألغام.. استعمار.. اقطاع .. رأس مال مسيطر .. وكانت أهداف التطور تتقدم وسط دخان هذه المعارك .. ثم تم التمهيد الكامل لانطلاق التطور فى اطار واحد.

نظرنا الى الماضى البعيد والماضى القريب ونحن نبنى الحاضر من أجل المستقبل القريب والبعيد .. فاستنبطنا نظرية العمل، دليل التطور .. حددنا مكان وقوفنا وأبعاد انطلاقنا. فكان الميثاق ..

بقى عندنا الميثاق دليل العمل .. تبلورت أفكارنا فى أسلوب فى مكنة الجميع ان يفهموه ويهضموه .. ولكن ظهور الميثاق كان يعنى ظاهرة جديدة .. كان يعنى تحولا أساسيا فى وسيلة تحقيق التطور ذاته ..

حقائق التطور تقول ان القيادة معبرة عن الارادة الشعبية - كانت تصنع التطور .. وضعت طبيعة مراحل التطور على اكتافها كل الأعباء .. زال الاقطاع .. تخلصنا من المستعمر .. جردنا رأس المال من طبيعته المستغلة .. دخلنا فى معارك مستمرة عنيفة ضدكل المؤامرات الرهيبة التى كانت ولاتزال نتيجة طبيعية لانهزام كل هذه القوى .. ومن كفاح الخطأ والصواب فى التجربة الكبرى انبثق اطار واضح للمجتمع .. دليل نظرى وعملى للبناء الثورى المتكامل ..

وهذا البناء الثورى .. بمن ؟ ولمن ؟.. كان مستحيلا أن يقوم الا بالارادة الشعبية وتعبيرا عنها .. وكان مستحيلا أن يحقق الانتصار فى مراحله المختلفة الا اذا كان محققا للحاجات الشعبية ؟ ولكنه فى مرحلة النضج فى حاجة الى الحماية .. من يحميه ؟.. من يحرسه ؟..

طبعا الشعب ..

فما هو السلاح الذى يحمى به الشعب مكاسبه ؟.

هو أن يشارك الشعب فى صنع التطور .. أن يحمل المسئولية فوق اكتافه .. أن تمتد كل الأيدى لتدفع عجلة التقدم .. ان التطور الذى حملت الطليعة أعباءه حقق فى كثير من النواحى فوق ما كان يتصور الكثيرون انه ممكن التحقيق .. العامل يشارك فى ادارة المصنع وأرباحه .. العامل أصبح وزيرا .. المرأة دخلت دورها الفعال فى المجتمع .. المعدم أصبح مالكا .. رأس المال ووسائل الانتاج ملك للمجموع .. مهدت القيادة كل الطرق التى تؤدى بالحقوق الى أصحابها .. وكان ذلك واجبها بل ضريبة الوطن عليها لانها قيادة ثورية .. مبشرة وداعية الى تطور جذرى .. وجاءت المرحلة الجديدة .. مرحلة التطور السياسى الذى يحمى هذه الحقوق ويقومها ويدعمها ويجعلها تؤدى هدفها الى تفاعل طبيعى مع المجتمع .. مع قلوب الناس وعقولهم .. وهذا واجب الشعب وحقه فى الوقت نفسه .. وبتعبير آخر تصبح الديمقراطية وسيلة وغاية.

اذن كيف نحقق هذا الهدف الكبير .. مشاركة الشعب فى المسئولية .. حمايته للتطور ؟.

الجواب **البسيط** ..

التنظيم .. تنظيم مباشرة هذه المسئولية .. وتنظيم يحقق جدوى حماية التطور .. ولنسأل أنفسنا فى بساطة .. **ماذا يجمع الناس ؟.. ماذا يجعلنى أرغب فى الجلوس اليك أو الى مجموعة من الناس ؟.. ماذا يدفعنى الى حضور أى اجتماع ؟..**

الجواب ببساطة هو شعورى بالارتياح اليك أو الى هذا الشخص أو الى هذه المجموعة من الناس .. شعورى بأننى ساعبر عن نفسى بسهولة .. بلا جهد .. بلا تعنت..

ومن هنا تنشأ الروابط الطيبة بين الناس .. العلاقات الحسنة .. البساطة فى تبادل المشاعر والكلمات ..

هذا هو الاساس الاول فى التنظيم الشعبى الذى يكون الاتحاد الاشتراكى العربى .. ان تتجمع الجماهير فى تنظيمات بسيطة

خالية من التعقيد برغبتها الكاملة .. بارادتها النابعة من نفسها .. ان الاشتراك فى الاتحاد الاشتراكى العربى اختيارى .. الاتحاد يرحب بك .. يفتح صدره لك اذا أنت اردت أن تكون عضوا فيه .. أنت عضو فى هذا المجتمع الشعبى اذا اردت ذلك .. أنت مشترك فيه لانك تريد ذلك ..

كيف تعرف مكانك فيه ؟.. القراءة العادية للقانون .. التنظيم يشمل اندراج كل القوى العاملة .. كل القوى المستنيرة من التطور الثورى .. اذا أردت أن تمد يدك لتدعيم هذه القوى فأهلا بك وسهلا ..

ومن هنا يكون التنظيم الشعبى أصيلا .. القانون لم يصنع الاتحاد الاشتراكى العربى .. القانون هو مجرد اداة لتنظيم العمل لا أكثر ولا اقل ..

اعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى هم الذين يصنعون الاتحاد بارادتهم الكاملة .. برغبتهم الشاملة .. بمزاجهم يتجمعون وتنشأ بينهم روابط طيبة وأهداف طيبة .. وهذه هى الاصالة فى التنظيم .. اصالته فى بساطته .. اصالته تعطيه القوة .. اصالته تعطيه الاستمرار وتكفل له النمو ..

الاصالةهى سر النجاح والاستمرار .. ليس المهم هو المظهر البراق ..

لنطبق هذه الفكرة على أى شىء فى حياتنا .. الاغنية مثلا ، يمكن أن نستمع الى الاغنية المثيرة اللحن فننفعل بها الى لحظات .. ثم يتبدد شعورك بعد هذه اللحظات .. ان لحنها وكلماتها واداءها لم تنفذ الى أعماقك .. لم تتعمق الى أغوار نفسك .. لم تخاطب مشاعرك فى صدق .. أما الاغنية الاصيلة فهى التى تستقر فى وجدانك .. تضيف الى مشاعرك شيئا جديدا يلازمها وينمو معها .. ومهما طال بها الزمن فانت تزداد تشربا بها .. ان عدم الاصالة فى أى شىء عمل يستنزف مجهودا يوازى عدم الاصالة ذاتها ..

خلاصة القول اذن .. أن المرحلة الجديدة مرحلة الديمقراطية السليمة .. ستحقق أهدافها باذن الله .. لانها أولا جاءت نتيجة طبيعية للمراحل التى سبقتها .. ولأنها ستباشر وجودها بأسلوب بسيط أصيل نابع عن الارادة الكاملة للناس مما يهيىء الاستمرار لهذا الوجود .

ولماذا نذهب بعيدا ؟.. ان حكمة الاديان السماوية فى ذلك واضحة اذا نحن عمقنا النظر .. جاء النبى موسى الى بنى اسرائيل متلقيا رسالته من ربه « اذهب الى فرعون انه طغى » فحمل شعار « العين بالعين والسن بالسن » .. ولما رأى الله أنهم تمادوا فى تمزيق بعضهم البعض ، أرسل عيسى عليه السلام لبنى اسرائيل حاملا شعارا جديدا يصلح من شأنهم ــ وهو شعار التسامح ــ .. « من ضربك على خدك الأيمن فادر له خدك الأيسر » مرحلة أخرى .. ثم جاءت المرحلة الثالثة .. دعوة الاسلام .. « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن » مرحلة الاقناع والتسامح وأنت قادر عليه .. « فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .. بل واصل الى مرحلة أسمى : مرحلة ارتفاع الانسان الى مستوى الكمال .. « وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » هذا هو السمو ..

أخلص من هذا الى أن البشرية ليست حقل تجارب امام الله سبحانه وتعالى .. ولكنه قدم للانسان الهداية على مراحل تتفق وتطور غرائزه وطبائعه ووعيه ..

واذا أخذنا المثل .. واذا تلمسنا القدرة من حكمة الله .. فاننا نجد أن تطور مراحل كفاحنا جاءت منسقة مع طبيعة هذا الكفاح .. وهى فى المرحلة الجديدة تعبر فعلا عن الهدف المتبلور الواضح .. الديمقراطية بالشعب وللشعب .. الديمقراطية وسيلة وغاية .

حقيقة العيد في الإسلام

فضيلة شيخ الجامع الأزهر
محمود شلتوت

عن أنس رضى الله عنه قال : قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة فوجد للأنصار يومين يلعبون فيهما فقال :

ما هذان اليومان ؟ قالوا : يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية . فقال : قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما : يوم الأضحى ويوم الفطر .

فيوم الفطر هو أول يوم يشعر فيه المؤمن بفرحتين عظيمتين لهما الأثر القوى فى حياته وقوتها : فرحة القيام بالواجب ، واجب الطاعة والامتثال لله ، وفرحة الثقة بحسن الجزاء ، وفى هاتين الفرحتين يقول عليه الصلاة والسلام « **للصائم فرحتان : فرحة عند افطاره، وفرحة عند لقاء ربه** » .

والقيام بالواجب والايمان بحسن الجزاء عاملان قويان فى سعادة الفرد والمجتمع . ففى القيام بالواجب طمأنينة النفس وراحة الضمير، وانشراح الصدر ، وقوة العزيمة ، وادراك للسمو الروحى الذى يجعل الخير كله فى بذل ما وجب ، لا لشىء سوى أنه وجب ، ولو تنبه الناس الى ما فى القيام بالواجب من هذه المعانى الفاضلة ، وعرفوا واجباتهم وبادروا بأدائها وهى منثورة فى كل وقت من كل يوم لكان لهم فى كل وقت من كل يوم عيد يفرحون فيه القيام بالواجب .

أما الايمان بحسن الجزاء فهو العامل النفسى الوحيد الذى يدفع الانسان الى المغامرة

والتضحية والجهاد فى سبيل المجد ، والى البذل فى كل ما يستطيع غير متردد ولا متشكك فى أنه سينال الجزاء الأوفى على ما قدم من عمل أو بذل من نفس أو نفيس ، واذا ما فات الانسان هذا الجانب من الايمان ضعفت لديه بواعث الخير وخضع لبواعث الشر أكثر مما يخضع لبواعث الخير ، لأنه يرى فى الشر يفعله ، قهرا لغيره وعزة وسلطانا لنفسه ، دون أن يخشى عقابا عاجلا لعزته ، ولا آجلا لعدم ايمانه ، ومن هنا كانت الدعوة الى الايمان بيوم البعث والجزاء فى أول ما دعى اليه الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وتلك سنة الطبيعة البشرية • فعلى المهيمنين ، وعلى المشرعين وعلى المهذبين أن يقرروا عمليا قاعدة الايمان بحسن الجزاء ، ولا يكون ذلك الا عن طريق الجزاء الحسن لمن يحسن والجزاء السىء لمن يسيىء ، وان خلو القوانين عن مكافأة المحسن واقتصارها على معاقبة المسيىء لمما يخف وزن الحسنة فى النفوس •

واذا كنا نجد فى يوم الفطر التذكير ببناء الاسلام تشريعا ، ونجد فيه لذة القيام بواجب الصوم ، ونجد فيه الشعور بلذة العودة الى الحرية الشخصية ، ونجد فيه الايمان واليقين بحسن الجزاء للمحسنين ، فنتخذه لكل ذلك عيدا، فيه نفرح، وفيه نتزاور، وفيه نتهادى، وفيه نستريح من عناء الأعمال – فاننا نجد له اعتبارا وراء ذلك كله يضاعف المعنى فى عيديته ، ذلك أن يوم الفطر هو اليوم الذى يعود فيه الصائم المؤمن من رحلة روحية ميقاتها شهر رمضان ، ترك فيها باسم الله مألوفاته ومشتهياته واكتسب فيها خلق المراقبة الذى يجعل له من قلبه وايمانه الحارس اليقظ والرقيب الذى لا ينام ، كما اكتسب فيها خلق الرحمة لعباد الله ، وخلق الصبر على الشدائد ، وصار بكل ما اكتسب فيها منبع خير لنفسه ولعباد الله ، وفى الوقت الذى تختم فيه هذه الرحلة الروحية بيوم الفطر ، تبدأ به رحلة أخرى ينضم فيها البدن الى الروح ، ويستعين المؤمن على مشاقها بما اكتسبه فى الرحلة الأولى من أخلاق الصبر والعزم والايمان ، وتلك هى رحلة الحج التى تبدأ من يوم الفطر « **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى** » •

ان يوما تنتهى به رحلة روحية هى رحلة الصوم ، وتبدأ به رحلة بدنية روحية هى رحلة الحج وزيارة بيت الله الحرام ، لجدير أن يكون عيدا وأن يكون عيدا فوق الأعياد •

لهذه الاعتبارات كلها جعل الله يوم الفطر عيدا للمسلمين ، فيه يتبادلون التهانى والتزاور وفيه يتعاطفون ويتراحمون ، وفيه يتجملون ويتزينون ، وفيه يتمتعون بطيبات ما رزق الله ، وفيه يوثقون فيما بينهم عرى المحبة والأخاء ، ثم لم يقف بهم فى معنى العيد ومظاهره عند هذا الجانب المادى بل جعل لهم فيه مظهرا روحيا يتجلى فى اجتماعهم العام الذى يفتتحون به يومهم لأداء صلاة تعرف بصلاة العيد يسبحون فيها ويكبرون ، ويتجلى أيضا فى مظاهر العطف على الفقراء والمساكين وأرباب الحاجات ومن هنا يتصل الانسان بربه عن طريق العبادة ، وبالناس عن طريق المحبة والاخاء •

وبذلك لم يكن فرح المسلمين فى أعيادهم فرح لهو ولعب تقتحم فيه الحرمات وتنتهك فيه الأعراض ، وتشرد فيه العقول بل وتسلب، وانما هو فرح زينة وعبادة يجمع بين حظى الجسم والروح ، ويبقى على المعانى الفاضلة التى اكتسبها الانسان فى شهر رمضان وترفعه الى أسمى ما ينبغى أن تتجه اليه الانسانية الفاضلة • وان من الشذوذ الفاضح أن يظن المسلم أن غيرة الله على حدوده ومحارمه فى رمضان أشد منها فى غير رمضان ، فيستبيح لنفسه المحرمات، ويتخذها فى يوم عيده ومظهر عزته وقوميته عنصرا من عناصر زينته وفرحه •

فقفوا أيها المسلمون عند الحدود وصوموا عن المحارم يكن لكم أعياد فى الأرض وأعياد فى السماء •

حديث مع

سفير ليبيا .. بالقاهرة

السيد طاهر باكير

قال السفير الليبى الجديد وهو يقدم أوراق اعتماده الى **الرئيس جمال عبد الناصر** : ان الجمهورية العربية المتحدة أحرزت تقدما هائلا فى كافة الميادين وفى حقبة وجيزة من الزمن بفضل قيادة الرئيس جمال عبد الناصر ..

وقد ألقى السيد الرئيس الكلمة التالية ردا على الكلمة التى ألقاها السفير الليبى عند تقديم أوراق اعتماده :

يسرنى أن أستقبلكم ممثلا للاخ الملك ادريس الأول السنوسى ملك المملكة الليبية المتحدة ، وهو ليس غريبا عن هذه الجمهورية ، وأنتهز هذه الفرصة لأعبر لكم عن مشاعر الأخوة والمحبة التى يكنها شعب وحكومة الجمهورية العربية المتحدة نحو بلادكم ، كما أعبر لكم عن تمنياتنا بالسعادة لشعب ليبيا العظيم وأؤكد لكم أننا نسعى دائما الى توطيد أواصر الأخوة والمودة بين بلدينا الشقيقين وكذلك بين جميع البلاد الشقيقة .. ولسوف تجدون منا كل عون فى أداء مهمتكم وفى تأكيد هذه العلاقات الأخوية الطيبة وتنميتها .

وكان السيد طاهر باكير قد ألقى الكلمة التالية :

.. لى الشرف العظيم أن أقدم لفخامتكم أوراق استدعاء سلفى والأوراق التى يعتمدنى بها مولاى الملك ادريس الأول ملك المملكة الليبية المتحدة سفيرا لدى فخامتكم ، ويسرنى بهذه المناسبة السعيدة أن أذكر لفخامتكم بانى سأضاعف الجهود بكل اخلاص من أجل توثيق علاقات الأخوة الصادقة وروابط المودة القوية بين بلدينا العربيين الشقيقين . وانى يافخامة الرئيس اذ أبدى الاعجاب بالنهضة المباركة والتقدم الهائل الذى أحرزته الجمهورية

العربية المتحدة فى كافة الميادين وفى حقبة وجيزة من الزمن بفضل قيادتكم الرشيدة واخلاص رجالات هذا الوطن العربى الشقيق لأنوه الى تشجيعكم وعطفكم فى سبيل تسهيل مهمتى الرامية الى دعم مابين بلدينا من روابط أخوة متينة ـ ويشرفنى فى هذه المناسبة السعيدة أن أحمل لفخامتكم أصدق تحيات أخيكم الملك ادريس العظيم مقرونة بمشاعر المودة الصادقة وأخلص التمنيات لشخصكم العظيم بدوام الصحة والسعادة وللشعب العربى الشقيق باطراد التقدم والازدهار ٠

والتقت مجلة **منبر الاسلام** بسفير ليبيا الجديد لتهنئة سيادته بالمنصب الجديد وقد تفضل سيادته مشكورا بالاجابة على أسئلة المجلة فى حديث قيم

العلاقة بين ليبيا والجمهورية العربية المتحدة :

ابتدأ سيادته بالحديث فقال : اتسعت العلاقات بين ليبيا ، والجمهورية العربية المتحدة منذ قديم الزمان بروح الأخوة والمحبة الصادقة والتعاون فيما يعود عليهما بالنفع الكثير ، وليس جديدا أن أكرر بأن بلادى ترتبط مع الجمهورية العربية المتحدة برباط ثقافى تعليمى ٠ لايزال سارى المفعول حتى الآن ٠

وقد ترتب على هذا الاتفاق أن وحدنا مناهج التعليم فى البلدين وجعلناها متفقة فى الروح والمظهر باستثناء مادتى التاريخ والجغرافيا اذ هما مادتان يجب أن يتضمنا الواقع التاريخى للبلاد وجغرافيتها بشىء من التفصيل حتى يستطيع الدارس أن يكون فكرة صادقة عن تاريخ بلاده وأمجاد مجاهديه ٠

كما ترتبط بلادى مع الجمهورية العربية المتحدة باتفاقيتى دفع وتجارة وقعتا عام ١٩٥٤ وهو يتجدد تلقائيا كل عام اذا لم يبد أحد الطرفين المتعاقدين رغبة فى تعديل الاتفاق

التعليم الدينى فى ليبيا :

ـ وسألنا سيادة السفير عن نظام التعليم الدينى فى ليبيا ٠٠ فقال سيادته :

ـ يهمنى أن أوضح هنا أن التعليم الدينى مزدهر فى المملكة الليبية المتحدة ويسير بخطى كبيرة الى الامام وذلك بفضل الجامعة الاسلامية التى أسسها مولانا الملك المعظم وأطلق عليها جامعة **السيد محمد بن على السنوسى** والتى تضم الآن آلافا من الطلاب فى كليتى اللغة والشريعة الاسلامية كما تضم كبار الاساتذة المعارين من الجامعة الأزهرية والاساتذة الليبيين الذين تخرجوا من كليات الأزهر ودار العلوم وغيرها من الكليات وتطبيق أحدث الأنظمة الدراسية فى الجامعة الاسلامية الليبية التى تغدق على الطالب الغذاء والكساء والمسكن المجانى وتفتح أبوابها لأبناء أفريقيا الذين حرمهم الاستعمار من التعليم ٠

المرأة فى ليبيا :

ـ وهل للمرأة دور فى بناء المجتمع الليبى ؟

ـ تقوم المرأة الليبية الآن بدور كبير فى بناء المجتمع الليبى ، وذلك بتأسيس جمعيتين نسائيتين فى طرابلس وبنغازى مهمتهما مكافحة الأمية بين النساء واعانة الفقراء وتأسيس الملاجىء ومكافحة الأمراض عن طريق القاء محاضرات لتنمية الوعى الصحى ، هذا فضلا عن الدور العظيم الذى تقوم به المرأة فى حقول التعليم فى مراحله الثلاث ٠ فمدارس البنات فى مختلف المراحل تقوم أساسا على سيدات ليبيات تخرجن من معاهد التعليم كدار المعلمات بطرابلس وأختها فى بنغازى ، كما تقوم المرأة فى المناسبات الوطنية بدور عظيم لجمع التبرعات وكم من أدوار رائعة قمن بها أثناء معارك الجزائر منذ ان اشتعلت هذه الثورة الى يوم اعلان استقلالها ٠

وباختصار فان المرأة الليبية تبذل من وقتها وعلمها الكثير فى تطوير النشء الليبى وذلك لمجابهة مستقبل الأمة المرموق كما تساهم المرأة الليبية فى دور المستشفيات كممرضات وزائرات للبيوت الصحية ٠

ثم اختتم سيادة السفير الليبى حديثه

معنا بالتعبير عن مشاعره تجاه الجمهـــورية العربية المتحدة ٠٠ فقال :

أنا لست جديدا على الجمهورية العربيـــة المتحدة فقد تسنى لى أن أزورها قبل مهمتى هذه عدة مرات ولكننى والله يشهد قد شاهدت أثناء اقامتى هذه مالم اشاهد فى السابق ٠٠ فقد لفت نظرى المشاريع الانمائية العظيمة التى وضعها المخططون والمختصون فى شتى المجالات مما يؤكد أن نهضة كبرى تنتظر هذا البلد على يد البطل **جمال عبد الناصر** ٠٠ كما لفت نظرى أيضا مئات المصانع التى انتشرت فى قلب المدن الهامة فى الجمهورية العربية المتحدة وعلى رأسها جميعا مصنع الحديد والصلب ٠

كما أن الانصاف يقتضينى أن أشـــيد بالجهود الجبارة الكبيرة التى تقوم بها الدولة لخلق المعجزة الكبرى الا وهى بناء السد العالى الذى سيطور الحالة الزراعية والصناعية الى آفاق جديدة ستحقق مستوى رفيعا لشـــعب كافح من أجل الحياة الحرة الكريمة وبذل بقيادة بطله العظيم الرئيس جمال عبد الناصر الكثير من العرق والكثير من الشهداء لدرء خطـــر الاستعمار ولتنظيم حياته وفقا للنظـــام الذى رأى أنه أجدر الأنظمة لخلق مستوى طيب فى الحياة ٠

من هو سفير ليبيا الجديد : ؟

*** ولد فى طرابلس فى ١٥ـ٢ـ١٩٠٤**

*** درس فى دار العلوم بدمشق ـ ثم كلية أحمد باشا بطرابلس ٠٠ ثم المعهـــد الشرقى بنابولى ٠**

*** من ١٩٣٦ـ١٩٤٣ اشتغل أســـتاذا بالمدرسة الاسلامية العليا بطرابلس**

*** من ١٩٤٤ـ١٩٥٢ اشتغل مستشـــارا اداريـــا ثم نائب كبير المتصرفين ثم كبير المتصرفين**

*** من ١٩٥٢ـ١٩٥٧ اشتغل مديرا للداخلية ثم ناظرا للداخلية ثم الصحة والمعـــارف والمواصلات**

*** من ١٩٥٧ـ١٩٥٨ عين وزيرا للمعارف**

*** من ١٩٥٨ـ١٩٦٠ عين واليا لولايـــة طرابلس الغرب**

*** فى ١٩٦٠ كان سفيرا بالمغرب**

*** حصل على وسام الاستقلال من الطبقة الاولى « ليبيا » ووسام الاستقلال « تونس »**

*** حصل على الوشاح الكبير للوسام العلوى من الطبقة الممتازة « المغرب »**

*** يجيد الايطالية والتركية ـ ومتزوج وله ولد وأربع بنات**

منهج الإسلام في إعداد الفرد وتكوين المجتمع

فضيلة الشيخ
أحمد هريدي
مفتى الديار المصرية

كان نظام الطبقات قبل الاسلام شريعة مقررة لدى أمم العالم القائمة اذ ذاك . وعلى رأسها دولتا الروم والفرس المسيطرتان على العالم والموجهتان لحضارته .

ففى بلاد الروم سيطرت الكنيسة على الشعب باسم الدين . وأضفى رجال الكهنوت على أنفسهم لونا من القداسة وضعهم فى مستوى منيع لا يجرؤ أحد على خدشهم أو المساس بهم فيه ، ومكنهم من رقاب الناس والعبث بحياتهم فى قسوة ووحشية لم يعرف التاريخ لها مثيلا . حتى لقد أحرقوا جثث العلماء عقابا لهم على التفكير واعلان الآراء والنظريات العلمية . وكان الحكام والأغنياء أو على الأصح سكان روما الأصليون ـ يكونون طبقة الاشراف أو الشعب الاصيل ـ يتمتعون بامتيازات عنصرية صارخة وينعمون بحياة ناعمة مترفة ويرون فى سكان الاقاليم وسواد الشعب طبقة العبيد الارقاء يستعبدونهم ويستبدون بهم ويسومونهم سوء العذاب .. وفى بلاد الفرس كان الأكاسرة يعتقدون ويعلنون انهم يحكمون الشعب بتفويض من الاله فلا يسألون عما يفعلون . وكان الأثرياء والمترفون يحيطون بالحكام ويلتفون حولهم . ويتمتعون معهم بمكانة ممتازة على باقى طبقات الشعب وعيشة مترفة لاهية . يستذلون الفقراء ويستبدون بالمستضعفين .

وكان الرق نظاما اجتماعيا مقررا لدى هؤلاء واولئك وكانت معاملة الرقيق والتصرف فى نفسه تتخذ فى بشاعتها وانحطاطها صورا وأساليب تثير الضمير الانسانى وتبعث فى النفس الانسانية ألما لا يقدر .

جاء الاسلام ـ دين الانسانية الخالد ، وشريعة البشرية الكاملة ـ وأعلنها ثورة عارمة وحربا لا هوادة فيها على هذه النظم الفاسدة والشرائع التى حطمت الكرامة الانسانية وهوت بالقيم البشرية العالية الى الحضيض، فرد على الانسان كرامته المسلوبة . وأكد تقديره لآدميته المهدرة .. « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » .

ولئن كان الاسلام لم يبادر الى الغاء الرق والقضاء على نظامه الذى لا يتفق مع تقديره لآدمية الانسان وكرامته الا أنه وضع نظاما دقيقا لتصفيته والقضاء عليه الى غير رجعة.. حصر الاسلام منابع الرق فى أضيق نطاق بعد ان كانت منابعه واسعة متدفقة تغذى العالم كله بانتاجها التعس المشئوم . فحصر الاسلام هذه المنابع فى أسرى القتال فى سبيل الله والجهاد لاعلاء كلمة الله وجعلها العليا وكلمة الكفر هى السفلى .

وقد انتهى هذا النوع من القتال ونضب بانتهائه معين الرق الى الأبد . ووسع الاسلام مع هذا مصارف الرق وفتح أبواب القضاء عليه على مصاريعها ليختفى من الوجود ويصبح بمساوئه فى ذمة التاريخ . رغب الاسلام فى اعتاق الرقيق وتحرير رقبته ووعد الفاعلين ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة . ((**فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة**)) وجعل الدين تحرير الرقاب من الرق واعانة الرقيق على الخروج منه مصرفا من مصارف الزكاة يؤدى فيه صاحب المال وتؤدى فيه الدولة على السواء . ((**انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب . والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله . والله عليم حكيم**)). وجعل عتق الرقبة كفارة كثير من الاخطاء الضخمة والأعمال الكبيرة . جعله كفارة القتل الخطأ ((**ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله**)) وجعله كفارة الحنث فى اليمين المنعقدة : ((**لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة**)) .. وجعله كفارة الافطار عمدا فى رمضان . فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال .. **جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم – فقال : هلكت . قال: وما أهلكك . قال واقعت امرأتى فى رمضان . قال : هل تجد ما تعتق به رقبة ..؟..**)) وجعله كفارة الظهار : ((**والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به ، والله بما تعملون خبير**)) .

والى أن تصل هذه السياسة الحكيمة التى وضعها الاسلام لتصفية الرق والقضاء عليه ، الى غايتها ، أمر الاسلام باكرام الرقيق والعطف عليه واحسان معاملته ، ونهى عن تكليفه من الامر ما لا يستطيع بل لقد نهى عن التفرقة بين الأخوين حين يجتمعان فى يد ويراد بيع أحدهما .

وحرر الاسلام الفرد من سيطرة الفرد . واعترف له بحق الحياة والوجود وكفل لحياته الحفظ والبقاء وعصم نفسه وماله وعرضه ومنحه من الحريات والحقوق ما يكفل له الحياة كريمة عزيزة تطمئن بها نفسه ويسعد فيها مع الآخرين .

ففى الاعتراف للفرد بحق الحياة وكفالة حفظها يقول الله تعالى : ((**ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق . ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا**)) . **ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم** : ((**من قتل دون نفسه فهو شهيد . ومن قتل دون ماله فهو شهيد . ومن قتل دون أهله فهو شهيد**)) . ولم يعط الشارع لأحد حق انتزاع الحياة من الفرد الا لولى الأمر وبحقها ، وذلك حين يعتدى على النفس بالقتل أو يفسد فى الأرض بغير الحق . محافظة على مصلحة المجتمع وحماية لحياة الأفراد : ((**ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون**)) .. ((**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى**)) . ((**انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض**)) .

وفى هذا المجال حرم الله على الانسان أن يقتل نفسه ونهاه عن ذلك : ((**ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما**)) كما نهاه عن المخاطرة بحياته وتعريض نفسه للمهالك : ((**ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة . وأحسنوا ان الله يحب المحسنين**)) .

وفى مجال تكريم الانسان وتقدير آدميته أعلن الاسلام حقوق الانسان كاملة على صورة لم يصل اليها العالم الحديث رغم الجهاد الشاق والكفاح المرير عبر القرون والأجيال. ورغم تقدمه العظيم المدهش فى التفكير الفلسفى والتجارب العلمية وما وصل اليه فى مجال الاختراع من نتائج مذهلة بهرت العقول وحيرت الالباب .

وقد أعلن الاسلام منذ أربعة عشر قرنا من الزمان المبادىء الانسانية الكريمة ، الحرية والاخاء والمساواة، وهى المبادىء التى ظفر بها العالم أخيرا بعد جلاد قاس وثورات دامية وزعم كذبا أنها من ثمرة جهاده ووحى حضارته **« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم »** . **« انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم . واتقوا الله لعلكم ترحمون »** . **« المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يخذله »** . **« الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا لأسود على أبيض الا بالتقوى »** . **(متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)** .

وفى مجال تقرير الحريات والحقوق العامة قرر الاسلام للفرد :

أولا : الحرية الشخصية : حرية التملك . وحرية الاقامة . وحرية التنقل . وحرية العمل . فهو يتملك ما يشاء كيف يشاء بالطرق المقررة وفى الحدود المشروعة دون تعد أو استغلال أو انتهاز ، أو انتقاص لحقوق الآخرين ، وهو يقيم حيث يطيب له العيش وتستقر به الحياة ، ولمسكنه حرمة ولحريته قداسة . وهو ينتقل هنا وهناك فى أى وقت من ليل أو نهار ، وبأية وسيلة دون قيد أو رقابة ، ويزاول العمل الذى يريده ، والمهنة التى تؤهله لها مقدرته واستعداده . وينهل من موارد الثقافة وموائد العلم قدر ما يفيده ويستطيعه ، فى حدود النظام والتقاليد والعادات .

ثانيا : الحرية الدينية: حرر الاسلام العقل من أسر التقليد وجمود الوراثة وقيود الجهل، ودعاه الى النظر والتفكير فى النفس وفى ملكوت السماوات والأرض ، وادراك أسرار الوجود ، وفهم ما فى الكون من حقائق ، وترك له الحرية فى الاقتناع والاختيار دون ضغط أو اكراه : **« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »** **« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى »** **« أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »** . **« فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر »** **« وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »** .

وترك الاسلام لمخالفيه فى العقيدة حرية مطلقة فى اقامة الشعائر ومزاولة الطقوس الدينية وممارسة النشاط والأعمال المختلفة ولم يضع على حريتهم فى ذلك الا ما تفرضه قواعد النظام وآداب السلوك . والقاعدة العامة فى النظام القضائى الاسلامى بالنسبة للاختصاص التشريعى وتحديد القاعدة الموضوعية التى تحكم موضوع النزاع فى قضاياهم حين يخضعون أو يتحاكمون للقاضى المسلم هى : **أمرنا بتركهم وما يدينون** .

ثالثا : الحرية السياسية: حرية الانتخاب، وحرية الرأى والاعراب عنه ، وحرية النقد ، وقد ذهب الاسلام فيما قرره للفرد فى هذا الصدد الى حد لم تصل اليه شريعة من الشرائع ، فلم يقيده الا باستهداف الصالح العام ، والسير فى نطاق النظام ، والبعد عن التعسف ، واساءة استعمال الحق ، والسعى وراء الغاية الشخصية على حساب الحق وكرامة الآخرين .

ففى اختيار رئيس الدولة والممثلين فى الهيئات النيابية والعامة يمارس حقه بمطلق الحرية وكامل الارادة . لا يفرق الصف ولا يشذ عن الجماعة . وفى المشروعات العامة والمشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ، وفى الاتجاهات والتنظيمات ذات الطابع العام ، يبدى رأيه ويعرب عنه بالوسائل المقررة وعلى هدى من وحى المصلحة .

وفى النقد : ينتقد ما يراه موضعا للنقد المخلص النزيه فى الأشخاص والأعمال والافكار

والآراء دون اسفاف أو ايذاء أو نيل من عرض أو كرامة أو اثارة أو تشنيع .

يقول الله تبارك وتعالى : ((**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**)) . **ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : ((لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق))** وهذا عام فى الشئون الخاصة والعامة . ويقول الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى بيانه للأمة بعد توليه الخلافة : ((**ان رأيتمونى على حق فأعينونى . وان رأيتمونى على باطل فسددونى**)) . . ويقول الخليفة الثانى عمر بن الخطاب الذى نزل الوحى من السماء برأيه أكثر من مرة ، فى خطبة له بعد توليه الخلافة: ((**ان رأيتم فى اعوجاجا فقومونى**)) ويجيبه رجل من عامة المسلمين بقوله : **والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد السيف . ويقول عمر : ((الحمد لله الذى جعل فى المسلمين من يقوم عمر بحد السيف))** .

وهذا كما ترى أساس عريض فى تقرير حرية الرأى والتعبير عنه وحرية النقد ووضع الأمر فى ذلك موضع التنفيذ والدعوة اليه .

وفى هذا المجال أوجب الاسلام على رئيس الدولة أن يستشير أهل الرأى والبصر بالأمور وأصحاب الشجاعة فى الحق والغيرة على المصلحة العامة من المؤمنين ورجال الأمة. وعلى هؤلاء أن يمدوه بالرأى السليم فى شجاعة وصراحة واخلاص حتى يكون للتشريع غايته ونتائجه : ((**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك . فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين**)) .

وقد ورد ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم قال : « أما ان الله ورسوله لغنيان عنها ، ولكن جعلها الله تعالى رحمة لأمتى ، فمن استشار لم يعدم رشدا ، ومن تركها لم يعدم غيا » . وقد استشار النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه فى جليل الأمر وصغيره. ولقد درج الخلفاء الراشدون من بعده وتتابع أئمة الهدى من بعدهم على هذا المبدأ القويم ووضعوه دائما موضع التنفيذ ، فكان مبدأ أساسيا فى نظام الحكم فى الاسلام ، وخطا عريضا فى تحديد نوع هذا النظام . ومهما يكن من الأمر فى ذلك فان الاسلام لا يقرر سلطان الفرد المطلق ولا يعترف بنظام الملك الوراثى .

والاسلام حين منح الفرد هذه الحريات والحقوق أحاطها بضمان قوى وسياج منيع من مبادىء الأخلاق وآداب السلوك وقواعد النظام مما يكفل تنظيمها وحسن استعمالها لخير الفرد والجماعة .

صنع الاسلام الفرد المثالى الذى أشربت نفسه عقيدة التوحيد وامتزج قلبه بمبادىء الاسلام العامة : اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا. فتطهرت نفسه من الرجس والخبائث وفاض قلبه بالاخلاص والشجاعة .. فان عقيدة التوحيد ترتفع بالنفس البشرية الى مستوى تصفو فيه من دنس الشرك الآثم والوثنية الوضيعة ، وينعكس صفاؤها اخلاصا ومحبة وتآخيا وتعاونا على البر والتقوى .. والصلاة وقوف بين الله تعالى لحظات ولحظات على مدى ساعات الليل والنهار فى خشوع عميق وروحانية عالية تصفى النفس من أكدار الحياة المادية وترتفع بالشخص على مستوى الاثم والعصيان : ((وأقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر)) .

والزكاة حجر الزاوية فى النظام الاجتماعى الاسلامى الذى يهدف الى اقامة مجتمع فاضل متكافل على أمتن الأسس وأقوى الدعائم ، وهى المبدأ الايجابى الفعال فى النظام الاشتراكى الأصيل الهادف الى الوصول بالمجتمع الى حياة كريمة عزيزة يشعر فيها الجميع بالعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص وعدالة التوزيع . وحصول كل فرد فى المجتمع على نصيب من نتائج الجهد المبذول يكافىء ما بذله وما قام به من جهد . وابتعاد كل فرد عن محاولة الاستغلال والانتهاز وانتقاص حقوق الآخرين .

وأى معنى أكرم وأقوم فى تربية الفـرد واعداده من أن نضع عليه فى ماله قل أو كثر – فى حدود النصاب المقرر – نصيبا مفروضا وحقا مقررا للدولة وذوى الحاجة من الأفراد يؤديه طوعا أو كرها مساهمة منه فى المصلحة العامة للمجتمع ومشاركة فى اقامة حيـاة الآخرين، وتمكينا لمبدأ التكافل والتضـامن فتوقظ فيه الضمير الانسانى حساسا مرهفا وتربى لديه الشعور بالواجب فياضا كاملا . والاحساس بالمسئولية قويا منصفا والتقدير للكرامة الانسانية دقيقا عادلا . وتطبعه على التآلف والتآخى والتعـاون مع الآخرين والتضحية والفـداء من أجلهم حين يدعو الداعى الى التضحية والفداء .

والصوم رياضة نفسية وصـفاء روحى يصفى النفس ويهذبها ، ويربى فى الانسان الارادة ويغرس فى نفسه أصول الفضائل ويخلق منه انسانا كريما على نفسه عميقا فى شعوره بالمسئولية حين تهزه عاطفـة الوفاء ورعاية الأمانة .

والحج مشقة كبيرة وجهاد عظيـم يربى النفس على الكفاح والصبر ويطبع المؤمن على الوفاء بالعهد والتعاون على الخير والمصلحـة فى المستوى العام .

وهكذا تسمو تعاليـم الدين ومبادىء الاسلام بالفرد الى آفاق عاليـة وتستهدف تهذيب نفسه وتطهيرها من الرجس والدنس لتمتلىء جوانبها بالرحمة وتفيض آفاقهـا بالخير وتقوى فى الشخص عوامل الخـير والمحبة والوئام وتقهر دوافع التفرق والتعصب والاختلاف وينفعل بنوع من الزمالة الانسانية الهادفة الى التعاون فى المستوى الشامل ، ومن ثم تتجه الانسانية كلهـا – رغم اختلاف الأديان والمذاهب – الى الوحـدة والسـلام وتعمل متساندة للقضاء على عوامل القلـق والخوف والاضطراب .

وبهذا يكمل الفرد ويصبح لبنة صالحـة قوية . ومن هذه اللبنات الصالحة القـوية يتكون المجتمع الاسلامى الفاضل المتكافل،على الصورة الكاملة الرائعة التى يريدها الاسلام. والتى صورها الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف : ((**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسـد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسـد بالسهر والحمى**)) .

تلك هى نظرة الاسلام للفرد . وهذا هـو منجهه على الاجمال فى اعداده . أما عنـاية الاسلام بالمجتمع ومنهجه فى تكوينـه واقامة بنـائه والأسس التى أقام عليها هذا البناء فسيكون موضع الحديث فى المقال التالى ان شاء الله .

لا تضيقوا عليهن

أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد

بالعائلة يجب أن نبتدىء فى اصلاح نظامنا الاجتماعى . وبتربية المرأة نبدأ فى اصلاح العائلة . فتربية المرأة ، هى كل ما يجب أن نصرف اليه جميع قوانا الموجهة ، لاصلاح جمعيتنا المصرية ، كما قال بذلك الرجل الكبير قاسم أمين

غير أن هذا المذهب لا يزال قولا تلوكه الألسنة ، ولا يصل منه الى القلوب شىء لأن الناس انما يقلدون فيه غيرهم ، فيقولونه فى المجلس بمدة قليلة أو كثيرة ، اظهارا لبيان اهتمامهم باصلاح شئونهم ، ودليلا على أنهم غير متاخرين فى الفكر عن الطبقة الراقية ، لا أنهم حقيقة مقتنعون تمام الاقتناع بهذه النظرية ، دائنون بهذا المذهب ، عاملون على تحقيقه جهد المستطيع .

ذلك بأن تربية المرأة لم يشرع لها فى بلدنا الى الآن نمط خاص مجمع عليه مفصل ، يخرجها من الاجمال الذى لا يشفى غليل

النفس ، الى التفصيل الصريح الذى يأتى البحث فيه أخذا وردا ، وادعاء ومنعا ، بالحقيقة البينة التى لا تبقى عذرا لمعتذر

ترى كثيرا من الذين يقولون بتربية المراة يقولون أيضا بمنعها من التوغل في تعلم العلوم التى يتعلمها الشبان . أليس هذا يعد ضمنا دعوة الى عدم تربية المراة ، التى يقرونها فى أصلها ؟

ترى كثيرا من الذين يقولون بتحرير المراة يسوءهم مع ذلك أن يروها تخرج الى النزهة أو تعدل من زيها القديم ، فتضيف اليه أو تنقص منه ، ما جاءت به « المودة » الجديدة النافذة القانون على الرجال والنساء جميعا ، بحكم حب الجميل ، وعدم الصبر على لبس واحد . يكرهون منها أن تتزين كما تشاء . والرجال جميعا من شيوخ وشبان أول ما يفكرون فيه صباح اليوم ، هو تنظيف الوجه وحلق اللحية وفرق الشعر أو تسريحه . اذ جرحت أنظارهم مشاهد المراة على غير ما يحبون ، ضاقت صدورهم عن احتمال تقدم المراة فى الحرية الشخصية ، ورجعوا الى الكتاب الأقدمين ، فجاءوا من أقوالهم بما يهدم حرية المراة ، تاركين فى النقل ما يثبت لها احترام حريتها الشخصية ، كما تحترم حرية الرجل ، آخذين من الشرع ما يثبت تفضيل الرجل عليها فى بعض المواطن ، تاركين احترامه لحريتها فى جميع تصرفاتها ، ووصية الرجال أن لا يضاروهن ولا يضيقوا عليهن . ثم يضيفون الى ذلك القاء مسئولية خروج النساء عن حدود ما يشتهون من جمودهن تحت اسم الوقار والحشمة،مرة على الحكومة وأخرى على النظام الاجتماعى ، وتفريط الكتاب فى نقد ما سموه بالتبذل وتهاون الآباء والأزواج فى دفع أزواجهم وبناتهم عما حسبوه التبرج المعيب . يريدون بذلك كله اقامة الحسبة للرجال على النساء ، فلا تلبس الواحدة الا ما يريد غيرها ، ولا تسمع الا باذنه ، ولا تأكل الا ما يشتهى . أليس ذلك هو الاستعباد بعينه ، المناقض لتحرير المراة الذى يريدون ؟ اذا تحرينا مصدر هذا الضيق فى نفوس الرجال من حرية النساء ، وقذفهم اياهن بالخروج عن الوقار ، لنجد أن مصدر ذلك فى نفوسهم ، انما هو بقية باقية من أصول الاستبداد القديم ، الذى جعل المراة الشرقية تظن أن الطبيعة لم تهبها من الحرية فيما خصت به من الأعمال ، كما وهبت الرجل . وهل يتفق حبنا للاستقلال الذاتى،وانماء ملكة الابداع والاحترام ، مع كراهتنا للاستقلال الذاتى للمراة ؟ أم هل يتفق ابقاء المراة على تجردها عن الاستقلال الذاتى،ومطالبتنا اياها بأن تربى لنا رجالا أحرارا وناشئة مستقلة ان العبد لا يربى حرا ، وانما يربى عبدا مثله ، وعلى صورته ، وان الأم لا تعطى ولدها من الأخلاق الا ما لديها . فاذا كان يجب عليها أن تتبع نفسها نفس الرجل فى كل شىء ، فلاشك انها تكون بذلك رقيقة ليس لها أخلاق ثابتة . بل أخلاقها دائرة وراء رضا الرجل وعدم رضاه .

أفتطلبون أن يكون بنوكم متلونى الأخلاق ، يلبسون لكل حالة خلقا ، لا هم لهم فى الحياة الا ارضاء أصحاب السلطة عليهم ؟

ان أقدم المذاهب لتربية البنت ، هو اعدادها من يوم نعومة أظفارها لأن تكون قبل كل شىء انسانة حرة مستقلة ، ذات مبادىء ثابتة وأخلاق حسنة ، ثم فتاة متجملة ، ثم زوجا حصانا مطيعة تعرف الجمال ، وتفهم الزينة ، وترضى زوجها الحر ، لا زوجها المستبد . ثم أما مثالا فى التقوى والطيبة والقناعة ، محبة لأولادها ، مربية اياهم على مبادئها ، معلمة اياهم كيف يحبون بلادهم ويخدمونها ، ويضحون بأموالهم وأوقاتهم وحياتهم فى اسعادها . ذلك هو المقصود من تربية المراة . ولا شك فى أن القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من القرآن ، على ذلك المعلم الذى كل فضله أنه مصحف حى ، كل أولئك لا يمكن بحال أن يخرج من الطفلة الخالية الذهن فتاة كاملة شانها كما وصفنا . بل لابد لتخريج تلك الفتاة المحبوبة والزوج الأمينة ، والأم القدوة ، من علوم شتى وتعاليم كثيرة ، وأوقات طويلة ، ودروس جدية على أساتذة مقتنعين باهمية ما يحاولون ، فاهمين ماذا يعملون .

أول ما يجب أن يلقى على الطفلة المصرية مع الألف باء ، هو كونها مخلوقا حرا ، وهبه الله حريته ، وما وهب الله لا يسترده الا الله . ثم يتدرج تعليمها من ذلك الى كل ما يحيط بها من الأعمال . فالأغراض الانسانية والمعاملات العائلية والاجتماعية ، ويلفت نظرها دائما الى مضار العبودية والتسليم فى الذات ومنافع الحرية والاستقلال ، بما يقع من الأمثلة اليومية حوالى الوسط الذى يحيط بها ، تعلم أن تكون امرأة تحسن تمثالها ، وتفيض من روحها . فيض الطيبة والسكينة على من حواليها . تعلم كيف ترطل شعرها ، وماذا يقصد بالزينة . يعدل ذوقها ، ويصفى بمصفاة الأمثلة الحية ، والشعر والموسيقى والرسم . تعلم قواعد الاقتصاد والتدبير المنزلى . تعلم حسن القياس بما يتيسر من التاريخ خصوصا تاريخ الأدب . تعلم الاشغال اليدوية تعلم .. تعلم .. ما تستطيع لتعلمه سبيلا ، ولا يوقف فى تعليمها عن حد من المعلومات . فاذا فرغت من الدراسة ، فألقيت فى عمل الحياة ، كانت هى الأم المثال التى ننشدها لأبنائنا وورثتنا فى هذا العالم .

اذ كانت الحرية هى قاعدة التعليم ، فليس لنا أن نقلق الكتاب الأوربيين فى الانتقاد المر على حرية النساء ، وزينتهن . فان الأوربيات قد شبعن حرية شخصية ، وهن يطالبن الآن بالحرية العامة ، ومزاحمة الرجال فى ساحات الانتخاب ، ومراكز التصرف فى شئون سياسة العالم . ولكن نساءنا المصريات ظمأى الى الحرية الشخصية ، وانهن لأحوج الى أن يشجعن فى الظهور بمظاهر الاستقلال الذاتى ، حتى تمحى من نفوسهم آثار الاستبداد والاستعباد ، بل يسعين الى ذلك سوقا بالنصائح والأقلام ، لا أن ينحى عليهن باللائمة فى حريتهن ، فتستجم أنفسهن ، وتنقبض ملكاتهن ، ويحجمن عن الأخذ بأسباب الحرية الشخصية ، التى وهبها الله لهن كما وهبها لكل مخلوق بلا استثناء ولئن زادت احداهن عن الأخذ بالمعروف من الزينة ، والخروج عن القصد فى السير ، فذلك موكول الى أبيها وزوجها وأولياء أمرها . الذين لهم عليها النصيحة والارشاد والتأديب والتعليم .

دعوا النساء يشممن هواء الحرية التى فقدنها بتقاليد الاستبداد الأولى ، وعلموهن ، ان بالدرس ، وان بالعمل ، أن لا سبيل للرجال عليهن ، الا ما فرضه الشرع وما كان عليه نساء العرب فى صدر الاسلام ، فلا تضاروهن ولا تضيقوا عليهن .

حاجة المجتمع إلى الدين ..

حرمة الإنسانية

فضيلة الشيخ محمد فرج السنهوري

جاء الاسلام بأحكم الشرائع وأفضل الأحكام والتعاليم التى تكفل للأفراد والجماعات صالح التربية وتسير بهم سيرا حثيثا فى طريق الكمال والتهذيب .

وفى طليعة هذه التعاليم الحكيمة احترام « الانسانية » وايفاؤها كل حقوقها وتكريمها أينما حلت وكائنا ما كان الانسان . ففرض على كل امرىء أن يؤمن بأن الناس سواسية فى انسانيتهم كأسنان المشط لافضل لأحد على الآخرين الا بأعماله الصالحة التى يعود خيرها الى الانسانية فى هذه الحياة الدنيا وفى الآخرة .

حقا ان الله جلت حكمته قد فضل بعض عباده على بعض فى الرزق فكانوا طبقات فى الثراء والنعمة وفى الأخلاق والاعسار .

حقا انه سبحانه جعل الناس طبقات فى احسابهم وأنسابهم وجعلهم طبقات فى القدرة والضعف وفى الجاه والسلطان فكان منهم الأحرار والأرقاء وكان منهم الحاكمون والمحكومون وكان منهم الأقوياء والمستضعفون كما جعلهم ـ عظمت قدرته ـ شعوبا وقبائل مختلفة أجناسها والوانها فكان منهم الأبيض والأسود .. والأحمر والأصفر كل ذلك قد كان كما كان سواه ولكن التفاوت بين الناس فى شىء من ذلك مهما كان أمره لا يقضى بالتفاوت بينهم فى الانسانية ولا يبرر انتفاض شىء مما لها من التكريم وسائر الحقوق ، وما التفاوت بينهم الا بالأعمال الصالحة التى تكفل للانسانية سعادتها .. بهذا نطق الكتاب الكريم ، ووردت السنة النبوية الصحيحة وعليه درج صالحو المؤمنين فى مختلف العصور .

فالله تبارك اسمه يقول فى كتابه الكريم : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .. فالله جل شأنه انما كرم فيهم الآدمية والانسانية فلم يستثن من أهلها أحدا ولم يخص منهم سيدا من مسود والأغنياء من الفقراء .. ولا حرا من رقيق .. ولا أبيض من أسود وأحمر وأصفر بل الكل فى هذا التكريم سواء ما أقاموا على الوفاء لانسانيتهم وأداء مالها من الحقوق ويقول تعالى ذكره : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » .

فالله جل قدره انما أراد من الناس جميعا أن يتعارفوا فيتآلفوا على سواء وأعلمهم أنه لا تفاوت بينهم فى الكرامة هذه الا بالتقوى وما التقوى الا بالأعمال الصالحة التى تكفل للانسانية سعادة الدارين .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا .. ويشير الى صدره بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم

كل المسلم على المسلم حرام .. دمه وعرضه وماله » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر . فقال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعاله حسنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله جميل يحب الجمال . الكبر بطر الحق أى دفع الحق ورده .. وغمط الناس أى تحقيرهم وازدراءهم . وخطب صلى الله عليه وسلم أوسط أيام التشريق فقال :

«أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد ألا لا فضل لعربى على أعجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر ألا بالتقوى ان أكرمكم عند الله أتقاكم الا هل بلغت فقالوا . بلى يا رسول الله قال : فليبلغ الشاهد الغائب .

وليست الدعوة الى تكريم الانسانية والوفاء بحقوقها قاصرة على ما يكون من المعاملة بين الأحرار بعضهم مع بعض بل هى دعوة عامة تشمل الأحرار والرقيق على سواء فقد أعلن - صلى الله عليه وسلم - الأحرار بأن خولهم من الرقيق اخوانهم، وأمرهم أن لا ينادوهم بما يؤذى انسانيتهم كقولهم يا عبدى يا رقيقى كما أمرهم ان يطعموا رقيقهم مما يأكلون وان يسقوهم مما يشربون وان يحسنوا الى الانسانية باحسان معاملاتهم والرفق بهم فلا يكلفوهم مالا يطيقون .

وليست الدعوة الى تكريم الانسانية والوفاء بحقوقها قاصرة على ما يكون من المعاملة بين معروفي الانساب بل هي دعوة عامة تتناول معروفى الانساب ومنقطعى الأنساب على السواء .. فمنقطع النسب ليس الا آدميا له ولغيره اله واحد وأب واحد ولانسانيته كرامتها كالتى لسواها .. والله جل قدره يقول فى شأن الادعياء : (**فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم**) .

وليست هذه الدعوة قاصرة على ما يكون من المعاملة بين المسلمين أصحاب الدولة بل هى عامة فتناولهم متناول كل مواطن لهم وان كان على غير دينهم . فالمواطن غير المسلم له آدميته وانسانيته وان لهذه الانسانية ما لسواها من التكريم والحقوق .

ولغير المسلم فى دار الاسلام بما له من عهد وذمة ما للمسلمين من الحقوق وعليه ما عليهم من الواجبات .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فانا حجيجه يوم القيامة** » .

هذا هو المنهاج الاسلامى وتلك هى تعاليمه الحكيمة فى تكريم الانسانية . والوفاء بحقوقها بين الناس جميعا على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأديانهم وطبقاتهم وان تعجب فعجب أمر هؤلاء الأقوام الذين لا يرضون عن هذا المنهاج وغيرهم ما أوتوا من قوة مادية جافة لزعموا أنهم قادة لركب الحضارة بينما هم يمعنون فى امتهان انسانية السواد الأعظم من الناس . ويغرقون فى التفرقة العنصرية وآثامها وما تجره من المصائب والكوارث على الأقطار التى ابتليت بهم .. فاللهم لطفا بعبادك يا أرحم الراحمين واكشف عن الانسانية هذا البلاء المبين .

عوامل النجاح في الحياة

"ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى" قرآن كريم

فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

هل نسير فى الحياة وفق خطة مرسومة ، ونظام لامحيد عنه أو الأمر يجـرى بمحض الصدفة دون قانون ولا نظام مرسوم ؟

هذا سؤال كثيرا مايراود الأذهان، ويشغل الأفكار ، ولقد وردت الى فى معناه رسائل عدة من شبان ذوى ثقافة ودين ، يريدون الكشف عن حقيقة الأمر فيه ، حتى يذوقوا لذة المعرفة ، وتطمئن منهم القلوب الواجفة ٠

والواقع أن الناس فى هذا الأمر مختلفون :

فمنهم المتحيرون الذين اذا نظروا الى واقع الحياة ، لم يستطيعوا تفسيرا لمفارقاتها العجيبة كأن يروا الرجل الذكى المرن الجرىء فى فعله ، الفصيح فى لفظه فقيرا معدما لايكاد يجد قوت يومه، بينما يجدون الرجل الذى لايعرف بذكاء ولا علم ولا سعة حيلة ، غنيا مرزوقا تتوارد عليه وجوه المكاسب من حيث لايحتسـب ، وتمتلىء خزائنه بالمال الذى يأتيه سهلا ميسرا دون أى ارهاق أو تعب

وكذلك يقولون : اننا نرى انسانا ذا خلق كريم ، وتعفف عن الحرام ، وترفع عن كل مايدنس المروءة ، ويخدش الشرف ، ومع ذلك نراه بعيدا عن مجالات العمل والتقدم ،مغمورا لايكاد يعرفه أحد ، واذا عرف فانه فى كثير من الأحيان يكون محاطا بالكيد والتآمر وكل ما من شأنه أن يقلقه ويرهقه ويكد ذهنه ، ويفسد عليه الكثير من وجوه نشاطه وعمله ٠ بينما نجد انسانا آخر يصطنع ألوان النفـاق ، وأساليب الخداع والكذب والتضليل ، ويقارف الحرام مجترئا عليه غير عابىء بحساب الله ، ولا بحساب الضمير ، ولا بحساب الناس ، ومع ذلك نراه يقفز الى الدرجات سباقا اليها لايكاد يتلبث أو يتعثر ، ويترك من خلفه العشرات بل المئات من أقرانه ينظرون اليه مذهولين أو متحسرين ، وهم العارفون بحقيقة أمره ، وأخلاق نفاقه ، وأساليب خداعه ٠

هذه المفارقات التى تحدث فى واقع الحياة ، هى التى تحير كثيرا من العقول ، وربما جرت الى الانحراف عن جادة العقيدة السـليمة ، باعتناق الالحاد والزندقة ، وكل ماهو خروج على الدين ٠

وفى مثل هذا يقول الشاعر مصورا الحيرة التى تصيب الناس من جراء هذه المفارقات :

كم عاقل ، عاقل ، أعيت مذاهبه
وجاهل ، جاهل ، تلقاه مرزوقا !
هذا الذى ترك الأوهام حائرة
وصير العالم النحرير زنديقا !!

***

* ويحاول آخرون أن يحلوا هذا الاشكال فيقولون :

ان الرزق مقسوم ، وانه يجرى بأمر الله ، ولايتبع ذكاء ولا غباء ، ولا صلاحا ولا فسادا ، فمن شاء الله أغناه ، ومن شاء أفقره ، ومن شاء رفعه ، ومن شاء خفضه « **لايسأل عما يفعل وهم يسألون** »

وقانون المشيئة فى هذا ، هو قانون المشيئة فى كل شىء ، فالله تعالى يقول : « **وربك يخلق مايشاءويختار ماكان لهم الخيرة**» ويقول « **يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما** »

والله تعالى قد يخلق أخوين أو أختين من أب واحد وأم واحدة ، ومع ذلك نرى أحدهما جميلا يروع الأبصار جماله ، ونرى الآخر دميما تنبو عنه العيون ، وتنفر منه الأذواق ، فما الذى جعل كلا منهما على ماهو عليه من صفات الجمال والحسن ، أو الدمامة والقبح ؟ ليس لهذا تفسير الا أنها مشيئة الله ·

ومثل هذا يقال فيمن يجود الله عليهم بالذكاء والفطنة ، ومن يحرمون منهما فلا ينالون الا الغباء والبلادة ، فبأى قانون استحق كل منهما ماصار اليه ، الا قانون المشيئة الالهية التى لاقيد عليها ؟

ومن هنا يركنون الى حل الاشكال عن طريق الايمان بقانون المشيئة ، ويقولون : هكذا أراد الله ، ولا راد لمشيئته ·

وفى هذا يقول الشاعر ، معبرا عما يجب من التسليم والاذعان وعدم التجرؤ على السؤال عن الأسباب :

ملك الملوك اذا وهب
لاتسألن عن السبب !
الله يعطى من يشاء ، فقف على حد الأدب

ويتلخص من هذا أن الناس فريقان

* فريق يسلمه التفكير الى الحيرة والالحاح فى السؤال عن السبب ·

* وفريق يسلمه التفكير الى الايمان والتسليم ، والوقوف عند حد الأدب ·

ولكن : هل حلت المشكلة بهذا أو ذاك ؟

***

ينبغى أن يكون هناك تفكير على نحو آخر كى تحل هذه المشكلة العويصة ، على أساس يرضى العقول ، ويبعث الاطمئنان الى القلوب ، ان المفكرين ليس من عادتهم أن يقبلوا أمرا ما ، على سنة التسليم والاذعان ، دون معرفة الأسباب والتعمق فى الأصول ·

والمؤمنون قد يحتاجون مع ايمانهم الى منزلة « اطمئنان القلوب » كما حدث لسيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ، فيما حدثنا عنه القرآن : « **واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال : أولم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبى** »

والمفكر الذى يطلب معرفة الحقيقة وسرها دون تعسف ولا شطط ، هو كالمؤمن الذى يطلب درجة الاطمئنان فى ايمانه ، كلاهما اذا حسنت النية مقبول عند الله ، معان منه ، لابد أن يصل بفضل الله الى تحقيق ماطلب ، وانما الذى يفسد العقائد ، ويثير الشكوك هو سوء النية ، وابتغاء الفتنة ، والله تعالى يقول « **فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، ومايعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم ، يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر الا أولوا الألباب** »

ومنزلة الاطمئنان ، أو منزلة التفكير للعرفان ، فى هذه المشكلة ، يمكن الوصول اليها بملاحظة مايأتى :

١ ـ كل ماخلقه الله تعالى ، قائم على سنن وقوانين شرعها الله له ، وجعلها نظامه الذى لا محيص عنه، ولا خروج على حدوده، يستوى فى هذا عالم الانسان، وعالم الحيوان الأعجم،

النبات ، وعالم الجماد ، وعالم الكواكب « **انا كل شيء خلقناه بقدر** »

وأظهر مثال لذلك هو الكائنـــات التى نشهدها ، كالكواكب التى تسبح فى الفضاء على قانون الجاذبية فيما بين بعضها وبعض ، وعلى القوانين الخاصة بكل كوكب منها ، وعلى مقتضيات حركاتها ، كالليل والنهار اللذين يتبادلان كوكب الأرض نتيجة لدورانه حـول الشمس ، والصيف والشتاء وباقى الفصول السنوية التى تكون من حركة معينة للشمس ٠٠ الى غير ذلك ٠

فكل هذا على أساس قانون لايمكن لهـذه الكائنات أن تحيد عنه « **لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون** »

وهذا القانون المطرد الذى نراه فى الشمس والقمر والكواكب الأخر ، ظاهر لنا لايختلف فيه اثنان ، ولا يمكن أن يشك عاقل فى أنه قانون عظيم منضبط ، وانه دال على عظمة الله تعالى ودقة صنعه وسعة علمه « **ذلك تقدير العزيز العليم** » ٠

ولكننا اذا فرضنا أن حرارة الشمس مثلا أفادت آلاف الفوائد التى لابد منها لنظـام الحياة ، والتى لايمكن للبشر ولا لغير البشر من الكائنات الحية أو غير الحية ، أن تستغنى عنها، فلا بد أن نفرض مع ذلك أن لهذه الحرارة مع تلك الفوائد الكثيرة غوائل وأضرارا تصيب كثيرا من الكائنات الحية ، أو غير الحيـة ، فتسىء اليها أو تقضى عليها ٠

وقد علم الله الانسان كيف ينتفع بمـا للشمس من منافع ، ويدرأ عن نفسه وعن كل مايهمه أمره جوانب الضرر منها ، وبذلك أصبحت الشمس نعمة ، وعلم الله الانسان كيف ينتفع بهذه النعمة ، وكيف يتقى ماعسى أن يكون لها من مضار ٠

وانما مثل هذا كمثل النار : هى فى حقيقتها قوة اهلاك وتدمير ، ولكن لها جوانب أخرى فيها نفع وصلاح ، فاذا استفيد من جوانب النفع ، وأخذت الحيطة لجوانب الضرر والدمار كانت صلاحا ونفعا محضا وأمن شرها ٠

ولايقال : كان من الممكن ان تخلق الشمس على وضع تـكون به منـــافع صرفة لا ضرر بجانبها ، لأن هذا « احالة » للموضوع ـ كما يقولون ـ فالفرض أن الشمس هى الشمس ، ولو لم تكن هكذا ماكانت هى الشمس ، ولكانت حقيقة أخرى غير حقيقتها التى هى عليها ٠

وانما الحكمة هى أن توجد الشمس كما هى، وأن يعلم الانسان كيف يسخر منافعها ، ويدرأ مضارها ، وتخلق له الامكانيات العقلية والمادية التى تعينه على ذلك ، والفرض أن الانسـان يظل مابقى على هذا الكوكب يطلع من ذلك بجديد بعد جديد ، استكمالا لعلمه ، ومتابعة لخطوات تقدمه ، وجريا على مقتضيات طبيعته التى خلقـه الله عليها من أنه مخلوق طلعـة يستنبط المجهولات من المعلومات ، ويلاحظ القوانين الكونية فينتفع بها ، ويصل منها كل حين الى جديد يعرفه ، ويستفيد منه للوصول الى جديد آخر ـ وهكذا

وهذه هى طبيعة الحياة ، وسنة الكون ، وقانون استخلاف الانسان فى الأرض، وتسخير كل شيء له ، وطبعه على المواهب والقـوى والاستعدادات التى تمكنه من الانتفاع بهذا التسخير ، وتطبيقه على خير وجه ٠

واذا كان الانسان لابد أن تمر به أحقاب بعد أحقاب لكى يصل الى الذروة من هذا ، فان ذلك أيضا هو سنة من سنن الله التى طبع عليها العالم ، وهى سنة التدرج والتنقل من علم الى علم ، ومن عصر الى عصر ، ومن درجة فى التمكين الى درجة ، ومن أسـلوب فى المعيشة الى أسلوب ٠٠ وهكذا « **ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش** »

ولو أن الناس أهملوا فى الانتفاع بهـذا التسخير ، وتطاولت عليهم عصور من هـذا الاهمال ، وتبعها الجهل بحقائق الـكون ، والحرمان من الانتفاع بها ، ماكان هذا عيبا فى الكون نفسه ، أو قصورا فى خلقه وابداعه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ولكن يكون هذا تقصيرا واهمالا من الانسان لابد له من أن يتحمل نتائجه ، ويذوق وبال أمره ، ولو شاء الله لكشف ذلك كله للناس دفعة واحـدة ،

ولكن المسألة حينئذ لاتكون استخلافا للانسان بوصفه انسانا ، والفرض أنه انسان يعلم أشياء ويجهل أشياء وعليه أن يستوفى جهات العلم كلما استطاع الى ذلك سبيلا ، لانه قد خول ومكن ، ووضع فى الوقت نفسه موضع الاختبار والابتلاء والحساب ٠

واذن فالحكمة التامة ، والعدل التام هو فيما كان ٠

***

٢ ـ فاذا انتقلنا الى قانون المشيئة فى الاختيار والخلق ، فاننا نجد المشيئة الالهية حرة حقا ، لايتصور أى قيد عليها ، وهذا هو الشأن فى حق الاله ، ولو كان الاله يقيد بأى قيد لما كان الها ٠

غير أن المشيئة تتقيد بالحكمة ، وبالرحمة وبالعدل ، وبكل الصفات الأخرى التى هى لله تعالى ،فليس الاله هو الذات صاحبة المشيئة الحرة فقط ، ولكن هو الذات صاحبة المشيئة الحرة ، وصاحبة الحكمة ، وصاحبة الرحمة ، وصاحبة العدل ٠٠ وهكذا ٠ ولا بد لهذه الصفات كلها من أن يرتبط بعضها ببعض ، فاذا تصورنا مشيئته ، فيجب ألا نتصورها الا مقرونة بحكمته ، واذا تصورنا مشيئته المقرونة بحكمته ، فيجب ألا نتصورهما منقطعتين منفردتين عن رحمته ٠٠ وهكذا ، واذن فالصفات الالهية ممتزجة ـ اذا ساغ هذا التعبير الذى نذكره للتقريب والتوضيح ليس الا ٠

فاذا قال الله تعالى « **يهب لمن يشاء اناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور** » فينبغى ألا نفهم أن قانون المشيئة هذا هو قانون تحكمى أو مصادفى ، بل يجب أن نفهم أن حكمته وعدالته ورحمته ٠٠ الخ بجانب مشيئته ، وأن المشيئة لم تكن وحدها ، وانما كانت مستمدة ـ اذا ساغ هذا التعبير التقريبى أيضا ـ من ينابيع الهية أخرى هى صفاته الأخرى ٠

فاذا وصلنا الى هذه النقطة ، آمنا بأن قانون المشيئة ليس قانونا تحكميا ولا مصادفيا ، وانما هو قانون مرتبط بالحكمة والمصلحة والرحمة والعدل ٠

ثم نحاول بعد ذلك أن ندرك سر الحكمة فيما فعل بمقتضى قانون المشيئة ، فاذا أدركناه فذاك ، والا اتهمنا أنفسنا بأننا لم نصل بعد الى ادراك السر ، وأن علينا أن نجتهد فلعلنا ندركه فيما بعد ، وفائدة هذا أن تستقر قلوبنا على الايمان بما علمنا وبما لم نعلم ، فنستريح ونبتعد عما يزلزل العقيدة فى الله جل علاه ٠

ـ وقد ضرب القرآن الكريم مثلا لما يصادفنا من العجائب التى تحير أرباب التفكير الظاهرى المألوف ، بينما هى مفسرة فى واقع الأمر أى فى عالم الحقيقة ، وذلك بما قصه علينا من قصة موسى والعبد الصالح ٠ ففى هذه القصة أمور لم يدركها موسى عليه السلام ، وهو نبى ورسول كريم ، فجعل يعترض عليها ، ويتساءل عن سر الفعل فيها ، حتى اذا حان موعد الافتراق بينهما ، أنبأه العبد الصالح بما لم يستطع عليه صبرا ، فعلم سر خرقه السفينة ، وقتله الغلام ، واقامته الجدار الذى كان قد أوشك على الانقضاض ٠

وثمرة هذه القصة والعبرة منها ، ان المؤمن يقول وهو مطمئن القلب : ان هناك أمورا أدرك سرها ، وأمورا لا أدرك سرها ، وما دمت مؤمنا بأن المشيئة الالهية لاتسير الا على وفق الحكمة والرحمة وجميع صفات الكمال ، فانا واثق بها ، مطمئن اليها ، متأكد من أنها تحقق المصالح فى هذا الكون أعظم التحقيق ، وان لم أعلم وجوه هذا التحقيق ٠

***

٣ ـ فاذا رجعنا الى المفارقات التى وضعنا بعضها فى عرضنا للمشكلة ، والتى تكون عادة سببا فى حيرة بعض العقول ، واضطراب بعض الأفكار ، فاننا نستطيع ـ من حيث المبدأ ـ أن نعود الى قصة موسى والعبد الصالح ، لكى نقرب الأمر فنقول : ان مانراه فى هذه المفارقات انما هو بعض المظاهر ، وهناك أسباب خفية فى الحقيقة هى التى أدت الى مايحدث مما نعجب له ، ولا نعرف تفسيره ، فاذا أحطنا بالأسباب كلها بطل عجبنا وعلمنا حينئذ أن مايحدث انما يحدث بأسباب منطقية لا

غرابة فيها ، ولا ينبغى أن يظن أنه مفارقات ، وأمكننا أن نؤمن بأن قانون الحياة بالنسبة للافراد والمجتمعات والأمم ، هو أيضا يجرى فى اطراد كما يجرى قانون الأشياء والكواكب ، وأن نقول لأنفسنا : ان لعالم الكواكب قانونا ، ولعالم النبات قانونا ، ولعالم الجماد قانونا ، وكل هذه القوانين ثابتة مطردة لاتتبدل ولا تتحول « **ولن تجد لسنة الله تبديلا** » « **ولاتجد لسنتنا تحويلا** » ، فلا يعقل أن يكون عالم الانسان فقط ـ فردا كان أو أمة ـ هو الذى يجرى على سبيل المصادفة المحضة ، أو على سبيل المشيئة التحكمية التىلاترتبط بأى قيد وهذا هو مايفصح عنه القرآن الكريم ، بالنسبة للافراد والأمم : « **كل نفس بما كسبت رهينة**» « **من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها** » « **أن لاتزر وازرة أخرى وأن ليس للانسان الا ماسعى ، وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى** » « **ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** » « **ذلك بأن الله لم يك مغيرانعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا مابأنفسهم** » « **ولكل أمة أجل** » ، وأجل الأمم هو وصول الأمر فيها الى نهاية الذروة فى تجمع الأسباب المؤدية الى الانهيار والفناء ، كما أن أجل الأفراد هو وصولهم الى نهاية الذروة فى فساد مابه تكون الحياة ويكون امتدادها وسلامة أصحابها ، وكل ذلك فى الظروف المعتادة ، أما الظروف المفاجئة فلها أسباب أخرى لاترجع دائما الى قاعدة الفساد والانحلال كما هو معروف .

وينبغى أن يفهم أننا لانقصد بضرب المثل فى قصة موسى والعبد الصالح هنا أن نقول للناس : ان السنن فى عالم الباطن هى التى تتعامل على مصائر الأفراد والأمم ، ولكننا أوردنا ذلك للتقريب والحقيقة أن الأمر فى شىء ما ، قد يبدو فى الظاهر عجيبا لأننا تعودنا ألا نأخذ الا الطرف الظاهر لنا ، أو القريب منا ، ولو أننا أنعمنا النظر فى كل الظروف والأحوال التى عاش فيها فرد من الأفراد مثلا ، أو أمة من الأمم ، ودرسنا هذه الظروف ، وهذه الأسباب فى تتبع واحاطة وتعمق ، لتبين لنا أن القانون لم يضطرب ، وأن الميزان لم يختل، وأن قانون الأسباب والسنن التى هيأ الله عليها العالم الكونى ، هو قانون الأسباب والسنن التى هيأ الله عليها عالم الانسان وجعلها سارية عليه .

***

٤ ـ ثم ان النجاح فى الحياة ، أواستقامة الأحوال قد يكون فى كثير من الأحيان أمرا ظاهريا لا أساس له من الواقع ، وانما مثله كمثل الأشياء التى نراها على غير حقيقتها فيما نسميه بخداع النظر ، حيث نرى الشىء ساكنا وهو متحرك ، أو لونا واحدا وهو عدة ألوان ، فربما رأينا أيضا شخصا نظنه سعيدا فى حياته لما نراه من مظاهر هذهالسعادة بينما هو شقى أعظم الشقاء ، ولهذا الشقاء المستتر سر فى حياته قد نعلمه أو لانعلمه .

كما أن بعض النجاح قد يكون مؤقتا اذا كان قائما على غير أساس ، وانما مثله كالفقاقيع التى تطفو على سطح الماء ولا تلبث أن تزول ، وهذه سنة الله فى الزبد الذى لابقاء له بجانب ماينفع الناس ويستقر « **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض** »

ومثل هذا يقال فيما اذا وجدنا صعوبات ومشاق تقابل العاملين الصادقين ، فان هذا هو شأن الحياة وليست الحياة بساطا مفروشا بالزهور والرياحين ، ولكن النهاية السعيدة فيها دائما للصابرين المكافحين :

« **ان الله لايضيع أجر من أحسن عملا** » ، ولو كان من سنة الله أن يمنح النصر والفوز والفلاح بمجرد قانون المشيئة لمنحه لرسله وأنبيائه وأوليائه ، وفى مقدمتهم سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولكن سنته قد جرت بالابتلاء والدفع والمجاهدة والمصابرة والمرابطة لتكون النهاية فوزا مبينا له قيمته ولذته ، **وفى ذلك يقول القرآن الكريم « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » فيطالب المؤمنين بتحقيق أسباب الفلاح الأربعة ، التى هى الصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى ، مبينا أنها هى السبيل المرجو للفلاح المنشود ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ؟**

٢
العلم بين الميثاق والشوقيات

الدكتور أحمد الحوفى

تناول المقال السابق البيئة العلمية التى عاش فيها شوقى ، وحملاته على الاحتلال البريطانى وتعويقه التعليم فى مصر ، واشادته بآثار العلوم فى نهضة الامة وقوتها ، وما جاء عن هذا فى الميثاق . وفى هذا المقال أعرض بقية نظرات شوقى ، وما وافقه فيه الميثاق :

جرائر الجهل :

بصر شوقى الأمة بجرائر الجهل ، فصوره ينتزع من النفوس خصائصها الانسانية ، فيترك الجهال أشبه بالبهائم أو الجماد، لأنهم موتى فى صورة أحياء ، نزع الجهل عقولهم كما يقبض عزرائيل الأرواح :

الجهل لا تحيا عليه جماعة
كيف الحياة على يدى عزريلا ؟

ولن ينشأ عن الجهل الا خلل فى الرأى ، وفساد فى التدبير ، وخلل فى العمل ، لأنه رمة لا تلد الا دودا :

انى نظرت الى الشعوب فلم أجد
كالجهل داء للشعوب مبيدا
الجهل لا يلد الحياة مواته
الا كما تلد الرمام الدودا
لم يخل من صور الحياة وانما
أخطاه عنصرها فمات وليدا

وقد شاهد بنفسه جرائر الجهل فى مصر ، فصور الشعب فى ظلمات ، وصور الوطن فى ضيق شديد من الأمية الفاشية ، وعزا الى الجهل استهانة الملك بالشعب ووأده الدستور ، وهو فى مستهل عمره ، وانتهت الى حكمة دان بها ، هى أن الجهل علة كل شعب متخلف :

لما رأيت سواد قو
مى فى دجى ليل بهيم
يسقون من أمية
هى غصة الوطن الكظيم
وسراتهم فى مقعد
من مطلب الدنيا مقيم
يسعون للجاه العظيـ
ـم وليس للحق الهضيم
وبصرت بالدستور يز
هق وهو فى عمر الفطيم

أيقنت أن الجهــل علـــ
ـــة كل مجتمـــع سقيم

وهذا يتفق مع ما جاء فى الميثـــاق عن الديمقراطية التى لم تكن فى ذلك الوقت الا ديكتاتورية الرجعية ، لأن فقدان الحـرية الاجتماعية لجماهير الشعب سلب كل قيمـة لشكل الحرية السياسية التى تفضلت بهـا عليه الرجعية المتحكمة ، حتى لقد صـدر دستور سنة ١٩٢٣ منحة من الملك ومنة منه وتفضلا ، فلم يكن البرلمان الذى أقامه هذا الدستور حاميا لمصالح الشعب ، بل كـان حارسا للمصالح التى منحت هذا الدستور .

لذلك نص الميثاق على أن العمل الثورى لا بد أن يكون عاميا ، لأن الثـورة ليست عملية هدم أنقاض الماضى ، ولـكن الثـورة عملية بناء المستقبل .

واذا تخلت الثورة عن العلم فمعنى ذلـك أنها مجرد انفجار عصبى ، تنفس به الأمة عن كبتها الطويل ،لكنها لا تغير من الواقع شيئا .

والعلم هو السلاح الذى يحقـق النصر الثورى ، والعلم وحده هو الذى يجعـل التجربة والخطأ فى العمل الوطنى تقدما مأمون العواقب ، وبدون العلم تصير التجربة والخطأ نزعات اعتباطية ، قد تصيب مرة ، ولكنها تخطئ عشرات المرات .

وفى رأى شوقى أنه من بلاء الأمم سيطرة جهالها على شئونها ، أو استئثارهم بالمشورة على ساستها ، لان الجهل عدو الأمم الألد ، ومباءة شرور متلاحقة لا تنفد ، ولقد تنشـأ عنه نعمة عفوا ومصادفة ، لكنها شقاء فى صورة نعيم ، ونذير فى زى بشير ، وكثيرا ما قوض الجهل الدول ، وخرب العمـران ، وأهلك الشعوب :

صغر الجهل أن يشـير بنوه
انـه لقب العـدوا الأكدا
نكـد كلـه ، وان يدا بيضـا
تجـرى على يديه لسودا
طـالما دمر المـالك تدميـ
ـرا وهد البلاد والناس هدا

ومهما تبلغ الأمة من القـوة المادية التى لا يسندها علم ، فانها خاوية سرعان ما تنهار ، لأن مظان بقائها هى أسباب فنائها .

وقد ضرب شوقى مثـــالا من الاتراك ، اذ أقاموا دولتهم على البطش والجبروت ، غير مستندة الى العلم ، فتقوض ملكهم وشيعته الشعوب بالبغض الشامت :

رفعوا على السيف البناء فلم يدم
ما للبناء علــى السيوف دوام
أبقى الممالك ما المعـارف أسه
والعـدل فيه حائط ودعام
فاذا جرى رشـدا ويمنا أمركم
فامشوا بنور العـلم فهو زمام

لهذا نصح بالاعتماد على القوة والعـلم معا :

هـا الزمان تناديكم حـوادثه
يا دولة السيف كونى دولة القلم
فالسيف يهدم فجرا ما بنىسحرا
وكل بنيان علم غـير منهـدم
وأصبـح العلم ركـن الآخذين به
من لا يقم ركنه العرفان لم يقم

حفاوة شوقى بالشباب :

واذ كان شوقى حفيا بالشباب ينـوط به الامل فىالمستقبل ، ويخصه بالتوجيــــه والتشجيع ، فانه كان كلما صاغ قصيدة فى موضوع ذى صلة بالعـلم أو الفن سكب فى قلوب الشباب أغاريد الأمل ، وحماسة الى العمل .

فهو فى قصيدته عن طيارين فرنسيين قدما الى القاهرة من باريس سنة ١٩١٤ التفت الى الشباب المصرى يوقظه من غفلته ، ويبعث فيه الثقة والغيرة ، لينهض بوطنه على أجنحـة العلم :

يا شباب الغد ـ وابناء الفدا
ـ لكم ـ أكرم وأعزز بالفـداء
انمـا مصر اليكم وبكم
وحقـوق البر أولى بالقضـاء
هل علمتم أمة فى جهلهـا
ظهرت فىالمجد حسناء الرداء؟
فخذوا العلم علـى أعـلامه
واطلبوا الحكمة عنـد الحكمـاء
واطلبوا المجد على الأرض فان
هى ضاقت فاطلبوه فى السمـاء

ويهيب بهم فىقصيدة أخرى أن يتعشقوا المجد ، وينبغوا فى العلم والأدب والصـناعة والاختراع :

قل للشباب بمصر : عصركم بطل
بكل غاية اقدام له ولع
ما الجاه والمال فى الدنيا وان حسنا
الا عوارى حظ ثم ترتجع
عليكم بخيال المجد فأتلفوا
حياله وعلى تمثاله اجتمعوا
وان نبغتم ففى علم وفى أدب
وفى صناعات عصر ناسه صنع
وكل بنيان قوم لا يقوم على
دعائم العصر من ركنيه منصدع

الغايات من العلم :

١ – على أن شوقى لم يكن يريد من العلم والتعليم معارف ضحلة مقصورة على مناهج محددة ، وبرامج مقيدة ، بل أراد بالعلم والتعليم ثقافة مستزيدة ، ونهما دائما الى الاطلاع والاستطلاع والكشف ، لان مراحل الدراسة ما هى الا مفاتيح لخزائن المعرفة التى لا تنفد كنوزها .

٢ – وفى رأى شوقى أنه ليس أضر على العلم والمتعلم من أن يطلب المتعلم العلم للوظيفة وحدها ، لأن هذا النوع سيقتصر على ما تعلمه ، وسيودع الكتاب يوم تودعه المدرسة أو الجامعة ،فيصير بعد حين فى عداد القارئين لا فى عداد المثقفين الذن يسايرون الحركة الفكرية ،، ويغذون عقولهم كما يغذون أجسامهم .

قال شوقى للشباب :

واطلبوا العلم لذات العلم لا
لشهادات وآراب أخر
كم غلام خامل فى درسه
صار بحر العلم أستاذ العصر
ومجد فيه أمسى خاملا
ليس فى من غاب أو فى من حضر

وقال فى كتابه ((أسواق الذهب)) :

ما بال الناشىء وصل اجتهاده ، حتى حصل على الشهادة ، فلما كحل بأحرفها عينيه ، وظفرت بزخرفها كلتا يديه ، هجر العلم وربوعه ، وبعث الى معاهده بأقطوعه . طوى الدفاتر ، وترك المحابر ، وذهب يخايل ويفاخر ، ويدعى علم الأوائل والأواخر . فمن ينبيه أن الشهادة طرف السبب : وفاتحة الطلب ، والجواز الى أقطار العلم والأدب ؟

ولذلك أنحى الميثاق على الثقافة الفجة والمراهقة الفكرية ، لأنها خطر ينبغى التصدى له والقضاء عليه ، ولأن التقدم الوطنى لا تحققه كلمات محفوظة عالية الرنين ، ولأنها تخلق نوعا من الارهاب المعنوى يعرقل التجربة والخطأ .

واذا كان شوقى شاعرا ، مرهف الوجدان ، سمح النفس ، مولعا بالسلام فى صلاته الخاصة ، داعية اليه فى علاقات الأمم بعضها ببعض ، فقد توخى من العلم أن يكون ريا للنفوس المتعطشة الى الحق والخير ، وان يكون وسيلة لاسعاد البشر ، لأن العلم قبس من نور الله ، وهبة ثمينة من عطاياه ، ونعمة من نعمه على عباده ، حتى لو صح ان الله يرى لكان العلم هو المصباح الذى يراه به العلماء .

فمن الجرم أن يستخدم عالم علمه فى الشرور والاضرار بالناس ، لأن هذا ينافى وظيفة العلم وما يعلق عليه البشر من آمال .

والعلماء النافعون هم الابطال ، لانهم لا يحاربون اخوانهم فيقوضوا حضارة ، ويخربوا مدنية ، بل هم يحاربون أمراض البشرية ، ويطبون للانسانية ، لتصح وتسلم ، وتسرع الى الكمال ، وهذا هو الجهاد ، وتلك هى البطولة :

لو يرى الله بمصباح لما
كان الا العلم جل الله شانا
يا طرازا يبعث الله به
فى نواحى ملكه آنا فآنا
من رجال خلقوا ألوية
ونجوما وغيوثا ورعانا
قادة الناس وان لم يقربوا
طبعات الهند والسمر اللدانا
وهم الأبطال كانت حربهم
منذ شنوها على الجهل عوانا

اما العلم الذى يبتكر معاول التدمير والتخريب ، والاحراق والازهاق ، ويسلط الباطل على الحق ، والشر على الخير ، فالجهل خير منه .

قال فى وصف الطيارة :

رب ان كانت لخـير جعلت
فاجعل الخير بناديها لزاما
وان اعتز بهـا الشر غـدا
فتعالت تمطر الموت الزؤاما
فاملأ الجـو عليهـا رجما
رحمة منك وعدلا وانتقاما

وقال فى وصف الغواصة :

فلا كان بانيها ولا كان ركبهـا
ولا كان بحر ضمها وحواها
وأف على العلم الذى تـدعونه
اذا كان فى علم النفوس رداها

وعرج فى احدى مراثيه على الحرب الكبرى فسخط على المخترعات المدمرة التى لم تتورع عن تخريب الاماكن المقدسـة ، ووصف مخترعيها بأنهم أئمة مجرمون :

يتقاذفون بذات هول لم تهب
حرم المسيح ولا حمى العذراء
من محدثات العـلم الا أنهـا
اثم عواقبهـا على العلماء

وكذلك قدر الميثاق العلم وبخاصة فى الباب الثامن ، لكنه أراد العلم الذى يحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية ، أما العلم المخرب المدمر فقد قال فيه الميثاق : ان الطاقة الذرية من أجل الحرب ليست هدفنا ،ولكن الطاقة الذرية فى خدمة الرخاء قادرة على أن تصنع المعجزات فى معركة التحرير الوطنى .

ثم نص فى الباب العاشر على أن شـعب الجمهورية العربية المتحدة لم يدخر جهدا فى سعيه نحو السلام ، فقد ساهم بكل اخلاص فى أعمال مؤتمر باندونج وانجاحه ، وحاول عن طريق الأمم المتحدة أن يدفع الخطر عن السلام ، وشارك فى الجهود الانسانية العظيمة المكرسة لتحريم التجارب الذرية ، لأنه مؤمن بالسلام ولأنه يعرف قيمته فى ترقية الحياة التى يحاول بناءها على أرضه .

٤ – على أن شوقى مع تقديره للعـلم أعظم تقدير ، واشادته بمقدرة العلماء على الابتكار والاختراع ، آمن بأن للعلم حدودا يجب ألا يتعداها ، فكان ايمانه بقضـاء الله وقدره أقوى من ايمانه بالعلم ، لأن العلمـاء مهما أوتوا من المعرفة بشر خلقهم الله ، وليس علمهم الا قطرة من بحور علمه ، وما مقدرتهم وأعاجيب اختراعهم الا ذرة فى طود القـدرة الالهية ، وهم ومخترعاتهم ومعارفهم بيد الله تعالى ، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا :

لك الملك يا من خص بالعلم ذاته
ومن فوق آراب الملوك مآربه
فآمنت بالعـلم الذى أنت نوره
ومنـك أياديه ومنك مناقبه
تؤامن من خـوف به كل غالب
على أمره فى الأرض والداء غالبه
وآمنت بالله الذى عز شـأنه
وآمنت بالعلم الذى عز طالبـه

٥ – لهذا رأى شوقى أن يقف العلماء من الغيبيات عند تصديقها ، وألا يعنوا نفوسهم فى استكناه حقائقها ، لأنها فوق علمهم .

يتبين هذا من قوله فى الحياة : « أحق أنها هى الدم حتى يجمد ؟ وأنها هى الحرارة حتى تبرد ؟ وأنها هى الحركة حتى يقطعها السكون؟ وأنها هى الجاران – الروح والجسد – حتى تفرق بينها يد المنون ؟.

الحق ان افتئات الفلسفة على ضغائن الله سفه ، وأن علم الحياة عند الذى يهبهـا ويستردها ، والذى يقعدها ويمدها ، والذى يخلقها ويستجدها والذى كل حى سـواه يموت ، وكل شىء ما خلاه يفوت » .

وسخر ممن زعموا أنهم عرفوا حقيقـة الروح ، ورأى أن مزاعمهم أوهام مردها الى اضطراب أعصابهم ، لأن الروح من ضنائن علم الله تعالى :

لا تسمعن لعصـبة الأرواح
قالوا بباطل علمهـم واكذابه
الروح للرحمان جل جـلاله
هى من ضنائن علمـه وغيابه
غلبـوا على أعصابهم فتوهموا
أوهام مغلوب على أعصابه

ولم يكن شوقى يريد بهذا أن يحجر على العقـول المفكرة ، والعبقريات المبتكـرة ، بل أراد لها أن تجول فيما يتراءى فيـه

نجاحها ، أو يتوقع من ورائه ترقية المجتمعات وتطوير الحياة .

اما التطاول الى الاسرار التى استأثر الله بعلمها فانه جهد ضائع ، ووهم باطل ، وخبط فى غياهب ومجاهل ، وليس للعلم أن يحاول اقتحام ما استأثر الله بعلمه ، ولقد صدق سبحانه فى قوله « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

دعوته الى تعليم الفتاة :

ولقد دعا شوقى الى تعليم الفتاة ، لأنها بعد حين الأم التى تلد الأطفال أو الاشبال ، وتربيهم على أحسن مثال . وفى رأيه أن الأم هى الخالق للطفل بعد الله ، وهى التى تطبع ولدها وتشكله ، فيكون عظيما أو حقيرا ، وخيرا أو شريرا :

اولا التقى لقلت لم يخلق سواك الولدا
ان شئت كان العير أو ان شئت كان الاسدا
والبيت أنت الصوت فيه وهو للصوت صدى
كالببغا فى قفص قيل له فقلدا
وكالقضيب اللدن قد طاوع فى الشكل اليدا
يأخذ ما عودته والمرء ما تعودا

لهذا دافع عن حق النساء فى التعلم ، وضرب الامثال بحالهن فى الاسلام ، وفاخر بما كان لهن من آثار ، لعل الذين كانوا ينازعون فى تعليم الفتيات أن يقتنعوا بأن الاسلام لا يعارض فى تعليمهن ، بل يوجبه :

هذا رسول الله لم ينقص حقوق الأمهات
العلم كان شريعة لنسائه المتفقهات
ولقد علمت بناته لجج العلوم الزاخرات
كانت سكينة تملأ الدنيا وتهزأ بالرواة
روت الحديث وفسرت آى الكتاب البينات
وحضارة الاسلام تنطق عن مكان المسلمات
بغداد دار العالمات ومنزل المتأدبات
ودمشق تحت أمية أم الجوارى النابغات
ورياض أندلس نميـن الهاتفات الشاعرات

ولهذا كان أسيفا من بطء الخطا الى تعليم البنات ، وكان يجهر بأن تعليمهن أجدر بالعناية من بناء الحصون والقلاع ، لأنهن اللائى سيلدن النابغين ويربينهم ، وينجبن الاشبال ويرضعنهم ، وينشئن للامة جيلا كل فرد منه حصن للوطن :

قم ابن الأمهات على أساس ولا تبن الحصون ولا القلاعا
فهن يلدن للقصب المذاكى وهن يلدن للغاب السباعا
وجدت معانى الأخلاق شتى جمعن فكن فى اللفظ الرضاعا

ولا سبيل الى انهاض شعب جهلت نساؤه، لانهن المربيات الأوليات ، وحسب البنين من الضرر أنهم يرضعون من أمهاتهم جهالة وكسلا وخنوعا :

واذا النساء نشأن فى أمية رضع الرجال جهالة وخمولا

وقد ساهم شوقى فى الاحتفاء بالجامعة المصرية القديمة سنة ١٩٠٨ وحيا الذين تبرعوا لها ، والذين دعوا الى انشائها ، ثم احتفلت الجامعة الجديدة ببعض منشآتها سنة ١٩٣١ فحياها شوقى بقصيدة منها :

ما هذه الغرف الزواهى كالضحا الشامخات كأنها الأعلام
من كل مرفوع العمود منور كالصبح منصدع به الاظلام
تتحطم الأمية الكبرى على عرصاته وتمزق الأوهام

هذا البناء الفاطمى منارة
وقواعد لحضارة ودعام
شرفاته نور السبيل وركنه
للعبقرية منزل ومقام

واذا كان قد احتفى بالجامعة قديمة وجديدة ، فانه كان يأمل أن تنشىء مصر جامعة للفتيات ، اذ قال فى سنة ١٩٢٠ :

من ذا يؤسى هذه الشد
جاعة المستعبرة
لو عشت شدت مثلها
للمرأة المحررة

وذلك انه لم يكن يدور بخلده حينئذ أن الفتيات سيخالطن الفتيان فى قاعات الدرس والمحاضرات ، ولعل هذا لم يكن يدور بخلد أحد فى ذلك الوقت ، وقصارى ما كان يأمل فيه المصلح أن تنشىء مصر جامعة للفتيات كما أنشأت جامعة للفتيان ، وهذا هو الذى تمناه شوقى :

وقد نص الميثاق فى الباب السابع على أن المرأة لا بد أن تتساوى بالرجل ، ولا بد أن تسقط بقايا الاغلال التى تعوق حركتها الحرة، حتى تستطيع ان تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة .

تمجيد شوقى للمعلمين :

هذا الكلف بالعلم البانى النافع جعل شوقى بمجد المعلمين ، فيذكر أن الله تعالى هو المعلم الأول ، وأنه بعث الرسل ليعلموا الناس ، وأن المعلمين أشبه بالرسل ، لانهم يربون النفوس والعقول ، ويهدون الأمم الى الخير والحق ، ويرشدونها الى العزة والمجد :

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف أو أجل من الذى
يبنى وينشىء أنفسا وعقولا ؟
سبحانك اللهم خير معلم
علمت بالقلم القرون الأولى
أرسلت بالتوراة موسى مرشدا
وابن البتول فعلم الانجيلا
وفجرت ينبوع البيان محمدا
فسقى الحديث وناول التنزيلا

ولم ينس فى تقديره للمعلمين أن يبصرهم بواجبهم العظيم فى تربية النشء ، لانهم المثل التى يحاكونها ، فعليهم أن يكونوا قدوة طيبة، وأن يطبعوا تلاميذهم وطلابهم على الانصاف، لأن الانصاف ملتقى كثير من الفضائل :

ربوا على الانصاف فتيان الحمى
تجدوهم كهف الحقوق كهولا
فهو الذى يجنى الطباع قويمة
وهو الذى يبنى النفوس عدولا
ويقيم منطق كل أعوج منطق
ويريه رأيا فى الأمور أصيلا
واذا المعلم لم يكن عدلا مشى
روح العدالة فى الشباب ضئيلا
واذا المعلم ساء لحظ بصيرة
جاءت على يده البصائر حولا
واذا أتى الارشاد من سبب الهوى
ومن الغرور فسمه التضليلا
واذا أصيب القوم فى أخلاقهم
فأقم عليهم مأتما وعويلا

واشفق على المعلمين ، لأن الأمهات جاهلات لا يستطعن أن يشاركنهم فى تعليم النشء وتثقيفه وتربيته تربية صحيحة ، ولعله لو صرح بما فى نفسه لقال ان البيوت الجاهلة تهدم ما تبنيه المدارس ، وتعاند بعاداتها ونظمها وأوهامها ما تغرسه المدرسة فى نفوس الصغار ، لكنه لم يصرح بهذا ، واكتفى بقوله :

انى لاعذركم واحسب عبئكم
من بين أعباء الرجال ثقيلا
وجد المساعد غيركم وحرمتم
فى مصر عون الامهات جليلا
واذا النساء نشأن فى أمية
رضع الرجال جهالة وخمولا

وقد نص الميثاق على مساواة المرأة بالرجل ، وتحطيم بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة ، حتى تستطيع أن تشارك مشاركة فعالة بناءة فى صنع الحياة الراقية لشعب يسرع الى الرقى خطاه .

مظهر من فساد نظم

العقوبة فى الشرائع

السابقة للإسلام

عقوبة الحيوان والجماد عما يتسببان فى احداثه

الدكتور على عبد الواحد وافى

أقر هذا النوع من العقوبة عدد كبير من الأمم فى مختلف العصور ، وبخاصة اليهود واليونان والرومان والفرس فى العصور القديمة والأمم الأوروبية المسيحية فى العصور الوسطى والحديثة .

وسنلقى فيما يلى نظرة على أوضاع هذا النظام الغريب فى شرائع هذه الأمم ، ثم نختم المقال ببيان موقف الاسلام حياله .

١ ـ أقرت أسفار اليهود المقدسة مسئولية الحيوان وعقابه فى حالتين : تتعلق احداهما بتسبب الحيوان فى موت انسان ، وتتعلق ثانيتهما بالاتصال الجنسى بين انسان وبهيمة .

أما الحالة الأولى : فقد نص عليها سفر الخروج « وهو أحد الأسفار التى يزعمون أنها التوراة » اذ يقول : « اذا نطح ثور رجلا أو امرأة ، وأفضى ذلك الى موت النطيح ، وجب رجم الثور ، وحرم أكل لحمه . ولا تبعة على مالكه اذا لم يكن الثور معتادا النطح . فان كان ذلك من عادته ، وأنذر الناس صاحبه فلم يعبأ بانذارهم ، وأهمل رقابته حتى تسبب فى هلاك رجل أو امرأة كان جزاء الثور الرجم وجزاء صاحبه الاعدام » (فقرتى ٢٨ ، ٢٩ من الاصحاح ٢١ من سفر الخروج » . ـ وهذه النصوص صريحة فى اعتبار الثور فى هاتين الصورتين أهلا لاحتمال المسئولية الجنائية وفى اعتبار رجمه عقوبة بالمعنى القانونى الدقيق لكلمة العقوبة . وقد تولدت مسئوليته هذه من جرم أحدثه ، ووقعت تبعته ونتائجها عليه وحده فى الصورة الأولى ، ولكنها شملت كذلك صاحبه فى الصورة الثانية لمظنة اهماله

وأما الحالة الثانية : فقد نص عليها سفر اللاويين (وهوكذلكأحد الأسفارالتى يزعمون أنها التوراة) اذ يقول : « ان قرب رجل بهيمة حكم على كليهما بالموت ، وان قربت امرأة حيوانا وجب قتل المرأة والحيوان » . ولا تقل هذه النصوص صراحة عن النصوص السابقة فى اعتبار الحيوان فى هاتين الصورتين أهلا لاحتمال المسئولية الجنائية وما يترتب عليها من عقوبة ، وخاصة لما يقرره كتاب « المشناة » (الذى يتألف منه ومن شرحه المسمى الجمارا أسفار « التلمود) من أن المقصود بكلمتى « القتل » و « الموت » الواردتين فى النصوص السابقة هو الرجم . وذلك أن تنفيذ الاعدام على هذا الوجه لم يعهد الا فى الحدود الشرعية

التى تفترض أهلية الكائن لاحتمال المسئولية والجزاء ، وقد تولدت هذه المسئولية فى الصورة الأولى لمجرد عمل لابس الحيوان بدون أن يكون له دخل فى احداثه ، وفى الصورة الثانية لعمل لابسه وكان له دخل ما فى احداثه، ووقعت تبعتها ونتائجها فى الصورتين على الحيوان والانسان الذى اقترف الجرم ٠

٢ ــ وقد حرص قدماء اليونان أيما حرص على عقاب الحيوانات والجمادات المتسببة فى هلاك انسان ، حتى لقد أنشئوا لذلك محكمة مستقلة كان يطلق عليها اسم « البريتانيون » (وهو اسم المكان الذى كانت تعقد جلساتها فيه) ٠ وقد أشار ديموستين (من أشهر خطباء اليونان فى القرن الرابع ق٠م ٣٨٤ــ ٣٢٣ ق٠م) الى هذه المحكمة فى عبارة تدل على أنها كانت لاتزال قائمة فى عصره وذلك اذ يقول : اذا سقطت صخرة أو قطعة حديد أو خشب على شخص فأهلكته وجب أن تقام عليها الدعوى أمام محكمة « البريتانيون » ، ويفهم مما كتبه كبيرفلاسفتهم أرسطو «٣٨٤ــ ٣٢٢ ق٠م » فى هذا الصدد أنه كان يحاكم أمامها كذلك الحيوانات المتسببة فى موت الآدميين ٠ ويظهر أنه كان يحكم على الجماد بالتحطيم وعلى الحيوان بالاعدام ، وأن كليهما كان يقذف به عقب ذلك فى خارج حدود البلاد (وهذه عقوبة اضافية تشبه عقوبة النفى التى توقع فى بعض الجرائم على الآدميين) ٠ وقد أقر أفلاطون (٤٢٩ــ٣٤٧ ق٠م) هذا المبدأ فى كتابه « القوانين » اذ يقول : « اذا قتل حيوان انسانا كان لأسرة القتيل الحق فى اقامة الدعوى عليه « على الحيوان » أمام القضاء ويختار أولياء الدم القضاة من المزارعين ، ولهم أن يختاروا منهم أى عدد يشاءون ٠ وفى حالة ثبوت الجريمة على الحيوان يجب قتله قصاصا والقاء جثته فى خارج حدود البلاد ٠ ويستثنى من ذلك القتل الناشىء عن مبارزة بين الانسان والحيوان فى مسرح الألعابالعمومية « السيرك» فان هذا لايترتب عليه أى اجراء قضائى ٠ واذا سقط جماد على انسان فأهلكه ، سواء أكان سقوطه ناشئا عن عامل طبيعى أم عن عمل انسان ، اختار أقرب الناس الى القتيل قاضيا من جيرانه ليحكم على الجماد أن ينبذ فى خارج حدود البلاد ٠ ويستثنى من ذلك الاشياء التى تقذف بها السماء كالنيازك والصواعق وما اليها فاذا تسببت هذه الأشياء فى موت انسان لايترتب على عملها أى اجراء قضائى » ــ ومن المعروف أن معظم الشرائع التى ذكرها أفلاطون فى كتابه « القوانين » قد استمد أصولها من نظم كانت متبعة بالفعل فى بلاد اليونان ٠

٣ ــ وأقرت الشرائع الرومانية القديمة مسئولية الحيوان فى أحوال كثيرة ٠

فالتشريع المنسوب الى نوما بومبيليوس « ثانى ملوك الرومان فى عصورهم السابقة للتاريخ ٧١٤ــ٦٧١ ق٠م » يتضمن مادة تقضى بعقوبة الاعدام على الثور وصاحبه اللذين يتسببان فى أثناء عملية الحرث فى نقل الحد الفاصل بين الحقل المحروث والحقل المجاور له ٠

وقد أقرت شريعة « الألواح الاثنى عشر » نفسها ، وهى أساس شرائع الرومان ، فى عصورهم التاريخية « حررت هذه الألواح سنة ٣٠٣ أو ٣٠٦ من تاريخ روما ، وتاريخ روما يبدأ من نشأة روما سنة ٧٥٣ ق٠م ، فيكون تحرير هذه الألواح حوالى سنة ٤٥٠ ق٠م ، أى فى منتصف القرن الخامس ق٠م » مسئولية الحيوان فى حالتين : احداهما اذا تسبب فى اتلاف أو ضرر ، وثانيتهما اذا رعى عشبا غير مملوك لصاحبه ٠ فقد أوجبت فى كلتا الحالتين على صاحب الحيوان أن يسلمه الى المجنى عليه أو يدفع الغرم المقرر ان أراد الاحتفاظ بحيوانه ٠٠ ولم يقصد المشرع من تسليم الحيوان الى المجنى عليه تحقيق عوض مالى له ، وانما قصد تمكينه من المتسبب فى ضرره ليتخذ حياله مايشاء ، أو يثأر لنفسه منه على الوجه الذى يراه ، ولذلك لم يقم القانون فى حالة تسليم الحيوان أى وزن لقيمته المالية ونسبتها الى الضرر الذى أحدثه ٠ فمجرد تسليمه يعتبر مسقطا للخصومة ، سواء أكانت قيمته مساوية لما أحدثه أم كانت زائدة عليه قليلا أو كثيرا ، أم كانت أقل منه ، أم لم تكن شيئا مذكورا بجانبه ٠ ولذلك أيضا يقرر هذا القانون أن

ملكية الحيوان اذا انتقلت بعد ارتكاب الحادث بالبيع أو غيره من يد مالكه الأول فان الدعوى تقام على مالكه الأخير لا على المالك الذى اقترف الجرم فى أثناء ملكيته له . ففى هذا دليل على أن المسئولية تتجه أولا وبالذات الى الحيوان نفسه وتتعقبه حيثما يكون .

٤ ـ وورد فى أسفار « الأبستاق » (أو « الأفستا » ، وهى مجموعة الأسفار المقدسة المنسوبة لزرادشت التى تقوم عليها الديانة الزرادشتية التى كان يعتنقها الايرانيون فى عصورهم القديمة وصدر عصورهم المتوسطة قبل اعتناقهم الاسلام) أن الكلب المصاب بمرض الكلب اذا عض خروفا فقتله أو انسانا فجرحه قطعت أذنه اليمنى ، فان تكرر منه ذلك قطعت أذنه اليسرى ، وفى المرة الثالثة تقطع رجله اليمنى ، وفى الرابعة رجله اليسرى ، وفى الخامسة يستأصل ذنبه ، ويعاقب صاحبه كذلك ان كان قد أهمل فى اتخاذ ماينبغى اتخاذه حيال كلبه من احتياط ورقابة . ولا يخفى ما ينطوى عليه هذا القانون ، وتنطوى عليه العقوبات التى يقررها فى صورة مراعى فيها سوابق الجانى ، من تسليم بأهلية الحيوان لاحتمال المسئولية الجنائية ومايترتب عليها من جزاء .

٥ ـ وقد اتخذت شرائع الأمم الأوروبية المسيحية فى العصور الوسطى ، حيال جريمة الاتصال الجنسى بين انسان وحيوان ، موقفا يشبه موقف الشريعة اليهودية ، بل يبدو أنه مقتبس منها . فكانت هذه الشرائع تحكم بالاعدام « حرقا فى الغالب » على البهيمة التى يقربها انسان ، كما كانت تحكم بذلك على الانسان نفسه الذى ارتكب هذا الجرم ، وكانت الكنائس نفسها تشرف على تنفيذ هذه العقوبة .

٦ ـ وظلت شرائع الأمم الأوروبية المسيحية أمدا طويلا فى صدر العصور الحديثة نفسها تعتبر الحيوان أهلا لاحتمال المسئولية الجنائية ومايترتب عليها من عقوبة .

وكانت فرنسا أول أمة أوربية مسيحية أخذت فى هذه العصور بمبدأ مسئولية الحيوان ومعاقبته بجرمه أمام محاكم منظمة وبالطرق القانونية نفسها المتبعة فى مقاضاة الانسان . وقد ظهر هذا النظام لديها فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى ، ثم ظهر فى سردينيا فى أواخر القرن الرابع عشر ، ففى بلجيكا فى أواخر القرن الخامس عشر ، ففى هولندا وألمانيا وايطاليا والسويد فى منتصف القرن السادس عشر ، ففى انجلترا فى القرن الثامن عشر ، وظل العمل به قائما عند بعض شعوب الصقالبة حتى القرن التاسع عشر الميلادى . ويؤخذ مما كتبه مؤرخو القانون فى هذا الصدد أن التسبب فى قتل انسان كان أهم جريمة يقدم من أجلها الحيوان الى ساحة القضاء ، وأن المدعى كان فى الغالب النائب العمومى نفسه وأحيانا المجنى عليه وأن صاحب الحيوان كان فى امكانه فى بعض الأحوال أن يوقف الاستمرار فى القضية اذا تخلى للموتورين عن حيوانه ، وأن الاجراءات التى كانت تتخذ حيال الحيوان لم تكن لتختلف فى شىء عن الاجراءات التى تتخذ حيال المجرمين من الآدميين ، حتى لقد كان يحكم أحيانا على الحيوان بالحبس الاحتياطى عند الحاجة الى ذلك وأنه فى حالة ثبوت الادانة كان يحكم على الحيوان بالاعدام وينفذ الحكم على مشهد من الجمهور وبالطريقة نفسها التى ينفذ بها على الآدميين ، وأن الاعدام كان يتخذ صورا كثيرة ففى الغالب كان يحكم بشنق الحيوان ، وأحيانا يحكم برجمه أو بقطع رأسه أو بحرقه .. وما الى ذلك ، وفى بعض الأحوال كان يقطع بعض أعضائه قبل تنفيذ عقوبة الاعدام فى صورة تمثل فى جملتها مافعله المجنى عليه ـ وان أسباب الأحكام التى كانت تصدرها المحاكم حينئذ ضد الحيوانات والنصوص الواردة فى البحوث القانونية فى ذلك العهد لتدل أقطع دلالة على جدية هذه القضايا فكثيرا ماتردد هذه الأسباب وهذه النصوص عبارات لاتختلف فى شىء عن العبارات التى كانت تستخدم فى جرائم بنى الانسان ، وكثيرا مايرد فيها : «يحكم باعدام الحيوان تحقيقا للعدالة » أو « يقضى عليه بالشنق جزاء لما ارتكبه من جرم وحشى شنيع» .. وما الى ذلك من العبارات الصريحة فيما نحن بصدد تقريره .

٧ ـ هذا ، وقد قضت الشريعة الاسلامية الغراء على جميع هذه الانحرافات فى نظم العقوبة ، وقررت أن المسئولية الجنائية وما

يترتب عليها من جراء لا يقعان الا على انسان بالغ عاقل ، وأن كل ماينجم عن عمل الحيوان أو حركة الجماد فهو هدر ان لم يصحبه اهمال من المالك ولا تعمد ، فان صحبه شيء من ذلك قضى على المالك بتعويض مالي للمجني عليه في بعض الأحوال على ماهو مبين في كتب الفقه الاسلامي ٠

غير أن بعض فقهاء المسلمين قد ذهب فى صدد البهيمة التى يقربها آدمى مذهبا يظهر فى بادىء الرأى أنه ينطوى على اعتبار الحيـوان أهلا لتحمل المسئولية الجنائية والجزاء ٠ ومن هؤلاء فقهاء المذهب الشافعى الذين يرون فى هذه الحالة وجوب قتـل البهيمة بدون ذبح شرعى واحراق جثتها ٠ ومنهم كذلك فقهـاء المذهب الحنبلى الذين يرون وجوب قتـل البهيمة ويحرمون أكل لحمها ٠ ويوقعون على الفاعل عقوبة التعزير « وهى عقوبة يقدرها القاضى فى صورة تتلاءم مع خطورة الجرم وحالة المجرم على ألا تصل فى شدتها الى درجة الحد المقرر فى جريمة الزنا » ويلزمونه دفع قيمة البهيمة لمالكها ان كانت ملكا لغيره أنظر كتاب « نيـل المآرب بشرح دليل الطالب ، فى مذهب الامام أحمد بن حنبل ، ص ٢٣٣ » ٠ ومن هؤلاء كذلك فقهاء الشيعة الامامية « وهم الاثنا عشرية أو الجعفرية الذين يتألف معظمهم من شيعة العراق وايران » الذين يرون أن البهيمة فى هذه الحالة يجب ذبحها وحرقها ويغرم الفاعل قيمتهـا لصاحبها ويحرم لحمها ولحم نسلها الذى جاء بعد الوطء ان كانت مأكولة اللحم ، ويجب بيعها فى بلد آخر « وهذا الاجراء يشبه عقوبة النفى التى توقع أحيانا على بعض المجرمين من الآدميين » ويتصدق بثمنها ويغرم لصاحبهـا قيمتها ان كانت غير مأكولة اللحم ، وأنه اذا لم يقم دليل قاطع على تعيين البهيمـة التى لابسها هذا الجرم ضربت القرعة على البهائم المشتبه فيها ، فما أصابتها القرعة من بينها تعتبر البهيمة المقصودة وتتخذ حيالها هـذه الاجراءات (أنظر كتاب « أصل الشـيعة وأصولها » للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، الطبعة الثانية ، ص ١٥٨) ٠

غير أن من ذهبوا هذا المذهب من فقهـاء المسلمين يقررون هم أنفسهم أن الغرض من هذه الاجراءات هو مجرد القضـاء على ذكرى الفاحشة ومحو أثرها من النفوس واتقاء مايجره بقاء البهيمة على مرتكب الجرم من سـخرية الناس وازدرائهم به وتعيرهم اياه ٠

نحو الأخلاق

من توجيهات النبوة

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

« .. ان الله يكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال واضاعة الأموال »

١ ـ وهكذا ترى فى جوامع الكلم النبوى مايتسع لديك فى مجال التربية ، وينهض بك الى المستوى الكريم فى تزكية النفس ، ويستقر بك على شأو رفيع من المروءة والتحفظ من الهنات .

وان تكن جوانب الخير فى مناهج الحياة كثيرة ، وكلها مرموق ومشوق : فأصدق ما يظفر به المرء من معالم الكمال : هو مايتعلق بتربية روحه ، وتزكية نفسه ، وتصحيح معنويته ، وابراز انسانيته ، فيما يتسم به من روية ، وفيما يبدر على لسانه من كلم ، وفيما ينجم عن تدبيره من تصرف .

ومن أجل هذه المرامى كانت عناية الاسلام بالتهذيب الأدبى مؤاخية للتوجيه الاقتصادى ، فى السياق العام ، وفى تطويع المرء ، للاخذ منهما بما يكفل صلاح دينه ودنياه .

٢ ـ وانظر فى حديث الموضوع : تجد نهيا زاجرا من جانب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أسلوب الخبر عن كراهية الله لأمور ثلاثة :

١ ـ القيل والقال : فماذا يراد ؟

بيننا أناس يتحدثون فى كثرة ، ويتناقلون الأقاويل دون روية ، فهم كحاطب ليل : يستوى عندهم ترويج الحديث عمن يعرف ومن لايعرف ، ولا يعنيهم أن يكون قصصهم تافها ، أو مكذوبا أو ذا مساس بالغير ،ولهم فى الاغراء

بالحديث محاولات وحيل فيضفون على الأقوال من صيغ الايهام مايشعرك أنه حقائق ، أو هو مما يدور بين الناس ، ويثير اهتماما فى المجتمع

ومن شأن المشغول بالكلام ألا يتحرج من عثرات اللسان ، واثارة الشغب ، واستئناف الجدل حينا بعد حين ٠

ثم من شأنه كذلك أن يكون غير جدى فى تفكيره ولا شغوف باتقان عمله ٠

ومن كان كذلك فهو غير أمين على المجالس، وبعيد عن الثقة فى المعاملة ، ثم هو ـ بعد ذلك

ـ مضغة فى الأفواه ٠٠ وتلك نقـــائص لاشك !

ب ـ كثرة السؤال !

وهذه خصلة ثانية من الثلاث البغيضة فى الحديث ٠٠

ومبعثها : حب الاستطلاع أكثر مما ينبغى ٠

اذ : يطيب لأناس أن يتحسسوا كل نبأ ، ويقفوا على كل شأن ، ويتجاوزوا مايعنيهم الى غير مايعنيهم ٠

ومن مقتضيات هـــذا الالحاح أن يتتبعوا سقطات الناس ، ويتكشفوا عورات الأسرار ، وهذا : لون آخر من ألوان القيل والقال : غير انه فى نمط الاستفهام ، وذاك فى أسـلوب القصص ، والأخبار ٠

والضرر فيهما لايقف عند حدود الشخصية ، بل يمتد فى محيط البيئة ، ويتغلغل فى حياة المجتمع ، وفى اطار السياسة العامة وهذه أيضا نقيصة ، وأى نقيصة ؟

فالمكثار فى حديثه والمتوسع فى تساؤله : كلاهما يثير ظنونا كامنة ٠ ويفتح للشبهات مجالا كان مغلقا ٠٠

وبهذا ينجم بين الناس قلق ، وتروج بينهم قالة السوء ، وتبتعد الأنفس عن تلاقيها ، الى أن يصير فى القوم شيع وأحزاب ، وتحـدث فيهم فجوات ومذاهب ، وكل ذلك خطر لايغفله الدين فى تعاليمه ، ولا يترك دعاته فى غيهم ، حتى يتأصل الضرر ، ويصبح وبالا داهما ، والأصل فيه أفراد لم يفطنوا له ، وتسامح كان هينا معهم ، ومعظم النار من مستصغر الشرر ٠

حـ ـ اضاعة الاموال :

لاتقوم الحياة الدنيا على غير دعامة المال ، ولا يكون الاسلام وأهله فى عزة اذا تعثروا فى مذلة الحاجة ، ولا تتوافر السيادة القوميـــة لجماعة الا اذا ركزت مراســيها على دين ، ومال ٠

لذلك ترى منهج الاسلام فى دعوته ، وفى توجيهاته جهيرا بذكر المال ، والاشـادة به ، وأنواعه ، والا متنان بمنافعه على اختـــلاف ألوانها وترى للقرآن فى حديثه عن المال نسقا حافلا بالضوابط الجامعة

فمرة : يصارح بأنه زينة الحياة الدنيا ٠٠ ومرة ينهى عن الاسراف فيه، ويحث على كسبه من الطرق المشروعه ، ومرة يسخط على البخلاء الذين يكنزونه فلا يعطون أنفسهم حظها ، ولا ينفسون عن الفقراء كرباتهم ، أولا يسهمون فى المنافع العامة بين قومهم

وهكذا : من كل نمط يتعلق بالنشـــاط الدنيوى ، واحراز ثمراتها ، وحســن التصرف فيما تملكه اليد من موارد الحياة الاقتصادية ليظل المال عمادا ، وقوة ، وزينة ، وتكون دنيانا به عامرة ، ومظاهره توجيها الى فضل الله

ذلك : لأن الاسلام كما دعا أهله الى الجانب الأدبى ، روحيا ، وخلقيا ، يحرص لأهله على تنظيم دنياهم ، ويتحاشى بهم أن يتعرضـــوا للازمات ، وهو أن الفاقة والناس فى تجاربهم يعلمون أن الأعسار من شر مايذوقه المرء فى حياته :وأن مهانة الأمم لاتدخل حماها ، ولا تنفذ الى معاقلها من باب أسوأ من منافذ حاجتها وضيق يدها ، وتوقف نشاطها ، وكساد العلم فيها ٠

وبذلك يرتبط المال والدين فى صلاح الأمة كما تشهد التجارب ويعلمنا الدين

ومن هذا الايجاز « عن القيل والقال ، وعن كثرة السؤال ، وعن اضاعة المال » يتضح لنا أن حديث الرسول لايبتعد عن الواقع الذى نحسه ونشهده أفرادا ، وجماعات

فهو علاج لنزعات معيبة فى أولها ومخوفة فى عواقبها .

والاسلام يحوطنا بأسباب الوقاية من آثار هذه العوامل الهدامة ، والسعيد من وعظ بغيره

ان الناس كثيرا مايتغاضون عن الواقع ، وينسون فى لهو الحياة ماتفجأهم به الحياة ، فلا يتنبهون الا عندما تحدق بهم النوازل ، وتضيع منهم الفرص .

ولهذه السجية الانسانية يتعهدنا الدين بالتذكير بما ننسى ، والتبصير بما يخفى ، والتعريف لما نجهل

وفى تاريخ المسلمين عبر ، وفواجع ، تكفى لتقدير هذا التوجيه الحق

فقد كانت وحدة المسلمين ، وتخلقهم بالمحامد ، وتحفظهم من اللغو والهذيان ، وتخرجهم من الاسفاف فى الشهوات واضاعة الأموال فى غير اعتدال : كانت هذه المزايا سلاحا للفرد وسياجا من التصدع القومى ، وحصانه من الهزات بعامة

فلما رمتهم الأيام بالدخلاء فيهم ، ونفث الدخلاء بينهم سموم التشكيك ، والاقاويل ، وتعهدوها بالسعى الخبيث بين الجماعة تراخت العلاقة المشدودة بين أمة محمد » ووهنت الثقة المعقودة بين الراعى والرعية ، وتسربت ألاعيب الدخلاء الى تراثنا العلمى ، فزيفوا على رسول الله مالم يقله ، ولم يدع اليه ، وحشدوا فى تفسير القرآن كل مايأباه القرآن ، وفرقوا بين الناس فى كل واد ، حتى قامت بيننا عقبات ، وكادت تنال منا الفتن لولا أن الله يحفظ دينه من كيد الكائدين

فان يكن الأخذ بالحديث النبوى طاعة دينية فالعبرة بالتاريخ . كذلك وجهة حتمية فلتكن سياسة المسلح لنفسه ، وسياسة الولاة للرعية على ضوء مايهدى الحديث والتاريخ وما دامت معالم الهداية واضحة فى ديننا ، وفى تاريخنا فلا عذر لنا فى التخلف عن مسالكنا الرشيدة

ونحن من جديد فى فترة زمنية واعية ، وفى حياة وثابة الى اهدافنا المنشودة

فمن الخير أن نحرص ، والله سبحانه ـ يحب منا ان نتجمل بالمحامد ، ونترفع عن الخسيسة وهو تعالى كفيل أن يرفع اقدارنا الى حيث يرضى عنا ، ونرضى عن انفسنا ، « ان رحمت الله قريب من المحسنين » .

دعوة

الميثاق الوطني من دعوة الإسلام

الأستاذ حسني عبد المجيد

الأمر الذى لاشك فيه أن مجتمعنا يعانى من المشكلات مالم يعانه مجتمع اسلامى فى أى عصر ، ولعل اصطدام مجتمعنا بالحضارة الغربية ونظمها وفلسفتها وأخلاقها التى تختلف اختلافا جذريا عما ساد ويسود مجتمعاتنا الاسلامية . بالاضافة الى تفكك المجتمع السياسى والاقتصادى والاجتماعى الى حد ضاعت فيه وحدته الاسلامية وتفرقت شيعا وأصبح الاستعمار قابضا على ناصية العرب قرونا من الزمان .

ولكن حق التطور الطبيعى ونموه ودفعه أخرج حدثا من الأبناء الأبرار حملوا رسالة « الوحدة العربية » ووضعوا رءوسهم على ايديهم لايهمهم جزاء أو شكرا »

وينقسم المجتمع العربى فى خضم هذه المشاكل الى فئات متعددة . منها من لايؤمن بصلاح بعد أن يئس وضعف واتجه للغرب ينشد كل حضارة ورقى عن غير تبصر أو روية ، وفئة أخرى تؤمن أن فى الاسلام حلا لهذه المشكلات جميعا ولكنها لا تعرف أين الخلاص وكيف .. وتظن أنه من الممكن تطبيق الاسلام بنفس الأبعاد والأشكال التى طبقت فى عهد الخلفاء الراشدين . دون أن يدرسوا دراسة عميقة ، ورغم أبعاد المجتمع الاسلامى الحالى ومتطلباته ، وتطوره الحتمى ليساير عالما رهيبا لايرحم ، وتخرج من بين الفئتين فئة ثالثة . تقف وسطا بين الفريقين ، وتنادى بأن الاسلام خير حلال لكل مشكلة اجتماعية وأن الحضارة الغربية وقد عجزت عن اسعاد البشر فلا ملاذ للبشرية الا أن تركن للدين الحنيف .. والقدوة الصالحة لكل اتجاه فكرى واجتماعى سليم ، ومن خلال هذه الطائفة الثالثة تخرج مبادىء عريقة تفهم الاسلام حق فهمه وتقدره حق قدره . فالاسلام يقوم على مبادىء رئيسية تكمن فى تحقيق مصالح الناس وتحقيق العدالة بينهم مهما كلفت العدالة من غرم لبعض الناس وأخيرا تحقيق التطور الاجتماعى الصالح فى المجتمع الانسانى . فالاسلام لايقف فى وجه تطور أو نمو فى حياتنا الاجتماعية وخاصة اذا كان هذا التطور نتيجة لتطور الفكر والعلم وضرورات الحياة ، ونصوص الشريعة كلها تؤيد ذلك ، وتدعو اليه . أما موقفنا من مشاكل المجتمع فهو وجوب دراستها بعمق وأصالة لكل طبقاته وفئاته حتى نضع أيدينا على الداء ونتعرف على أسبابه فنعرف الطريق السليم لحلها عمليا وعلميا وفى ظل رسالة الاسلام الحنيف . فهناك حقائق شملت حياتنا والتقت بنا . وهو التطور الذى طرأ على المجتمع الاسلامى . شئنا أم لم نشأ والتفقه فى الدين يحتم علينا أن نعالج ماتطور من أوضاع المسلمين على ضوء مبادىء الشريعة ونصوصها لا على نصوص فقهية اجتهادية نشأت فى جو خاص وعصر خاص وتفكير خاص ، ومن خلال ذلك كله نلمس فرجة أشاعت أمامنا فتحا جديدا ينير الطريق بقوة وحزم واصرار . ألا وهو الميثاق الوطنى الذى قرر فى بابه الثانى « ان الثورة العربية أداة النضال العربى الآن وصورته المعاصرة تحتاج الى أن تسلح نفسها بقدرات ثلاث لتصمد لمعركة المصير وهذه القدرات ، أولا : الوعى القائم على الاقتناع

العلمى النابع من الفكر المستنير ، وثانيا : الحركة السريعة الطليقة التى تستجيب للظروف المتغيرة التى يجابهها النضال العربى على أن تلتزم هذه الحركة بأهداف النضال وبمثله الأخلاقية . ثالثا : الوضوح فى رؤية الأهداف ومتابعتها باستمرار ، ان الثورة العربية مطالبة اليوم بان تشق طريقا أمام أهداف النضال العربى ولا بد لها من الحرية أى حرية الوطن وحرية المواطن والاشتراكية وسيلة وغاية وهى الكفاية والعدل والوحدة وأصبح طريقها هو الدعوة الجماهيرية لعودة الأمر الطبيعى لأمة واحدة فرقها أعداؤها ضد ارادتها وضد مصالحها » .

هذا هو نداء ميثاق العمل الوطنى للأمة العربية . بان تصحو من غفوتها وكبوتها وان تنظر أمامها فتجد الطريق ممهدا واضحا يحتاج الى عزم وتصميم . ليأخذ العرب حقهم المسلوب . من الحرية ولينال كل مواطن حقه فى ان يعيش بكفاية وان يتعلم بكفاية . وأن يظلله العدل . فلن تلبث ان تتوحد الاقطار العربية فيعود للاسلام مجده وعزته . بعد أن هانت الدول الاسلامية . وذهبت وتفرقت احلامها بعد أن تركت كتاب الله وسنة رسوله الكريم . والثورة العربية وهى تواجه هذا العالم لابد لها أن تواجهه بفكر جديد لايحبس نفسه فى نظريات مغلقة يقيد بهاطاقته . وان كان فى نفس الوقت لاينعزل عن التجارب الفنية التى حصلت عليها الشعوب المناضلة بكفاحها . والتجارب الاجتماعية لاتعيش فى عزلة هى الاخرى وانما هى كجزء من الحضارة الانسانية تعيش بالانتقال والحركة بين الشعوب على امتداد الزمان .

فالميثاق الوطنى حينما ينادى بالحرية ، فانما لأن الانسان يولد حرا طليقا لايملكه أحد ويقول عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص (متى استعبدتهم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا) والقرآن الكريم الذى جمع وأوعى لم يترك الحرية الا وأشار اليها (لاكراه فى الدين) البقرة . وقال تعالى أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين – يونس) كما لم يعط احد حق اكراه الناس على عقيدته حيث يقول القرآن (فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر سورة الغاشية) ويذهب الاسلام الى ابعد الحدود وأعمقها وأجلها عندما يتعرض لحرية اختيار رئيس الدولة أو أمير المؤمنين . فتأتى الشورى عملا بقوله تعالى (وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله آل عمران) ووصلت الحريات الى حد ان أبا بكر رضى الله عنه فى خطبته الأولى بعد خلافته يقول (أن رأيتمونى على حق فاعينونى وان رأيتمونى على باطل فسددونى) بهذه المعانى عن الحرية يمكننا أن نلمس مدى اهتمام الاسلام بالحريات ومدى ايمان الميثاق الوطنى بكتاب الله وسنة رسوله وسير السلف الصالح عندما ينص فى الباب الخامس « أن الديموقراطية هى توكيد لسيادة الشعب ووضع السلطة كلها فى يده وتكريسها لتحقيق أهدافه » ويجىء الميثاق لماحا عندما يقول ان الاشتراكية وطريقها الكفاية والعدل هى سبيل المجتمع الصالح القوى المتطور فكل فرد فى المجتمع له الحق فى أن يعيش ويتعلم ويسعد وأن يكون عضوا بناء نافعا . عابدا حامدا الله على ماأتاه من فضله ونعمائه ولا يجوز أن يستأثر فرد واحد أو أفراد دون بقية الناس بثروات المجتمع ومن المتفق عليه أن الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – حمى أرضا بالمدينة يقال لها النقيع لترعى فيها خيل المسلمين كما حمى عمر أرضا فى المربذة وجعلها مرعى لجميع المسلمين . وأقبل أهلها يقولون ياأمير المؤمنين انها بلادنا قاتلنا عليها فى الجاهلية وأسلمنا عليها فى الاسلام .. علام تحميها ؟ فقال عمر « المال مال الله» والعباد عباد الله ، والله لولا ماأحمل عليه فى سبيل الله ماحميت من الأرض شبرا فى شبر .. » فالضرورة هنا واضحة وفيه من المبادىء العريضة أن أصحاب الحاجات والثروات الكبيرة لولم يقم الحاكم ويفعل ذلك « التأميم » لهلكت الملكيات الصغيرة مما يضر المجتمع أيما ضرر ويتجلى الاسلام عند اعلان مبدأ التكافل والتضامن بين المواطنين ليخلق مجتمعا متماسكا متراحما صلبا . متعاونا على البر والتقوى ويقول تعالى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون – آل عمران ويقول تعالى فى البقرة « **ليس البر أن تولوا**

وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليـــوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القـــربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب • وأقام الصـــلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس • أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » •

أوليست هذه الآية الـــكريمة وحدهـــا دستورا رائعا للمجتمع العـــربى الذى ان استجاب لها بلغ مناه وآماله • وكيف يأتى المجتمع المال • للفقراء منه • وقد كان الاقطاع هو القوة الاقتصادية التى تسود البـــلاد فمن المحقق أن الاقطاع كان هو المتحكم الأول فى كافة الطاقات • ويملى كافة الأشكال ليخدم مصالحه وأهدافه وأن تحالف الاقطاع « وهم فئة قليلة من الناس ، مع رأس المال المستغل « وهم فئة قليلة أخرى » فلا بد من ضياع لقيم المجتمع • اذ تضيع مصالح الجماهير الكادحة وسط أنواء الاغراض والهوى والمصلحة • وفى وسط كل هذا يبرز الفقر والجهل ويتفشى بين الناس وتضيع الرابطة الروحيـــة فى تنظيم السواد الأعظم من المجتمع • ويصبح المواطن ضائعا « مالم يتحرر من الاستغلال ليحس بكيانه وآدميته • وأن تكون له الفرصة المتكافئة فى نصيب عادل من الثروة الوطنية وأن يتخلص من كل قلق يبدد أمن مستقبله فى حياته « الباب الخامس من الميثاق » ولا يترك القرآن الكريم صورة المجتمع الكامل ألا ذكرها « **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** » « سورة النحل » ويقول الميثاق فى بابه الخامس أيضا •

« ان العدل الذى هو حق مقدس لكل مواطن فرد لايمكن أن يكون سلعة غالية وبعيدة المنال عن المواطن ان العدل لابد أن يصل الى كل فرد حر ولا بد أن يصل اليه من غير موانع مادية أو تعقيدات ادارية » ولم يقف الميثاق عند مفهوم العدل عند هذا الحد بل تعداه فى البـــاب السادس • فى حتمية الحل الاشتراكى « ومن الناحية الأخرى المقابلة لجانب زيادة الانتاج وهى ناحية عدالة التوزيع فان الأمر يقتضى وضـــع برامج شاملة للعمل الاجتماعى تعود بخيرات العمل الاقتصادى ونتائجه على الجمـــوع الشعبية العاملة وتصنع لها مجتمع الرفاهيـــة الذى يتطلع اليه وتكافح لكى يقترب يومه »

وليس أدل على أن الميثاق الوطنى سار على درب القرآن الكريم وبهدى من نوره • الا عندما أشار الى العمل بقوله تعالى « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا ـ فصلت » والعمل هنا جاء شاملا للعمل الدينى أى تنفيذ أحكام الشريعة ولغيره وقال عليه الصلاة والســلام « ان أشرف الكسب كسب الرجل من يده ـ رواه الامام أحمد » ويلتقى الميثـــاق فى بابه الثامن « العمل شرف والعمل حق والعمل واجب والعمل حياة » ويقول تعالى « ولـكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لايظلمون ـ الاحقاف » « ولا تبخسوا الناس أشياءهم ـ الأعراف » كما يقول تعالى « انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ـ آل عمران » ويقول عليه الصلاة والسلام « اعطوا الاجير أجره قبل أن يجف عرقه ـ ويقول أيضا « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة •• منهم •• ورجـــل استأجر أجيرا فلم يوفه أجره • وفى قصـــة الخضر فى القرآن الكريم « أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبهـــا وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ـ سورة الكهف » وهذا صريح فى حماية العامل من العدوان عليه فى ماله وأجره المستحق واجب الحماية من كل مستغل أو محتكر •

والطريقة العاملة لايمكن أن تساق بالسخرية الى تحقيق أهداف الانتاج • وغاية الانتاج هى توفير أكبر قدر ممكن من الخدمات لتكون أعلام الرفاهية التى ترفرف على المجتمع كله • وحتى يمكن خلق نوع من التكافؤ الاقتصـــادى بين المواطنين يحقق العـــدل المشروع ويقضى على آثار احتكار الفرصة للقلة على حساب الكثرة ويساهم فى الوقت نفسه فى عملية تذويب الفوارق بين الطبقات وهنا يلتقى الميثاق الوطنى مع مفاهيم الاسلام الحنيف حينما يقرر فى بابه السابع ـ الانتاج والمجتمع « ان تكافؤ الفرصة وهى التعبير عن الحرية الاجتماعية يمـــكن

البقية ص ٥٧

لا تلهيهم تجارة

الأستاذ البهي الخولي

- ١ -

ذلك مقطع من آية كريمة هى قول الله تعالى :

« يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار » .

وفى الآية معان جليلة عما أذن له الله أن يرفع من الأماكن ، وما لم يأذن له برفعه .. وعن مناهج التزكية لأولئك الذين لايؤثرون شيئا على ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة .. وعن غير ذلك من موضوعات علم الله القدسى فى كتابه ، ولكنا نكتفى منه بنموذج من الكمال الانسانى قرره فى هذه الآية : **« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله »** .. وقرر الى جانبه النهج الذى يبلغ به المرء صفة ذلك المثال بقوله سبحانه : **« يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار »** .

فنحن - اذن - بازاء مثل من الكمال الانسانى أثنى عليه الله ، وبازاء النهج الذى يتطور به الانسان حتى يبلغ حظه من هذا المثل ..

وتطور الانسان الى مثل أعلى للانسانية **« سوبر مان »** أمل يتراءى لمفكرى الغرب وفلاسفته ، يرون أن تحققه يجنب الانسانية أخطاءها وما تعانى من مخاوف ظاهرة وباطنة .. غير أنهم يسلكون اليه سبيلا غير التى شرعها الاسلام لنموذجه الامثل ، لان مثلهم الذى تصوروه يختلف فى تقويمه عن المثل الذى قرره الاسلام .

فنموذج الاسلام الذى يبدو فى قوله تعالى: **«رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله»** مقدر فى مواهبه وملكاته على مثال ما يعلم الله فى مادة الكون وروحه .. فله مواهب ظاهرة يتفاعل بها مع الكون الحسى ، ويستخلص ما له فيه من منافع .. وله ملكات باطنة تصله بروح الكون حين يتأمل فى دلالة الكائنات على الله ، فيستدرج الى ما بين جنبيه من العلم القدسى ما ينير بصائره وملكاته ، ويحيى **« حقيقته الروحية »** ويجعل ذكر الله تعالى ماثلا فى الضمير لا يغيب .. لذلك كان رجال هذا المثال على ما وصفتهم الآية الكريمة : **« لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله »** اذ ليس المراد أنهم تركوا تجارتهم وشئون عيشهم وفرغوا لذكر الله خشية أن تلهيهم عنه ، بل المراد أنهم أقاموا حياتهم وأوضاعهم على أسس تمتزج فيها الروح بالمادة .. وتنفذ العقيدة فى المال .. ويوجه الاقتصاد بالمثل العليا .. فسعدوا **ظاهرا** بصحة البدن وانقياد أسباب العيش ، وسعدوا **باطنا** بذكر الله الذى هو حياة النفس وصلاح بصائرها وملكاتها .. وذلك اذ لم تشغلهم قيمهم الحسية - ممثلة فى التجارة والبيع - عن قيمهم الروحية ، ممثلة فى ذكر الله - عز وجل .

ونلاحظ فى النص الكريم أنه يصور رجال هذا المثال - أو يصور مجتمعهم على الاصح - يجمل ولا يفصل ، ولكنه الاجمال الذى ضمنه الحق سبحانه كل مراميه ، ويستطيع كل متدبر أن يستبين منه الكثير ، ونحن موردون من ذلك ملاحظتين : احداها اقتصادية ، والاخرى روحية .. وكلتاهما فى قوله تعالى : **« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله »** .

فالأولى : أن النص الكريم فى تقريره لاكتمال الوضع الاقتصادى لهذا المجتمع لم يذكر من

علائق المال سوى شئون التجارة والبيع .. ولو ذكر الزراعة – مثلا – لما كان لهـا شأن التجارة فى الدلالة على مثالية النموذج .. لا لأن الزراعة أقل شأنا من التجـارة ، أو أن التجارة أشرف وأوفر عائدة ، بل لأن التجارة مرحلة حضارية ، ودرجة فى العمـران تأتى بعد ظهور الزراعة والصيانة وغيرهما من اسباب العيش التى تقلب فيها الانسان ، على ما هـو مقرر فى مبادىء علم الاجتماع .. فليس هو – اذن – مجتمعا بدائيا يعيش على صـيد الحيوان أو التقاط الثمار من أشجار الغابات، بل مجتمع اجتاز ذلك كله ، وأخذ بحظه من حضارة الاقتصاد حتى بلغ مرتبة التجارة .. وحسب أى مجتمع حضارة أن تكون التجارة المنتظمة فيه أساس مبادلاته وتنظيم مصالحه فى محاصيله وانتاجه ونحوها .. سواء أكان بعد ذلك مجتمع قرية ، أم مجتمع مدينة ، فان القرآن لم ينظر الى الكم وسعة الرقعة ، بل نظر الى ((**الكيف**)) الذى تدل عليـه تلك المرتبة ..

والثانية : أن قوله تعالى : ((**لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**)) ذو دلالة قوية علـى مثالية هذا النموذج فى نزوعه الى المثل العليا، وتمام تحرره .. تحرر مشاعره وارادته مـن سيطرة المادة وسلطان المال .. فان سطـوة المال أشد ما تكون فى الاسواق ومواطن البيع والشراء حيث فطنة اشتغال الخاطر بالارباح الحاضرة والمتوقعة ، وبذل الحيلة لانفـاق سلعة أو اجتلاب أخرى .. فاذا كانت سطوة المال فى أقوى مناطق نفوذه لا تبلغ أن تصرفهم اليها أو أن تشغلهم عن مثلهم العليا فهى فيما عدا ذلك أضعف وأعجز ، وذلك ضرب قدسى من القوة يجعل لصاحبه سيطرة على المال ، وقدرة على توجيه الواقع الى ما يرى مـن مطالب رسالته ومنطق مثله .. ولا يجعـل لأحد هذين أن يسيطر عليه أو يوجهه ..

– ٢ –

ولم ينته بعد ، شأن ذلك المثل العظيم ، فان شأو الاسلام فيما يرفع من مثل عليـا أبعد مما تحوم حوله الظنون والافهام ، فثمة حقائق واشارات خطيرة فى قوله تعـالى : « **يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار** »

فقد كان صدق ايمان هؤلاء بالله يريهم – بغير حاسة – ما ينقلب اليه تكوين المرء فى طوره الأخروى ، أو ما تصير اليـه مواهب القلب وملكات السمع والبصر فى هذا الطور، فيحملهم خوف العاقبـة على حسن الاستعداد لهـا بالاعتصام بذكر الله فى كل شأن ، فان الخوف فى هذا المقطع الأخير من الآية عائد الى حياطة وتزكية المعـانى فى المقطع الذى قبـله : ((**لا تلهيهم تجـارة ولا بيع عن ذكر الله**)) .. فانهم – على مثالهم الذى جمعوا به بين المادة والروح – كانوا يحيون فى وجدان عميـق شريف تسمو به القيمة المعنوية لهم ، ويشرف ما لهم من مثل عليا، ويقوم كالسياج والدعامة لما هم فيه ، ذلك هو خوف ما يؤول اليه المرء من عاقبة .. أى أنهم كانوا فى تردداد دائم بين حياة الدنيا وحياة الآخرة .. أو أن حياتهـم الكبيرة التى انتظمت مادة الكون وروحه ، أو ظاهره وباطنه ، قد انتظمت الدنيا والآخـرة معا ، فكانوا يحيون فيهما جميعا ، وكان حذر الآخرة الدائم يذكى مواجيدهم بذلك الخوف فيمد الضمائر بما يزيد ذكر الله فيها سنى وهيبة وقوة ..

على أن شأن هذا الخوف القدسى لا يرجع الى أثرة فى تزكية ((**الحقيقـــة الروحية**)) لهؤلاء المثل فحسب ، بل يشمل – أيضا – دلالته الذاتية على أن كلا منهـم كان يدرك ويؤمن أنه حقيقة متطورة ، لا يعدو عليهـا الفناء ، اذا عدا الموت على البدن الذى ارتبطت به ، فليس الموت الا ظاهرة تتحول بهـا تلك الحقيقة من طورها الدنيوى ، الى طورها فى البرزخ ، الى طورها الأخروى .. وفى ذلك من المعانى ما يعلو به قدر المرء فى نظر نفسه ، وفى ذات حقيقته ، وما يبرز لنا أن فى الكون آمادا وقيما قدسية ، ترى فيها ((**البصائر**)) نهج التطور الحق ، وملـكوته الذى تتقلب فيه حقيقة الانسان وتترقى حتى تبلـغ ما اراد لها الله من شأن .. لا ذلك التطـور الحسى الذى يهدف به دعاة الزيغ ممـن لا يعرف لنفسه قيمة ، ولا للكون حقيقة .

على أن النظم الكريم ((**يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار**)) لا ينتهى من هذا المثل عند هذا الحد بل يحدثنا عما أمد به الانسان

من ملكات باطنة كامنة هى ملاك تطوره وقوام أمره ، وذلك ما يكشفه التدبر فى قوله تعالى: « **تتقلب فيه القلوب والأبصار** » فان فيه ذكرا صريحا لقلوب وأبصار يعروها التقلب ، هى حقيقة الملكات التى نعنيها ..

ومن الواضح فى نظم الآية أن الله سبحانه لم يذكر لنا فيها من مخاوف هذا اليوم حسابا ، ولا عقابا ، بل ذكر أن سيكون للقلوب والأبصار فى هذا اليوم شأن غير شأنها فى الدنيا .. ولندع الحديث فى بيان ذلك للامام **فخر الدين الرازى .. اذ يقول فى تفسيره : « أنها تتغير أحوالها : فتفقه القلوب بعد أن كان مطبوعا عليها لا تفقه .. وتبصر الأبصار بعد أن كانت لا تبصر .. فكأنهم انقلبوا من الشك الى الظن .. ومن الظن الى اليقين .. ومن اليقين الى المعاينة ، لقوله تعالى : « وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » وقوله : « لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد »** .

وكلام الامام — رضى الله عنه — يقتضى التأمل لعمقه وبعد غوره ، فذلك الغطاء الذى كشف هو غطاء البشرية ، رفع عن ملكات النفس ومواهب القلب ، فاذا المواهب الباطنة، أو الكيان الروحى كله ، يواجه حقيقة الكون بلا حجاب .. واذا كيان البشرية يأخذ وضعا آخر فلا يواجه الكون الا من وراء الكيان الروحى وملكاته ، أى على عكس الوضع الذى كان فى الدنيا : فنبصر المعنويات بعد أن كنا لانراها، ويبدوالكون كلهمرأى غير مرآه الحسى الذى نعهده، فالارض غير الارض ، والسموات غير السموات ، وبرز الجميع — بعد أن كشف الغطاء — لله الواحد القهار ، لا تخفى منهم خافية ، وبدا لهم من أمر الله ما لم يكونوا يحتسبون ، فان معايير التقدير ، والاحتساب، والتصور التى كانت فى الدنيا غدت بازاء ما ليس من طبيعتها ، ولم يخطر لها فى أفق قط ..

ويبلغ من وضوح غيبيات الكون فى ذلك اليوم ، وسفور حقائقه لمداركهم عيانا ، أن يدركوا أن قد صاروا فىعالم الحق ، وأن ما كانوا فيه من قبل انما هو ضباب أو ظلمة لا يستبين فيها القلب حقيقة ما ، وذلك معنى قول الفخر الرزى : « فكأنهم انقلبوا من الشك الى الظن .. ومن الظن الى اليقين .. ومن اليقين الى المعاينة » بعد قوله : « فتفقه القلوب بعد أن كان مطبوعا عليها لا تفقه .. وتبصر الأبصار ، بعد أن كانت لا تبصر » ..

والمراد بتلك التى كانت لا تفقه ولا تبصر هى ملكاتنا الباطنة التى هى ملاك التطور ، وقوام أمر الانسان ، والله سبحانه يقول فى أهل الاعراض والغفلة : « **لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل وأولئك هم الغافلون** » .. وهى بلا شك غير ملكات العقل العادى التى يتفاعل بها المرء مع كائنات العالم الطبيعى وقوانينه ليحصل ما له فيها من منافع ..

ونشعر فى مقامنا هذا أن معالم من اليوم الآخر تتراءى لنا بجلالها وتغرينا بالاسترسال الى أفقها الخطير الرائع لنجلو من أمرها وأمر بصائرنا على ضوء كلام الله لمحة تتزود بها الضمائر ،ولكن المقام يدعونا الى توفية مانحن بصدده من تقريرات الآية الكريمة وتحليلها لخصائص هذا النموذج من الكمال الانسانى، فقد بلغنا من ذلك الى ما تشير اليه الآية من :

« انه كائن جليل له مواهب قدسية يدرك بها ما فى الكون من جمال وجلال وامتدادات روحية لا منتهى لأمدها « وهى قوام أمره ، وملاك تطوره الى كماله الحق ، وفيصل التفرقة بينه وبين الحيوان ..

— ٣ —

وقبل أن نخلص الى مرادنا من عرض هذا المقال الكمالى نقرر : أنه ليس المراد من حديثنا عن عالم المادة وعالم الروح أن ثمة منطقة فى هذا الكون تشغلها المادة ، وان ثمة منطقة أخرى وراءها تشغلها الروح ، فذلك خطأ محض وهو من تقسيم عقلنا العاجز وتصورنا الذى لا يعهد سوى تقاسيم الزمان والمكان وأجزاء المادة التى لا تنفك عن حيز تشغله .. فالروح غير المادة .. وتلك الغيرية تشمل المغايرة فى كل شىء .. وبما أن أذهاننا مشغولة بما نقلت اليها الحواس منآثار المادة وصورها، ولم تنقل اليها شيئا غير ذلك ، فكل ما يرد على ذلك الذهن من تصور لحال الروح ،

فالروح بخلافه لأنه تجريد مما هو مختزن فيه من آثار المادة .. وكل ما نعبر به نحن أو يعبر به غيرنا مما يوهم تحيز الروح أو تجسدها أو امتداد المسافات فى أفقها انما هو مجازات دعت اليها ضرورة التعبير ، حيث قضى لنا فى عالمنا هذا الارضى الا يكون لنا من لغة سوى المصطلحات التى وضعناها للتعبير عن علاقاتنا به .. وكل ما نذكره عن التطور فى هذا المقام فهو تطور قيمى تعلو به قيمة الانسان بقدر ما يحقق فى نفسه من مثل دون أن يكون ثمة تغير عضوى ، أو تحول بمسافة يقطعها من مكان الى مكان .. ونحن نرى الطفل يتطور عقليا ، ونفسيا من طفل الى شاب الى كهل ، الى شيخ .. وهو هو كيان آدمى ، لولا تغيره العضوى لما كان من ظاهرة تدل على التحول المعنوى ..

ونحن بازاء هذا المثل الذى بينا من شأنه ما بلغه الجهد أمام حقيقتين :

الأولى : أن فى الكون حقائق لم نتصل بها بعد حق الصلة .. أو لم يتصل بها أكثرنا قط ، فاذا كانت تلك الحقائق هى أس اصالة الكون ورأس معارفه ، فان ما علمنا منه الى الآن الى ما لم نعلم لا يعتبر شيئا مذكورا ، اذ هو بمكان القشر من لب الحقيقة .. وانما يقاس الانسان بقدر معارفه من الكون ، وليس من كرامته ولا مما يسعده أن يكون حظه من الوجود هو تلك القشور ، وحينما دعانا الحق سبحانه وتعالى بقوله : « ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » انما دعانا من قشور العلم فى ظاهر الحياة الى لبابه فى باطنها حيث حقيقة المعرفة والسعادة ..

والحقيقة الثانية: ان للانسان مدارك وملكات لا تزال كامنة معطلة — غير مدارك حواسه المعروفة ، وملكات عقله العادى — فهو بهذا التعطيل — قطعا — كائن ناقص الكيان مبتور الوجود ، لم يبلغ من تحقيق ذاته وكمال كيانه ما هو مقدور له .. وان بدا للعين عملاقا فارع القامة .. فاذا كانت تلك المواهب هى «حقيقة وجوده» ومعدن ذاته ، فالموجود من كيانه الحسى فعلا لا يمثل الانسان فى شىء الا صورة اللحم والدم التى تسلك صاحبها فى منظوم قوله سبحانه : «أولئك كالأنعام» .. وحين دعانا سبحانه بقوله : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » انما دعا الى حقيقة أنفسنا حيث بصائر الحق مستكنة فيها ، وفى التعبير بقوله : « أفلا تبصرون » ما يغنى فى الدلالة على بصائر تلك الملكات ، كأنه بيان لكنها ، ودعوة الى أن نبصر بها » .

* * *

وعلى ضوء هاتين الحقيقتين يتبين معنى التطور الحق للانسان فهو تطور يتحقق به **«معنى الانسان»** ويكتمل به **« كيانه الروحى »** .. ولا يكون ذلك الا بتجريد مواهبه الكامنة من غمدها أو بصائره التى دعانا سبحانه لنبصر بها ..

أما أولئك الذين وصفوا للتطور أو بلوغ درجة « السوبر مان » وصفات من قبيل تحديد النسل ، واكثار الانتاج ، ومزيد من الذكاء والتجربة لنزداد احاطة بعالم الطبيعة ، فيكثر الصواب ويقل الخطأ أو يمحى ، وتصح الأبدان .. الى آخر ما لديهم من مواصفات الصورة الحسية « للسوبر مان » المتوهم .. فهم قوم مساكين يريدون أن يجنوا الصواب من أصل الخطأ ، لا من عبرته .. ويستنبطوا السعادة من معين الشقوة ، لا من البعد عنها ..

ان تلك الوصفات تعود قطعا على الانسان — فى كثير من ظروفه — بتحسن صحته ، ومستوى معيشته ، وذكائه الذى يوفر له مزيدا من المعرفة بالطبيعة فيتيح له لذة ذهنية ، ورفاهة للحس — ولكنها ليست هى السبيل الى تحقيق « السوبر مان » الذى يمثل الانسان الأعلى .. ان السوبر مان مستكن فى أعماق النفس لا فى جدران البدن ..

انهم يرون أن تفاعل الانسان مع الواقع — أى مع كائنات الطبيعة — هو مدار تطويره .. وكلما تحسنت وسائل ذلك التفاعل بأسس عملية كان أسرع خطى الى بلوغ مرتبة السوبرمان المأمول .. ولكن ذلك — على ضوء قليل من التأمل — لا يأتى الانسان بجديد .. لا يضيف الى حياته أية اضافة تكسبه أى تغيير « قيمى » أو أى ميزة « نوعية » .

قد يسبق الرجل الحضرى الرجل البدائى ، فلا يزيد ما بينهما على أنه مدى

فى الرقى الحسى ، أو بعبارة أدق مدى فى ((**القدرة على الاستفادة**)) من الكون .. وذلك بداهة لا يعتبر ميزة نوعية يفضل بها الحضرى أخاه البدائى .. فالشجرة فى البستان قد تسبق أختها بتفتح أكمامها عما تشتمل عليه من زهر وثمر ، فلا يخرجها ذلك من جنس أختها التى لم تتفتح أكمامها بعد ، ولا يهب لها ذلك السبق أى ميزة نوعية تفضلها بها .. والرجل الحضرى فى روض الحياة شجرة : قد يسبق أخاه البدائى بتفتح أكمام ذهنه فلا يهب ذلك له أية ميزة نوعية، اذ هو هو نفس أخيه الذى يوشك أن تتفتح أكمام زهره وثمره ساعة ما ..

بل انك تستطيع ان تخرج بالنتيجة نفسها اذا رحت تنسب ذلك الحضرى أو الحضارى الى الشاة - مثلا - أو حشرة الكهوف المظلمة التى لا تتصل بالكون الا بقرنى استشعار تحس بهما بعض الآثار حولها ، أو غيرها من الأحياء الدنيا والعليا ، فان سلم الحياة ينتظمه معها جميعا ، فيجعل لكل منها ((**درجته**)) فى الحياة مقدرة ((**بدرجة**)) معرفته بالكون .. وهو مقياس لا يفاوت بين درجة ودرجة فى طبيعة الحياة ، بل فى مدى ((**الاستفادة**)) التى قدرت لكل منها بحسب معرفته .. ولا دلالة لذلك السلم بعد هذا الا على مراحل التطور التى قطعتها ((**الحياة**)) على مدى ملايين السنين - ابتداء من الخلية الأولى فى أسفله الى درجة ممثلة فى الانسان .

فالأمر يرجع - اذن - الى تفضيل نسبى فى سلم ((الحيوانية)) ترى فيه الانسان مقدورا بالوحدة التى تقدر بها حشرات الفيران، أو الداجن والنافر من صنوف الحيوان ، دون أن يرجع من قريب أو بعيد الى حقيقته التى ميز بها عليها جميعا .

ان الحقيقة التى نعنيها كامنة فى ((أكمام النفس)) لا فى ((أكمام الذهن)) . وحين بلغت الحياة عليا درجاتها ممثلة فى الانسان، منحه الله سبحانه نوع حياة أخرى ، وأعلن ذلك اذ قال فى الملأ الأعلى : ((انى خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى ، فقعوا له ساجدين)) . فكانت تلك النفخة هى منحة الحياة الأخرى التى لا تقوم فى خلية ، ولا يكتنز بها عضل ، بل هى بصائر هدى ، وعزائم رشد ، وقيم حق ماثلة فى القدرة العجيبة التى تضمنها قوله تعالى فى آيتنا التى نحن بصددها ((لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)) فهو اقتدار لا يؤديه جهد آلة ولا قوة عضل، ولا ينهض به الا ضمير تفتحت فيه أكمام تلك الحياة القدسية فوهب للارض من ابداع مثله ثمارا روحية ليست من طبيعتها ..

ولن يبلغ الانسان مرتبة ذلك الابداع القدسى الا نهض الى ((واقع الروح)) فتفاعل معه ، وفتح فى ملكوته أكمام نفسه ، كما نهض الى « واقع الطبيعة » وفتح فى آفاقه « أكمام ذهنه)) .. وذلك هو التطور الذى نعنيه ..

ان تفتح أكمام الذهن درجة فى تطور « **الحيوانية** » أما تفتح أكمام النفس فدرجة فى تطور ((**الانسانية**)) أو الكيان الروحى للانسان .. وذلك هو التطور ((**النوعى**)) بحق ، اذ يفترق به قدر « **صورة انسان من صورة انسان آخر** » لافتراض جوهر حقيقتهما وما ابعد الفرق بين من خوطبوا بقوله تعالى : ((**يأيها الذين آمنوا**)) وقوله : ((**كنتم خير أمة أخرجت للناس** » **وبين من قيل فيهم : « أولئك كالانعام ، بل هم أضل)) .**

ان السبيل الى ما نريد هو بعث المواهب الكامنة وبصائر الروح الى التأمل فى آيات الله ، فنرى فى الكون الرائع صفات جلاله سبحانه ممثلة فى آثار قدرته ، وعظمته ، وارادته .. ونرى فى لطائف نعمه التى لا تحصى صفات جماله ممثلة فى فضله ، ووده ، وسابغ رفقه وعنايته .. وذلك حقيقة ذكر الله الذى هو زاد القلب ، وعقدة العزم ، ولب المعرفة ، وفيصل التمييز بين القيم ، وحياة الكائن الروحى بكافة مداركه وأذواقه .. وذلك سلم شارع الى أسباب السماء ، لا يشغل فيه المرء عن ذكر الله بأى قيمة .. اذا صعد فيه الانسان تكون الموازنة به بينه وبين الملك ، لا بينه وبين الحيوان .. فلا يقال يومئذ : هل الانسان أعلم بالله أم الدابة ؟.. بل سيقال - كما قد قيل من قبل : هل الانسان أفضل أم الملك ؟ .

الإنسان في القرآن

الدكتور احمد الاهواني

المنهج الذى سنتبعه فى دراسة هذه المشكلة الكبرى ، نعنى الانسان ما هو ، وما حقيقته ، وما أصله ، وما مصيره ، وكيف ينبغى أن يسلك فى هذه الحياة الدنيا لينعم بالسعادة فى الدارين ، وغير ذلك من المسائل المتصلة بالانسان فى القرآن الكريم ، منهج حديث يعرف بالاسم الافرنجى باصطلاح «السمنتنية» Semantie أى تتبع الألفاظ وما تحمل من معان ، وما تتطور اليه من مفاهيم ٠

وقد أطلقت على الانسان فى القرآن أسماء شتى ، الانسان ، الناس ، البشر ، الانس ، أناس ، آدم ، بنى آدم ، الملأ ، المرء ، امرؤ ، العبد ، العباد ٠٠٠ الخ ٠ وكل لفظ من هذه الألفاظ له موقعه من الكلام ، ومناسبته فى الآيات ، والدلالة التى يقصد اليها ، والتى لا تصلح لفظة أخرى للدلالة عليها ، فليس الانسان كالناس ، ولا الناس كالبشر ، أو البشر كبنى آدم فى الاستعمال ٠

بل ان كل لفظة من هذه الألفاظ على الرغم من أنها تحمل معنى عاما الا أنها بحسب موقعها قد تدل على خصوصية زائدة عن المعنى العام ، أو على مناسبة يقتضيها المقام ٠

وسنبدأ بعرض ما يستفاد من استخدام لفظة الانسان ، فنرى أنها ترددت فى أكثر من آية وأكثر من سورة ، وبلغ عدد المرات التى استعملت فيها ما يقرب من مائة مرة ٠ والذى يستفاد من النظر الى جملة السياق فى شتى الآيات أن الانسان يؤخذ بمعنى النوع الانسانى ، لا بمعنى شخص معين أو فرد بالذات ٠

والشخص أحد أفراد النوع الانسانى ٠

وقد يكون الخطاب موجها لشخص ، ويقصد به خطاب النوع بأسره ، أو الناس كافة ٠ والفرق الانسان الكلى الذى هو نوع الانسان ، وبين الناس ، ان الانسان يدل على البشر منذ وجدوا حتى الآن وفى المستقبل ، على حين أن الناس يلمح فيهم خطاب الجماعة من الناس الموجودين فى الوقت الحاضر، أو فى وقت نزول القرآن ، ولا ينصرف الخطاب الى الناس فى الماضى بحال ٠

والانسان أرقى منزلة من الحيوان ، وأعلى منه شأنا ، بأمور كثيرة على رأسها التفكير أو النطق ، ولذلك قيل الانسان حيوان ناطق ، يريدون انه عاقل مفكر ٠

ولا يكون الفكر الا عن عقل ، والتعبير عن التفكير يكون غالبا بالكلام ، ويقيــد الكلام بالكتابة والتدوين ، وعن هذا الطريق يرتفع الانسان الى مرتبة أعلى فى سلم الحضارات ٠ وليس العالم كالجاهل ، ولا يستوى الأعمى والبصير ٠

ولم يكن من قبيل المصادفة أن تكون أول آيات أنزلت على محمد عليه الصلاة والسلام تحمل هذا المعنى الذى يلخص الحضـــارة الانسانية فى بضع كلمات ٠ قال تعالى فى محكم التنزيل :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق
خلق الانسان من علق
اقرأ وربك الأكرم
الذى علم بالقلم
علم الانسان ما لم يعلم »

لقد وجه الله تعـــالى الخطاب الى شخص مخصوص هو نبيه ورسوله والأمين قائلا له : **اقرأ** ٠ ثم لا نكاد نمضى الى الآية الثانية مباشرة حتى نجد الكلام قد التفت الى « الانسان » ، ولا نكاد نقرأ خطابه فى الآية الثالثة « **اقرأ** » الموجهة الى الفرد ، حتى نرى الكلام ينتقل من الشخص الى الانسان ، أى الى النوع كله الذى تعلم بالقلم ، وعرف الكتابة والقراءة ، فانتقل الى مرتبة الحضارة ٠

فالانسان يكون انسانا حقا ، جديرا بهذا الاسم حين يقرأ ويتعلـم ، وحين يســمو ويتحضر ٠

هذه هى حقيقة الانسان التى تفصل بينه وبين الحيوانية، الانسان منذ أقدم العصورالى ما شاء الله ، والى أن يبعث حيا مرة أخرى ٠ والانسان حقيقة أخرى من جهـة خلقـــه وتكوينه ، ومن ناحية حريته ومسئوليته عن أعماله ، ومن حيث النظر الى العلة التى تدفعه الى ارتكاب الشر وتنكب طريق الخير ، فيكون عندئذ ظالما لنفسه ، كافرا بنعمة ربه ، مظهرا لضعفه ، داعيـــا ربه لاغاثته من ذلته ورفع كربته ، وداعيـــا لوالديه اللذين كانا سبب وجوده فى هذه الدنيا ٠
وجوده فى هذه الحياة ٠

ونحن ذاكرون هذه المعانى بهذا الترتيب الذى ذكرناه ، فنبدأ بالآيات التى ذكر فيها خلق الانسان مم خلق، ثم المقابلة بين الانسان والشيطان ، ونتبع ذلك بالحديث عن ضعفه ، وكفره ، ودعائه ، ونختم ببعثـــه فى الآخرة لحسابه ٠

خلق الانسان :

وينبغى أن نجعل فى بالنا أن القرآن كتاب دين لا كتاب علم ، ولو أن العلماء ان قديما أو حديثا يحاولون أن يتخذوا من الآيات القرآنية التى تعرضت للعلم دليلا على اعجازه، فيطابقون بين مكتشفات العلم الحديث وما ورد فى القرآن الكريم من تقريرات علمية ٠

وهناك آيات تصـــور الخلـق الطبيعى للانسان ، وآيات أخرى تصور خلقه الحيوى٠

وهذه هى آيات الخلق الطبيعى ، وذلك فيما يتصل فقط بورود اصطلاح الانسان :

١ ــ ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ٠ « الحجر ٢٦ » ٠

٢ ــ ولقد خلقنا الانسان من سـلالة من طين «٢٦» ٠

والجان خلقناه من قبل من نار الســموم «٢٧» واذ قال ربك للمـــلائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون «٢٨» فاذا سويتـه ونفخت فيه من روحى فقعــوا له ساجدين «٢٩» ٠٠٠ « المؤمنون » ٠

٣ ــ الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين «٧» ثم جعل نسـله من سلالة من ماء مهين «٨» ثم سواه ونفخ فيه من روحه ٠٠٠ « السجدة » ٠

٤ ــ خلق الانسان من صلصال كالفخار«١٤» وخلق الجان من مارج من نار ٠٠٠ « الرحمن »

ويحسن قبل مناقشة هذه الآيات أن نضع بازائها آيات الخلق الحيوى :

١ ــ خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين « النحل ٤ » ٠

٢ ــ أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين « يس ٧٧ » ٠

٣ - انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا « الانسان ٢ » ٠

٤ - فلينظر الانسان مم خلق «٥» خلق من ماء دافق «٦» يخرج من بين الصلب والترائب «٧ - الطارق » ٠

فى هذه الآيات المتفرقات ذكر للخلق الطبيعى تارة ، والخلق الحيوى تارة أخرى ، وقد جمعت الآيات من سورة « المؤمنون » سلسلة الخلق على الترتيب ، من طين ، ثم نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاما ولحما ، الى انسان ، كما قال تعالى :

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين «١٢» ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين «١٣» ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين «١٤» ثم انكم بعد ذلك لميتون «١٥» ثم انكم يوم القيامة تبعثون «١٦» ٠

يتضح للناظر المدقق فى هذه الآيات أن الانسان يمر بثلاث مراحل فى الخلق ، وهى :

أولا - الخلق الطبيعى من طين

ثانيا - الخلق الحيوى من نطفة

ثالثا - الخلق الانسانى من روح الله ٠

يضاف الى ذلك أنه بعد موت الانسان يبعث مرة أخرى يوم القيامة ٠

ولنا أن نتساءل : هل خلق الانسان حقا من صلصال ، أو صلصال كالفخار ، أو حمأ مسنون ، أو طين ، أم أن هذا الوصف تقريب للذهن ، وحكاية لما كان متداولا فى الفلسفات المختلفة عند قدماء المصريين والبابليين واليونانيين ، من تصوير للخلق على نسق ما يفعل الانسان الصانع من مادة سابقة يشكلها ويصوغها فى هيئة معينة ؟ الواقع فكرة الخلق من أدق المسائل الفلسفية وأصعبها ، ولا تزال حتى الآن عقدة لم تحل بالنسبة للفلسفة ٠ أما فى الدين ، وفى الاسلام بوجه خاص ، فقد حلت على أساس القدرة الالهية ، ولو أنها بقيت فلسفيا بغير حل ، لأن طريقة حلها هى فعل « التكوين » فى قوله تعالى ، **انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون** » ٠ فالخلق الالهى من قبيل الغيب ، ويرجع الى القدرة الفائقة للطبيعة والتى هى من وراء العقول وفوقها ٠

أما الخلق الانسانى ، الواقع تحت قدرته ، فانما هو صياغة جديدة لمادة موجودة بالفعل من قبل ٠ وأول ما استطاع الانسان أن يخلقه بالمعنى الانسانى ، - نعنى تشكيل المادة الموجودة تحت يده فى هيئة جديدة - الأوانى لحفظ الماء والزيت واختزان الحبوب ، والآجر لبناء البيوت ، وكلها تصنع من الطين الممزوج بالماء والذى يحرق فى النار فيجف ويصلب بعد أن يشكله على الهيئة التى يرسمها الصانع فى ذهنه ٠ فليس من الواجب اذن أن نأخذ بحرفية الآيات وأن نفهمها على ظاهرها ، وأن نتصور أن الله - تعالى علوا كبيرا - قد خلق الانسان من طين ، أو حرق الطين فجعله صلصالا وشكل منه الانسان٠ انما هذه الآيات تقريب للأذهان، ومثال لما يفهمه الناس بطريق الحس والخيال ٠

ومع ذلك فهذا الخلق الطبيعى حلقة بعيدة جدا فى سلسلة ظهور الأحياء ، قد تبلغ ألوفا كثيرة من السنين ٠ ولا يستطيع العالم أو الفيلسوف أن يجزم فى أصل خلقة الانسان قبل أن يستوى كائنا حيا برأى يخضع للمشاهدة والتجربة والبراهين العلمية ٠ وعندئذ لنا أن نسلم بما جاء فى الكتاب الكريم تسليما ٠ ومن أبى أن يصدق بظاهر الآيات وأن يسلم بما جاء فيها ، فليدلنا على رأى آخر يكون أدعى الى القبول ، وموافقا للعقول ، ومطابقا لمناهج العلم من الضبط والتجريب ، وهيهات هيهات أن نبلغ الى هذا الأصل البعيد ٠

ان تصوير الخلق الطبيعى على النحو القرآنى المذكور لدليل على صدق نظرية النشوء والارتقاء التى نادى بها التطوريون ٠ ولكن الذين يزعمون من أصحاب النشوء بالتطور التلقائى يعجزون عن تفسير خروج الحى من غير الحى ، أما النظرية القرآنية فانها تنسب خلق الحياة الى الله تعالى ، وعندئذ تستقيم النظرية لوجود العلة ، ويصبح التأمل فى خلق الانسان وانتقاله من المرحلة الطبيعية الى المرحلة الحيوية دليلا على وجود الخالق ٠

ومرحلة الخلق الحيوى أشد اعجازا . وهى مرحلة تقع تحت مشاهداتنا ، ويمكن مراقبتها بالحس . انها تبدأ بما يودعه الذكر فى الأنثى من ماء ، سماه الله تعالى مهينا لأنه لن يصبح شريفا طاهرا الا بعد أن يستوى الانسان انسانا كرمه الله بأن نفخ فيه من روحه . ولا بد من اتحاد المنوين ليخرج منهما نطفة ، تخلق علقة ، ثم تخلق العلقة مضغة ، ثم تخلق عظاما تكسى لحما . وكل حلقة من هذه الحلقات لا تتم وحدها بالنمو الطبيعى ، بل لا بد من القدرة الالهية المستمرة ، ولذلك ذهب أهل السنة فى الاسلام الى نظرية « **الخلق المستمر** » **أو** « **الخلق المتجدد** » معارضين بذلك قول الفلاسفة الذين ذهبوا الى أن الله بعد أن خلق العالم وأودع فيه النظام ، أصبحت الكائنات تجرى فى نموها وفسادها على نسق مضطرد بغير حاجة الى خلق جديد .

المسئولية :

خلاصة القول يمر الانسان من جهة الخلق فى ثلاثة مراحل أساسية كبرى ، المرحلة الطبيعية ، ثم المرحلة الحيوانية ، ثم المرحلة الانسانية .

ها هو الانسان قد استوى فى سلسلة الكائنات على القمة ، فما الذى يميزه بصفة عامة عنها ، وما الذى يطالب به حين نطلق عليه اسم الانسان ، وما الذى يحدث له وهو انسان ؟

فى القرآن سورة بعنوان « الانسان » تبدأ بثلاث آيات تصوره أنه لم يكن شيئا مذكورا ، ثم كيف خلق حتى أضحى سميعا بصيرا ، ثم كيف بين له الله طريق الخير وطريق الشر فيمسى اما شاكرا واما كفورا .

ان الذى يميز الانسان ، ويجعله جديرا بهذا الاسم ، حقيقا بالانسانية التى تفصله عن الحيوانية ، أنه حر ، وأنه مسئول عن أعماله ، محاسب عليها .

ان مسئولية الانسان صريحة واضحة كلما وردت لفظة الانسان . ولنا أن نتأمل هذه الآيات :

١ - وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه (الاسراء ١٣) .

٢ - وأن ليس للانسان الا ما سعى (النجم ٣٩) .

٣ - بل الانسان على نفسه بصيرة (١٤) ولو ألقى معاذيره (١٥) القيامة .

ولولا حرية الانسان ومسئوليته عن أفعاله ما صح أنه يطغى اذا شعر بالقوة وظفر بحاجاته وتحققت له أطماعه ، « **كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى** » (العلق) ، وما صح ثواب وعقاب .

ولكن الانسان ضعيف . وهذا هو الأصل الذى ينبنى عليه الرحمة ، والمغفرة ، والدعاء . قال تعالى : « **وخلق الانسان ضعيفا** » (النساء ٢٨) . وقال : « **ان الانسان خلق هلوعا** » . وهو لضعفه يستمع لنداء الشهوات ونزعات الشيطان . والأغلب أن لفظ الشيطان يأتى فى مقابل لفظ الانسان ، كما يجىء استعمال الانس فى مقابل الجن ، والبشر فى مقابل الملاك ، وهكذا . يقول سبحانه :

« **ان الشيطان للانسان عدو مبين** » (يوسف ٥) .

ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا . (النحل ٥٣) .

وكان الشيطان للانسان خذولا . (الفرقان ٢٩)

كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر (الحشر ١٦) .

فاذا استمع الانسان لنداء الشيطان ، كان كافرا بربه ، ظالما لنفسه . ويبدو أن كفر الانسان بالنعمة أغلب عليه ، وهذا سر شقائه ، وسبب خسرانه .

« **ان الانسان لظلوم كفار** (ابراهيم ٣٤)
فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا (الاسراء ٦٧)
ان الانسان لكفور (الحج ٦٦)
ان الانسان لكفور مبين (الزخرف ١٥)
قتل الانسان ما أكفره (عبس ١٧) .

ويبدو أن هذا الضعف ، وهذه المصائب التى تنزل بالانسان ، هى التى تجعله يعود الى ربه فيدعوه ، ويطلب منه النجاة من الكرب . فكلما كان الانسان ضعيفا دعا ربه ، وكلما كان قويا نسى ربه . كما قال سبحانه : « **واذا مس**

الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا » (يونس ١٢) • « **ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور** » (هود ٩) •

ومن أجل هذا الضعف الانسانى مع تحمل الشدة فى سبيل الظفر بأعظم شهوة وهى نعمة الولد ، وصى الله الانسان بوالديه • قال تعالى :

ووصينا الانسان بوالديه حسنا (العنكبوت ٨)

ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن (لقمان ١٤) •

ووصينا الانسان بوالديه احسانا (الاحقاف ١٥) •

الانسان والبعث :

الانسان اذن مسئول عن أفعاله يلقى عنها الجزاء فى هذه الحياة الدنيا ، كما يحاسب عليها فى الآخرة • وقد شاعت فى العرب وقت نزول القرآن عقائد منحرفة على رأسها انكار البعث • وهذه العقيدة بالذات من أعظم الأسباب التى تجعل الانسان يفعل ما يفعل وهو آمن من العقاب • غير أن الله بين له أن استنكاره للبعث باطل ، : « ويقول **الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا** » (مريم ٦٦) • وفى سورة القيامة تصوير لهذا الانكار ، وتأكيد للبعث ، حيث يقول تعالى :

« أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه •
بلى قادرين على أن نسوى بنانه •
بل يريد الانسان ليفجر أمامه •
يسأل أيان يوم القيامة •
فاذا برق البصر • وخسف القمر • وجمع الشمس والقمر •
يقول الانسان يومئذ أين المفر •
كلا لاوزر
الى ربك يومئذ المستقر •
ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر •
بل الانسان على نفسه بصيرة •••
ولو ألقى معاذيره » ••
« أيحسب الانسان أن يترك سدى •
ألم يك نطفة من منى يمنى •
ثم كان علقة فخلق فسوى •
فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى •
أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » •

هذه هى قصة الانسان منذ بدء خلقه من طين ، ثم من نطفة الى أن ينفخ فيه من روح الله ، فيعيش فى هذه الحياة الدنيا الى أن يموت ، يسير فيها تارة نحو الخير ، وتارة أخرى نحو الشر ، ثم يبعث مرة أخرى ليلقى الجزاء العادل على ما قدمت يداه • وسنبحث فيما بعد جوانب الانسان من جهة تسميته بالبشر أو الناس ، أو بنى آدم ، وغير ذلك ، وماذا تدل عليه •

(تابع) مقالة دعوة الميثاق الوطنى

تحديده فى حقوق أساسية لكل مواطن ينبغى أن يكرس الجهد لتحقيقها •

أولها : حق المواطن فى الرعاية على أن تصبح حقا مكفولا غير مشروط بثمن مادى ولا بد أن تكون هذه الرعاية فى متناول كل مواطن وفى كل ركن من الوطن فى ظروف ميسرة وقادرة على الخدمة

ثانيها : حق كل مواطن فى العلم بقدر مايتحمل استعداده ومواهبه • ان العلم طريق تعزيز الحرية الانسانية وتكريمها كذلك فان العلم هو الطاقة القادرة على تجديد شباب العمل الوطنى واضافة أفكار جديدة اليه كل يوم •

ثالثها : حق كل مواطن فى عمل يتناسب مع كفايته واستعداده •

رابعها : ان التأمينات ضد الشيخوخة وضد المرض لابد من توسيع نطاقها بحيث تصبح مظلة واقية للذين أدوا دورهم فى النضال الوطنى •

ان الله ـ جلت حكمته ـ وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساسا للعمل فى الدنيا وللحساب فى الآخرة •

جمال الدين الأفغاني

الدكتور
عثمان أمين

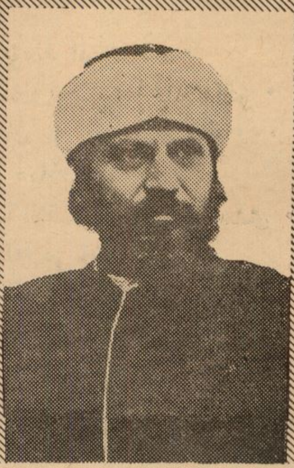

١ ـ شخصيته وحياته

علم من أعلام النهضة الفكرية الحديثة ، وزعيم روحى شرقى ، ومصلح اجتماعى عصرى ، وداعية سياسى ثورى .

اجتمعت له مواهب عقلية نادرة ، وصفات أخلاقية عالية ، جعلت لشخصيته مغناطيسية تجذب النفوس . فهو باعتراف الجميع : كاتب مبدع ، وخطيب بليغ ، ومجادل مقنع ، ومتحدث بارع . وهو أيضا ، كما وصفه تلميذه محمد عبده : سليم القلب ، حديد المزاج ، شديد العزم ، شجاع مقدام ، كثير البذل ، قوى الاعتماد على الله ، لا يبالى بصروف الزمان ، قليل الحرص على الدنيا ، بعيد عن الغرور بمتاعها وزخرفها ، راغب عن المادة ، متعفف عن لذات الحس ، مؤثر لمتع الروح ، كلف بمباهج المعرفة ، لم يتزوج ، وأبى أن يعلق قلبه بالمال والبنين أو الرتب والمناصب ، وانما أراد أن يقضى حياته حرا طليقا كالهواء ، أو كالطيور على الغصون ، أو « كالليث لا يعدم فريسة أينما ذهب » كما وصف هو نفسه .

اختلفت الأقوال فى نسبة جمال الدين الى الأفغان . فذهب بعض الكتاب الايرانيين الى أنه ايرانى ولد فى أسعد آباد بايران ، وحاول بعض الاتراك أن يثبتوا انه من أصل تركى ، وأنه ولد فى ازربيجان ، كما ذهب بعض الهنود الى أنه نشأ فى قرية « شيرون » فى بلاد الهند ، فترجمت الى أسعد آباد لأسباب دبلوماسية .

وظاهر أن كتاب الشرقيين يتنافسون فى نسبة جمال الدين الى بلادهم . والحق أنه لم يكن لجمال الدين وطن يستقر به ، وانما عاش منذ طفولته سائحا جوابا ، فكان وطنه الشرق كله : زار بلاد العرب ومصر وتركيا ، وأقام بالأفغان وفارس والهند والعراق ، وسافر الى كثير من عواصم أوروبا . وقيل أيضا أنه زار أمريكا ، وكتب فى الصحف الشرقية والعربية ، وخالط رجال العلم والدين والأدب والسياسة ، فى الشرق والغرب ... فاكتسب من سياحاته الكثيرة ، واطلاعه الواسع ، معرفة عميقة بالرجال والشعوب .

ما من قطر من أقطار الشرق أثر فيه جمال الدين مثل تأثيره فى مصر : فهو من أوائل العاملين على تطور الروح الوطنى فى هذه البلاد ، وقد نسب اليه — بحق — الدور التاريخى لـ « أبى القومية » . وقد استطاع الرجل بخطبه الملتهبة أن ينفث فى النفوس نزوعا الى الحرية ، ورغبة فى العدالة . خطب مرة فى الاسكندرية قبل خلع الخديو اسماعيل، فقال : « أنت أيها الفلاح المسكين تشق قلب الأرض ، لتستنبت ما تسد به الرمق ، وتقوم بأود العيال . فلماذا لا تشق قلب ظالمك ؟ لماذا لا تشق قلب الذين يأكلون ثمرة أتعابك ؟ » .

بهذه الجرأة كان جمال الدين يخطب ويتكلم ، وكان لكلامه أثر عميق فى ايقاظ الناس ، وتنبيه المحكومين الى حقوقهم قبل الحاكمين : فاتجه الناس الى نقد تصرفات أصحاب السلطان ، وأخذت تتضاءل عقيدة سيادة الحاكم وحقه المطلق فى التصرف فى شئون الرعية . كذلك بذل جمال الدين جهدا كبيرا فى تنبيه المصريين الى مضار الاستكانة لتدخل الاجانب فى شئونهم ، وطفق يخاطبهم مستثيرا فيهم معانى العزة القومية : « لو كان فى عروقكم دم ينبض ، وفى رءوسكم أعصاب تتأثر ، فتثير النخوة والحمية ، لما رضيتم بهذا الذل ، ولما قعدتم على الرمضاء وأنتم تضحكون .. تناوبتكم أيدى الغزاة من كل جنس ، وأنتم كقطع الصخر الملقاة فى الفلاة لا صوت لكم ولا حس » .

وقد كان طبيعيا أن يثير موقف جمال الدين معارضة له وسخطا عليه من كل صوب : من رجال الدين المحافظين ، ومن الحكام المستبدين ، ومن الاجانب الطامعين .

٢ — أفكاره الفلسفية

لم ير الشرقيون فى العصور الحديثة زعيما فكريا كان منطقيا مع نفسه مثل ما كان جمال الدين الافغانى : فقد كانت حياة الرجل على اتم وفاق مع فكره . والنظر والعمل عنده لا يفترقان . وتشبه سيرة الافغانى السيرة الفلسفية التى تحدث عنها أبو بكر الرازى فى رسالة مشهورة .

قلنا ان حياة الافغانى كانت مرآة صادقة لفكره ، ونقول ان ذلك الفكر وتلك الحياة يتميزان أولا بذلك الطابع الروحى الناصع الذى كان يتجلى فى حركاته وسكناته ، وهما يتميزان أيضا بتلك النزعة الدينية العميقة التى تغلغلت فى خطواته وتأملاته ، ويتميزان أخيرا بذلك الوجدان الاخلاقى العالى الذى سيطر على جميع أفعاله وتصرفاته :

١) روحيته ورده على الماديين :

ويبدو لنا أن روحية جمال الدين وتدينه وأخلاقيته هى التى جعلته يزدرى مطالب البدن ، وينصرف عن لذات الحس ، ويقاوم طغيان المادة .

ومن أصدق ما وصفت به روحية جمال الدين ما كتبه الاستاذ عباس محمود العقاد سنة ١٩٥٤ فى بعض يومياته حين قال : « من الهام جمال الدين فى سليقة الدعوة أنه كان داعية على الوجه الأمثل ، وكان يعلم قوام الدعوة كيف يكون ، وما من قوام لها أقوم من تقويض المادية ، وايقاظ الروح والوجدان . لم يكن يغضب من شىء قط كما كان يغضب من دعاية المادية بين المسلمين ، وكان يعرف خصائص المادية بالبداهة الصادقة قبل شيوع الماركسية ، فى الديار الأوربية .. فمن كلامه عن الماديين فى رسالة « الرد على الدهريين » أنهم « كانوا يظهرون فى أوقات بدعوى السعى فى تطهير الاذهان من الخرافات، وتنوير العقول بحقائق المعلومات ، وتارات يتمثلون فى صور محبى الفقراء وحماة الضعفاء وطلاب خير المساكين ..... وكيفما ظهر الماديون ، وفى أى صورة تمثلوا ، وبين أى قوم تجمعوا ، كانوا صدمة شديدة على بناء قومهم ، وصاعقة مجتاحة لثمار أممهم .... يميتون القلوب ويزعزعون راسخ النظام بمساعيهم . فما رزئت بهم أمة ، ولا منى بشرهم جيل الا انتكث فتله ، واسقط عرشه ، وبددت آحاد الأمة ، وفقدت قوام وجودها . ..... وهذا يكتب قبل سبعين سنة ، وقبل أن يسمع الغرب — فضلا عن الشرق — كلاما عن التفسير المادى للتاريخ . ولكنها عظمة الرجل توحى اليه مواطن الرجاء ومواطن اليأس من كل اصلاح » .

وروحية جمال الدين هى أيضا التى جعلته ينزع الى نوع من الاشتراكية ، ويقول ان الاشتراكية السليمة هى اشتراكية الاسلام ، لأن قانونها المحبة والصفاء ، ودستورها العقل والحرية ، وغايتها العدالة الاجتماعية . وهل هناك شك فى اشتراكية الاسلام ، وقد دعا القرآن اليها ، ووردت الأحاديث بالحث عليها، وسار المسلمون على نهجها فى عهد النبى وأكبر خلفائه ؟ وقد شرع الاسلام الزكاة درءا لجشع الأنانيين، ودفعا لحقد الفقراء على أرباب الثراء ، وتمكينا للمحبة والتعاطف بين الناس. أما الاشتراكية الغربية فليس فيها نفحة من روح ، ولا وازع من أخلاق ، ولا ذرة من دين. وانما منشؤها الحسد ، وقوامها الانتقام ، ومدارها المادة . وكل اشتراكية تخالف فى روحها اشتراكية الاسلام لا تكون عواقبها الا مجزرة كبرى تسيل فيها الدماء ، وتهدد فيها المبادىء ، وتتعطل عندها الطبائع .

ب) النزعة الدينية :

يبدو لنا كذلك أن تغلغل الشعور الدينى فى نفس جمال الدين هو الذى جعله يصرح فى مستهل رسالته « الرد على الدهريين » بأن « الدين هو قوام الأمم ، وفيه سعادتها ، وفيه فلاحها » وهو الذى جعله يرى أن المدنية الصحيحة هى المدنية القائمة على الدين والعلم والاخلاق ، وأن التقدم المادى الذى يتجلى فى انشاء المدن الكبيرة ، والأبنية الفخمة ، والمصانع الواسعة ، والثروات الوافرة ، والتفنن فى وسائل القتل والتدمير.. كل هذا لا يصح أن يسمى « مدنية » وانما هو أخلق أن يكون « وحشية » ، بل هو وحشية أحط من وحشية الحيوان . وأن الرجل الذى يطاوع غريزة المطاولة والحرب والعدوان ليس انسانا متمدنا على الحقيقة ، مهما تكن الدولة التى ينتمى اليها .

ج) الروح الأخلاقية :

وأخلاقية جمال الدين هى التى حملته على التنديد بقلة الثبات والصبر عند الشرقيين ، وحب الغلبة والعدوان عند الغربيين . فنراه من هذا الوجه يعقد مقارنة بين الشرقى والغربى فيقول : « الغربى متكبر طموح ، صبور ، قليل الذكاء ، عظيم الثبات ، شديد العناد . والشرقى متواضع ، قنوع، جزوع ، كثير الذكاء ، سريع التقلب ، قليل الصبر .. يثبت الغربى حتى على الخطأ اذا وقع فيه ، ويصر على قولة الباطل اذا صدرت منه ، ولا يثبت الشرقى حتى على الصواب ولا يصبر على طلب حقه المسلوب : فيفوز الاول ببعض ما ليس من حقه ، لتمسكه بفضيلة الثبات والصبر، ويخسر الثانى كل حقه اذا لم يقلع عن رذيلة التقلب والجزع » . ونراه من جهة أخرى يندد بالاستعمار الغربى ، لأن أساسه المخادعة والاستغلال . فيقول « ان هذا الاستعمار لغة واصطلاحا لا أراه الا من قبيل أسماء الأضداد . وهو أقرب الى « الخراب » و « التخريب » وأدنى الى « الاسترقاق » و « والاستعباد » منه الى « العمار » و « العمران » و « الاستعمار » !... **ولهذا السبب نفسه فرق جمال الدين بين أغراض « الجهاد » وأغراض « الحرب » فقال :**

« ان الدين الاسلامى انما عمد ، منذ بزوغه حتى اتساع رقعته الى الدعوة بالحكمة ، وممارسة العدل ومكارم الاخلاق ، أكثر مما عمد الى الجهاد بالسيف والقهر . وان ما فتح المسلمون من البلاد صلحا أكثر مما فتحوا عنوة وحربا . على أن الاسلام قد خير أهل الكتاب بين أمرين من غير اكراه: اما أن يعتنقوا الاسلام ، فيشاركوا المسلمين فى النفوذ والسلطان الدنيوى والنعيم الأخروى ، واما أن يؤدوا الجزية قليلا من المال ينفق فى المنافع العامة ، وفى تعزيز بناء المجتمع . والغرض فى الحالين حقن الدماء ، وتثبيت النظام الاجتماعى الذى اقامه الدين . فالفرق ظاهر بين الجهاد فى الاسلام ، ذلك الجهاد الذى يرمى الى نشر الدعوة الدينية والاخلاقية ، وبين حروب أهل المدنية الغربية الحديثة، والقصد منها الاستغلال الاقتصادى الذى ينتهى غالبا بالاستعمار والاحتلال والاستبداد » .

د) الاتجاه العقلى والاسلام :

كان الأفغانى مسلما حقيقيا ، ونصيرا للعقل فى آن واحد . وكان يهيب بالمسلمين

على اختلاف مذاهبهم أن يستعملوا هذا المبدأ العقلى الذى امتاز به الاسـلام على سائر الأديان . وهو يقول فى ذلك : « ان الدين الاسلامى يكاد يكون منفردا من بين الأديان بتقريع المعتقدين بلا دليل ، وتوبيخ المتبعين للظنون، وتبكيت الخابطين فى عشواء العماية، والقدح فى سيرتهم ، هـذا الدين يطالب المتدينين بأن يأخذوا بالبرهان فى أصول دينهم، وكلما خاطب، خاطب العقل، وكلما حاكم حاكم الى العقل : تنطق نصوصه بأن السعادة من نتائج العقل والبصيرة ، وأن الشقاء والضلالة من لواحق الغفلة واهمال العقل وانطفاء نور البصيرة » .

وكان جمال الدين ينفر من « التقليد » وينعى على المقلدين اتباعهم لآراء غيرهم دون تمحيص ، كما كان يستنكر قول بعض المتأخرين من أن باب « الاجتهاد » مسدود لتعذر شروطه ، ويقول .. القرآن ما أنزل ما أنزل الا ليفهم، أى لكى تتدبر معانيه بالعقل، وتدرك أحكامه ومقاصدها (أنظر قوله تعالى: **((انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون))** و **((انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون))** .. فمن كان عالما باللسان العربى ، وعاقلا غير مجنون وعارفا بسيرة السلف ، ومحيطا بطرق الاجماع .. جاز له النظر فى أحكام القرآن وتدبر مراميها » .

هـ) القضاء والقدر والحرية الانسانية :

وبهذه الروح نفسها دافع الافغانى عن حرية الافعال الانسانية ، معارضا مذاهب منكريها من « الجبريين » الذين يرون أن الانسان مضطر فى جميع أفعاله اضطرارا لا أثر فيه للاختيار . وأكد فى قوة أنه « لا يوجد مسلم فى هذا الوقت من سنى وشيعى وزيدى واسماعيلى ووهابى وخارجى ، يرى مذهب الجبر المحض ، ويعتقد سلب الاختيار عن نفسه بالمرة ، بل كل هذه الطوائف المسلمة يعتقدون أن لهم جزءا اختياريا فى أعمالهم ، ويسمى « بالكسب » ، وهو مناط الثواب والعقاب عند جميعهم — وانهم محاسبون بما وهبهم الله من هذا الجزء الاختيارى .. وهو مورد التكليف الشرعى ، وبه تتم الحكمة والعدل » .

غير أن الافغانى يفرق تفرقة قاطعة بين الاعتقاد بالقضاء والقدر وبين الاعتقاد بالجبر المحض ! فالاعتقاد بالقضاء ((يؤيده الدليل القاطع ، بل ترشد اليه الفطرة . وسهل على من له فكر الى أن يلتفت الى كل حادث له سبب يقارنه فى الزمان ، وانه لا يرى من سلسلة الاسباب الا ما هو حاضر لديه ، ولا يعلم ماضيها الا مبدع نظامها ، وان لكل منها مدخلا فيما بعده : ذلك بتقدير العزيز العليم)) .

وعلم التاريخ وعلم الاجتماع — فضلا عن العلوم الطبيعية — قائمان على الاعتقاد بالقضاء والقدر ، « والاذعان بأن قوى البشر فى قبضة مدبر الكائنات ومصرف الحادثات . ولو استقلت قدرة البشر بالتأثير ما انحط رفيع ، ولا ضعف قوى ، ولا انهزم مجد ، ولا تقوض له سلطان » .

ويصرح الافغانى بأن ((الاعتقاد بالقضاء والقدر ، اذا تجرد عن شناعة الجبر ، يتبعه صفة الجرأة والاقدام ، وخلق الشجاعة والبسالة . ويبعث على الثبات واحتمال المكاره ويحليها بحلى الجود والسخاء ، ويدعوها الى الخروج من كل ما يعز عليها ، بل يحملها على بذل الأرواح)) .

هذه عقيدة القضاء والقدر ، التى تعد من أصول العقائد فى الاسلام ، فقد انقلبت حقيقتها فى أذهان الغربيين وبعض من تابعهم من المسلمين ذوى العقول الضعيفة ، فنسبوا اليها ما يشاهدون من انحطاط الامم الاسلامية وتأخرها . ((ورجاؤنا فى الراسخين من علماء العصر أن يسعوا جهدهم فى تخليص هذه العقيدة الشريفة من بعض ما طرأ عليها من لواحق البدع ، ويذكروا العامة . وسنن السلف الصالح وما كانوا يعملون ، وينشروا بينهم ما أثبته الأئمة ... من أن التوكل والركون الى القضاء انما طلبه الشرع منا فى العمل لا فى البطالة والكسل . وما أمرنا الله أن نهمل فروضنا ، وننبذ ما أوجب علينا ، بحجة التوكل عليه : فتلك حجة المارقين عن الدين)) .

الإنفاق والتصدق

الاستاذه مفيده عبد الرحمن

يقول الله تعالى : ((وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)) ((وما تنفقوا من خير يوف اليكم)) ((لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون))

ويقول الحكيم العليم : ((خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)) ، ((يمحق الله الربا ويربى الصدقات))

فبان لنا من هذه الآيات البينات : أن الله تعالى قد وعد ـ ووعده الصدق ـ بأن يخلف ما ينفقه المنفق ، ويرزقه خيرا مما أنفق. وأن الانفاق يجب أن يكون مما يحب الانسان لا مما يكره ((ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون))

وأن الصدقة : تطهر المتصدق ، وتزكى نفسه ، وأن الله تعالى يربى أجرها وينميه الى سبعمائة ضعف ((مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)) ((من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون))

والآيات التى تحث على البذل والانفاق أكثر من أن تحصى . ولكن البخلاء فى صمم عن سماعها ، وعمى عن قراءتها .

فبينما تجد الغنى وقد بشم من كثـــرة الأكل ، وأوشك على التلف من شدة البطنة ، اذا بك تجد الفقير قد تلف من شدة الجـوع والحرمان ، وقد تضافرت عليـــه البلايا والرزايا . والغنى لاه عنه بما هو فيه من شغل شاغل .

فكم قد رأينا من ينفق على احدى ولائمه ومسراته ألوف الجنيهات ، ويأبى أن يضـع قرشا واحدا فى يد مسكين ، أو لقمة فى فم جائع . ولا يرضى أن يساويه الفقير فى احدى صفاته ، وهى صفة الشبع ، وقد ساواه فيها الحيوان الأعجم .

ومن عجب أن يجلس الغنى – وقد تخم هو وذووه من المأكل والمشرب – ويملأ الأجواء بالجشاء ، ثم يقول : الحمد لله . ولا أدرى علام يحمد الله ؟ أعلى حرمانه من رضاه ؟ أم على جحوده وقسوته ، وتنكره لعباد الله ؟!

يا هذا ان من تحمده لاعن لك ، ساخط عليك ، لأنه أعطاك ما أعطاك، ووهبك ما وهبك، واستخلفك على جميع ذلك ، وأمرك بأن تعطى الفقير المحتاج ، فيطعم من جوع ، ويروى من ظمأ ، ويعيش حبيبا لك ، مشفقا عليك ، لا أن تستأثر بكل خير دونه ، ويكون التعب والنصب والمرض وقفا عليه دونك !.

ألا يظن الأغنياء أنهم ميتون ، وأنهم علـى ذلك محاسبون ومعذبون !.

ألم يخاطبهم ربهم بقوله : ((**كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده**))

ألم يسمعوا قول الحكيم العليم : ((**والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**))

ماذا أعد هؤلاء ليوم عظيم : تشيب لهوله الولدان ((**يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى النـاس سكارى وما هم بســكارى ولكن عذاب الله شديد**))

فوحق من شرع الثواب والعقـاب : أنكم معشر الأغنيـاء مخدوعون ، وقد أشقيتم أنفسكم فى دنياكم وأخراكم، ووعدكم شيطانكم الفقر فأطعمتموه ، ووعدكم ربكم مغفرة منه وفضلا فعصيتموه ((**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا**))

هذا وقد سمع أحد فضلاء المسلمين قارئا يقرأ قوله تعالى : ((**ألهاكم التكاثر ، حتى زرتم المقابر ، كلا سوف تعلمـون ، ثم كلا سوف تعلمون ، كلا لو تعلمون علم اليقـين لترون الجحيم ، ثم لترونها عين اليقين ، ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم**)) فبكى حين سمعها ، وظل يبكى ويرتعد فرقا ، حتى مات خـوفا من سؤاله عما ناله من النعيم .

وأى نعيم ناله بجانب ما نراه من نعيـم أغنياء اليوم ؟!

وانه ليس بغريب أن يوجد بيننا فقـراء ، قد وجد مثلهم فى سائر الأمم ، ولكن الغريب ألا يكون من بيننا رحماء !.

يا أيها الغنى : ان ما عندك سيكفيك أنت ومن حولك من الفقراء ، ولكنه الجشع والطمع اللذان يسولان لك الجمع والمنع ، ولا أدرى اذا قضيت عمرك فى الجمع فمتى تنفـق ؟ أتنفقه بعد الموت عنـدما تقول : ((**رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن مـن الصالحين**)) أم عندما يشوى بما جمعتـه جلدك ، وتود لو أن لك ما فى الارض جميعـا لتفتدى به نفسك ، ولكنه يوم لا تنفع فيـه شفاعة ، ولا يقبل فيه عدل ((**واتقـوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منهـا شفاعة ولا يؤخذ منها عدل**))

يا أيها الناس : لقد انقضى شهر الصـيام ((**رمضان**)) وفيه تســمو النفوس ، وتزكو الأرواح ، وقد حبستم أنفسكم فيـه عن المباحات –بمحض اختياركم– ابتغاء مرضات الله تعالى ورضوانه ، فهل لكم أن تحبسوها الآن – بأمر ربكم – عن المحرمات ، فتجتنبوا البخل والشح ((**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**))

وليذكر كل واحد قول الحكيم العليم ، الرؤوف الرحيم : ((**فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخـل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى ، وما يغنى عنه ماله اذا تردى**)) .

السلطان علي عبد الكريم

يشرح

قضية الجنوب العربي

- الرق الموجود الآن في بعض البلاد الإسلامية .. مأخوذ من الغرب ..
- الإسلام .. دين العدالة الاجتماعية ..
- كيف دخل الاستعمار البريطاني الجنوب العربي ؟
- أثر ثورة اليمن على قضية الجنوب ..
- المبشرون الذين يقومون بالدعوة إلى الاستعمار ..
- "السلطان" نظام يجمع بين الانتخاب .. والوراثة ..
- لا يصلح للجنوب الآن .. إلا النظام الجمهوري ..
- وحدة الجنوب العربي ضرورية في إطار الوحدة العربية الشاملة ..
- إننا نناضل في الجنوب دفاعا عن الإسلام وعن العروبة ..

الأستاذ
عبد الله إمام

مشاكل المسلمين فى الجنوب العربى
شغلت الأذهان طويلا منذ انتصار ثورة اليمن

ولقد ظهرت فى الأيام الاخيرة صور عديدة لنضال الشعب العربى المسلم فى جنوب الجزيرة العربية ضد القوى التى تحاول عرقلة تقدمه ، واحتكار خيراته ..

ومن ابرز صور هذه المقاومة ، ماحدث فى عدن ضد الاستعمار البريطانى ..

وفى القاهرة أحرار من كل مكان .. من كل بلد عربى ..

وفيها مكتب الجنوب العربى ، يعمل على وحدة شعب الجنوب العربى والقضاء على التفرقة التى ركزت الاستعمار البريطانى فى الجنوب ..

وتخوض المعارك مع السياسة الاستعمارية وتكشفها للعالم ..

وتقاوم المعاهدات الاستعمارية التى تعقدها بريطانيا مع سلاطين المنطقة ..

وقد استطاعت رابطة الجنوب العربى بالقاهرة أن تنشر وعيا بقضية الجنوب ، وأن تحرك أكثر الضمائر نحو هذه القضية العادلة

وفى الوقت الذى يحشد فيه الاستعمار جهوده فى معركة الجنوب العربى ، نرى أنه من الضرورى أن يعرف المسلمون فى كل مكان قضية زملائهم واخوانهم فى الجنوب ، وان يعيشو معهم فيها .. وأن تلقى أضواء كثيرة وساطعة وفى هذا الوقت بالذات ، على مشاكل الجنوب العربى ، ذلك الجنوب الذى قال عنه الرئيس جمال عبد الناصر ان اسمه الجنوب العربى مجازا .. فهو الجنوب البريطانى .. اذ أن بريطانيا تفرض سيطرتها ونفوذها على كل شبر فيه ..

ولكن الأحرار فى الجنوب لايستكينون .. انهم يقاومون وستشتد مقاومتهم وتزداد حتى يتم لهم التحرر الكامل .. ولقد اخترت واحدا من زعماء الجنوب لأتحدث معه هذا الشهر ..

الزعيم الذى أخترته هو **السلطان على عبد الكريم سلطان لحج** .. أحد أحرار الجنوب الذين يعيشون فى القاهرة ..

قال لى السلطان على عبد الكريى ان القضية الأولى التى يعيشها الجنوب فى هذه الأيام هى قضية الوجود الاستعمارى فى حد ذاته ..

ان أى شعب يريد أن يتحرر من الاستعمار .. ليس هناك شعب يقبل الذلة والمهانة والاستعمار ..

ان الجنوب العربى منطقة كبيرة .. .. تكاد تكون ضعف مساحة اليمن .. سكانها قليلون بالنسبة لمساحة البلاد ..

والذى استرعى انتباهنا هو أن الانجليز يسمحون بهجرات أجنبية ..

اننا نخاف أن تطغى الهجرة الأجنبية على العروبة والاسلام فى هذه المنطقة ..

ونحن نحارب الآن معركة عروبة هذه المنطقة ونحن نحارب الآن معركة الدفاع عن الاسلام فى هذه المنطقة ..

ونحن نحارب الآن معركة تحرير المنطقة كلها من المستعمر .

ان المستعمر يريد أن يفرض سيطرته مستعينا بتقسيم المنطقة الى امارات وسلطنات .. تجعل للاستعمار قدرة للسيطرة على الناس من وراء الأمراء والسلاطين الموجودين ..

ونحن نريد انهاء التجزئة فى المنطقة .. هذا هدف آخر من أهدافنا ..

ثم تسلم السيادة الى الشعب .. ليقرر بنفسه مصيره .. وحين ننظر الى تقرير المصير فانه لابد أن يكون واضحا أننا ننظر اليه من زاوية واحدة وهى وحدة المصير التاريخى للوطن العربى ..

السلطان على عبد الكريم سلطان « سلطنة لحج » وهى أهم امارات الجنوب ..

ان الجنوب العربى ينقسم الى ثلاثة أقسام :

منطقة عدن.. وتحدها من الشمال والغرب سلطنة لحج ويبلغ عدد سكانها ١٥٠ ألف نسمة كلهم من العرب وفيها جاليات هندية وصومالية وغيرها .. وهى تحت الحكم البريطانى المباشر .. والمنطقة الثانية هى منطقة الامارات الشرقية وهى ست امارات .. سلطنتى حضرموت الساحل والداخل ، وسلطنة المهرة ، والسلطنة الواحديه ومشيخة عرفة ومشيخة صورة ..

والقسم الثالث : هو الامارات الغربية .. امارات الضالع وسلطنات مجمع والفضلية والحواسية ويافع الساحل ويافع العليا والعوالق السفلى والعوالق العليا وسلطنة

العوازل ومشيخة العقارب وامارة بيحان ومنطقة دثنية وجبل ردفان ومنطقة صهيب ومشيخة المفالحة ، والصبى ، والحضرمى ، والأبعوس ونقابة الموسطة ، ومشيخة – القبطى ..

ويبلغ عدد سكان هذه الامارات مليون وربع مليون نسمة بما فى ذلك سكان عدن ..

ولعل من أبرز مايقوم به المستعمر البريطانى فى هذه المنطقة هو محاولته للانحراف بالتعليم فى الجنوب العربى عن المجرى الطبيعى الذى يجب أن تسير فيه الحركة التعليمية .. ووضع القيود التى تحول بين الناس وبين التعليم .. وقوف بريطانيا فى وجه الثقافة العربية والمساعدات الثقافية العربية ووضع العراقيل أمام البعثات الثقافية ..

ان بريطانيا تفرض الجهل على المنطقة .. كما تفرض عليها المرض ..

وتترك الدعاية الصحية فى أيدى عدد من المبشرين الذين يقومون بالدعاية لبريطانيا ، تحت ستار التبشير بالدين المسيحى .. !!

ان وراء اهتمام بريطانيا بالجنوب العربى عدة أسباب لعل من أبرزها ماأثبتته أعمال التنقيب من أن المنطقة بها اكثير من آبار البترول • مما يمكن أن تجعل الجنوب فى المكان الأول بين البلاد التى تنتج البترول فى العالم .. وبريطانيا تقوم فعلا الآن بأعمال التنقيب واستخراج البترول فى كثيرمن أماكن الجنوب ، كما أقامت معملا لتكرير البترول فى عدن ..

وهناك سبب آخر يدفع بريطانيا الى الاهتمام بالمنطقة هو تطور أهميتها الاستراتيجية بالنسبة لبريطانيا والغرب كله ..

والسبب الثالث هو الرغبة فى احتكار السيطرة على الأسواق لتعوض ماقد تتعرض له التجارة البريطانية من خسارة نتيجة لمنافسة اليابان والهند ..

وهناك قائمة أخرى من الأسباب من بينها وجود المعادن فى المنطقة .. واستغلالها فى زراعة الحبوب والذرة والقطن .. وغيرها من الحاصلات .. !

والحقيقة انه من أهم مايلزم لنا فى هذه الأيام هو أن نحفظ جيدا تاريخ هذه المنطقة وندرسه .. فالمعركة ضد الاستعمار تلوح فى كل شبر من هذه الأرض .. والجنوب العربى آن له أن يسترد عروبته فعلا وأن يسير مع القافلة العربية المتحررة ، وأن يثأر لسنوات عديدة من الظلم والطغيان قضاها فى ظل الاستعمار البريطانى البغيض ..

قصة الاستعمار البريطانى لهذه المنطقة – من أرض المسلمين – بدأت فى شهر رمضان عام ١٢٥١ هجرية بغرق سفينة بالقرب من عدن تملكها السيدة « بيحم » الهندية ، وكان بها بضائع وحجاج الى جدة ، وتهافت الأعراب على البضاعة الثمينة طلبا للرزق ونزل الركاب على ألواح خشبية فغرق منهم ١٤ شخصا وقبض الأعراب على الباقين حتى جاء أحد كبار موظفى عدن ..

وبعد ذلك بعامين جاء الكابتن هينس نائبا عن حكومة الهند الى عدن للتفاوض فى اقامة محطة للسفن البريطانية وقابل السلطان محسن فضل وتحدث اليه عن البضائع المنهوبة من السفينة وطلب منه تعويضا قيمته ١٢ ألف ريال وجمع السلطان من الأسواق بضائع قيمتها ٧٨٠٨ ريالا وكتب على نفسه سندا بالباقى يدفع بعد اثنى عشر شهرا ، وبعد انتهاء مسألة السفينة فاوض السلطان فى اقامة محطة للسفن ، ورضى السلطان أن يرتبط بمعاهدة من بريطانيا وأن يكون لها مرسىسفن فى عدنعلى أن يظل نفوذهعلىرعيته كما هو وسرعان ماثار الخلاف بينهما ، وبلغ الكابتن هينس ان أحمد ابن السلطان محسن دبر مكيدة للقبض على الأوراق وعلى الوكيل السياسى فى عدن . فعاد الى بومباى .. ثم رجع الى عدن مرة ثانية يحمل تفويضا من الحكومة البريطانية بأن يستولى على عدن .. وطلب من السلطان تسليمها نظير ٨ آلاف ريال سنويا ،وسخر العرب من هذا المطلب واستعدوا لمواجهة كل الاحتمالات ..

وقال السلطان محسن للكابتن هينس « ان كلمتى هى العليا فاذا جئت الى باب عدن لمقابلة السلطان فتحنا لك الباب وقطعنا رأسك بالسيف ، وهكذا عادة البدو ، ثم منعوا الماء عن السفينة « كوت » وضربوها بالبنادق فأصابوا جنديين ..

ثم وصلت الى عدن قوة من السفن الحربية ، ومعهم المدافع والمقاتلين من الانجليز

والهنود .. وانسحب السلطان وعائلته الى لحج وسقطت عدن فى يد الانجليـز .. بعد معركة استشهد فيها كثيرون من المسلمين ..

وتاريخ العـرب كله مرتبط ، ومحنهم مشتركة .. ان الدولة العثمانية التى كانت تفرض السيادة على عدن رضيت أن تتقرب الى بريطانيا بهذه الهدية .. عدن .. وعقد السلطان محسن معاهدة تعهد فيها السلطان الا يقوم هو أو أحد أولاده بمقاومة بريطانيا .. واذا حدث هجوم على عدن أو جيوش بريطانيا أو لحج فان السلطان والجيش البريطانى يكونان يدا واحدة ..

وفى مقابل ذلك تعهدت بريطانيا أن تدفع للسلطان معاشا سنويا ولأولاده .. وأن تدفع المعاشات التى كان يدفعها ..

ومنذ عام ١٨٣٩ أخذت بريطانيا تغرى سلاطين المناطق المجاورة لعدن بالمال والهدايا ثم تسلبهم توقيعاتهم أو بصماتهم على سندات التكريم والترحيب ، تعهدات ومبيعـات لكل مايملكون لحكومة الملكة فيكتوريا ..

واستمرت انجلترا فى سياستها .. مرة تشترى الأرض ، ومرة أخرى تغرى السلاطين وتشتريهم ، ومرة ثالثة تفرض نفوذها بقوة السلاح .. ومرة رابعة تنتهز فرصة الحرب وهزيمة تركيا وانتصارها لكى تفرض نفوذها على مناطق جديدة اما بحجة أنها خاضعة النفوذ التركى أو لأنها تدعى أن بها أتراكا ..

وهكذا .. حتى أصبح الجنوب العربى كله .. جنوبا بريطانيا يحتله الانجليز ..

وقامت أكثر من حركة المقاومة ، وكان الانجليز يخمدونها دائما ..

ولكنهم لم يستطيعوا حتى الآن أن يخمدوا حركات التحرر فى المنطقة ، فان هذه الحركات تبدو فى هذه الأيام أكثر اشتعالا وحماسا من أى وقت مضى .. والسبب .. هو ثورة اليمن .. وانتصارها ..

قلت للسلطان على عبد الكريم :

*** ماهو الأثر الذى خلفه انتصار ثورة اليمن على الجنوب العربى وقضاياه ؟..**

وقال :

ــ انه باعتبار أن المنطقة ذات امتداد جغرافى طبيعى واحد فان تحرر أى جزء يرتبط بالجزء الآخر الى حد كبير .. ويرتبط الطرفين بالوحدة العربية كما أن منطق الطبيعة يحتم أن يكون بينهم اتحاد أو وحدة

وفى رأينا أن أى كفاح عربى لتحرر المستعمر يجب أن يصحبه فى نفس الوقت الاتجاه نحو الوحدة العربية ..

لكل هذه الأسباب نعتقد أن اليمن قاعدة طبيعية للوطنيين ضد المستعمر ..

والوضع السابق فى اليمن كان عقبة أمام اليمنيين انفسهم لعدم وجود ثقة بين العناصر الوطنية والعهد القائم آنذاك .. وثانيا لأن الوضع القائم فى ذلك الحين لم يكن يعترف بحقوق شعب فى المنطقة ويصر على أن تكون القضية قضية داخلية بالنسبة له ..

وثالثا ثبت لدينا أن الوضع السابق كان طوال الوقت بالرغم من تظاهره بأنه ضد الاستعمار البريطانى الا أنه كان متآمرا ومتواطئا معه على القضية العربية ضد الوطنيين .

ومنذ قيام ثورة اليمن أصبحنا نشعر بأن اليمن عادت الى الوضع الطبيعى الذى يمكن من خلاله للوطنيين أن يكافحوا من أجل قضيتهم ويجدوا فيه من التأييد والمساندة ويستطيعون أن يجدوا لدى المسئولين التفهم الواعى للقضية ..

ولا شك أن ظروف قيام الثورة اليمنية الآن واوضاعها فى الداخل تحتم عليها تثبيت الوضع واقامة دولة قوية البنيان تستطيع أن تؤثر فى المنطقة . لايسمح لنا الآن أن نزيد عبئا آخر على هذه الثورة ولكننا نأمل أن يعقد مؤتمر يضم جميع العناصر الوطنية فى المنطقة ورجال الثورة اليمنية لدراسة الأوضاع فى الجنوب ووضع مخطط لهذه القضية يرتفع الى مستوى المسئوليات الملقاة على عاتق الطرفين ، ومستوى المعركة التى نخوضها ضد دولة كبرى ، ومستعمر له فى المجال الاستعمارى مايجعله متفوقا اذا لم تكن الخطة سليمة وتسير حسب الدراسات العلمية والقانونية والتجارب التى مر بها كل كفاح فى سبيل التحرر ..

وعدت أسأل السلطان على عبد الكريم عن أوضاع المسلمين هناك ، ومذاهبهم ..

فأجاب سيادته بأن المنطقة كلها شوافع .. فمن جنوب منطقة « نقيل » ينتشر المذهب الشافعى فقط ..

*** وقلت له :**

أريد أن أحصل على رأيك .. فى موقف الاسلام من الاشتراكية !! فقال :

القاعدة العريضة هو أن الاسلام دين العدالة الاجتماعية ..

أما التفصيلات فان لى فيها رأى آخر يختلف .. ان الاشتراكية أحد أنظمة الدولة ، كأنظمة الضرائب وغيرها .. من القوانين الوضيعة التي تنظم حياة الانسان العادية ، ومادامت لاتتعارض مع القاعدة الكبرى قاعدة العدالة الاجتماعية فلا داعى لأن ندرس موقف الاسلام منها ..

*** والحكم الجمهورى مارأيكم فيه ؟**

ـ نظرتنا بالنسبة الحكم فى المستقبل تحقيق العدالة الاجتماعية والنظام الملكى مستحيل .. لأنه يحتاج الى وجود اسرة حاكمة وهى غير موجودة .. لأن هناك أسر .. والاسلام نفسه ليس فيه نظام ملكى .. فمنذ قيام الاسلام كان الخليفة ينتخب على أساس التمثيل الشعبى ..

ان قيام وضع جمهورى فى المنطقة أصبح هو الحل المنطقى لأنه يعطى فرصة للأحسن ان يتقدم ، وأن ينتخبه الشعب ..

*** نظام السلاطين ؟**

ـ الأصل فى السلطان أنه منتخب من أسرة معينة حسب النظام القبلى الموجود فى المنطقة ..

فهناك قبائل معينة ينتخب السلطان منها .. وبعد وفاته ينتخب سلطان آخر من العائلة ..

انه يجمع بين الوراثة وبين الانتخاب ..

*** ووضع المرأة فى الجنوب ؟**

ـ هناك جمعيات نسائية ، أكثرها يشتغل بالمسائل الاجتماعية ، وهناك ثلاث فئات دخلن المحيط الوطنى .. ولابد أن الفتيات اللواتى يتعلمن الآن سوف يخضن المعركة الى جانب الرجل تماما ..

*** هل فى منطقة الجنوب العربى عبيد وجوارى ؟**

ـ أحب أن أقول ان نظام العبيد ، والرق الموجود الآن فى بعض البلاد ، ليس نظاما اسلاميا انما هو نظام أوروبى غربى ..

وجميع العبيد الموجودين الآن أحرار بحكم النصوص الاسلامية الصريحة ..

ان الاسلام اشترط للرق أن يكونوا من سبايا الحرب فى سبيل الله .. كحرب ادخال الناس فى الاسلام ، وهذه الحروب قد انتهت منذ أجيال عديدة ..

والرق بوصفه الحالى نظام أوروبى كما قلت لك .. فاذا كانوا يأخذون الأمم أرقاء .. افلا يأخذون افرادا !

*** والنظام القضائى وأحكام المحاكم كيف تسير ؟**

ـ الحقيقة أن النظام القضائى حسب الشريعة الاسلامية ، وفيه أقوال واجتهادات فنحن نتبع مذهب الامام الشافعى كما قلت لك ..

ولا أعرف شخصيا فى لحج حكما صدر بالاعدام الا بأمر السلطان ، وفى ظروف يرى السلطان فيها أنه من المصلحة اصدار حكم بالاعدام ..

ومعظم الفصل فى القضايا والمنازعات يحكم فيها وفقا للعرف القبلى داخل القبيلة .. هذا فيما عدا مسائل الأحوال الشخصية

انتهى حديث السلطان على عبد الكريم ..

بقيت قصة السلطان ، وهى قصة طويلة حافلة .. قصة حاكم وقف فى وجه الاستعمار ، ولم ينفذ رغباته ، وفضل مصلحة شعبه .. وخرج السلطان الثائر منفيا من لحج .. خرج ليعود اليها مرة ثانية بارادة الشعب ، وقوته .. خرج ليعود اليها أكثر ثورة ونضالا ، وتمسكابحقوق شعبه .. خرج ليعود مرة ثانية أكثر ايمانا بعروبته ، وبدينه الاسلامى الحنيف ..

ويوم العودة قريب .. ويوم النصر قريب ..

تحقيق صحفى مع الدكتورة سهير القلماوى

المرأة فى المجتمع الاشتراكى

لقد حصلت المرأة المصرية العربية على جميع حقوقها وشاركت الرجل فى عصر ثورتنا المجيدة التى أطاحت بالاستعمار والتخلف وقضت على الفوارق والطبقات وهيأت الفرصة والسبيل لكل عامل حتى يكون هناك مجال للجميع .. وفعلا وجدنا المرأة تقف بجوار الرجل جنبا الى جنب وأصبحت وزيرة .. وقد قامت مجلة ((منبر الاسلام)) بجولة صحفية فذهبت الى الدكتورة سهير القلماوى أستاذة الأدب العربى بكلية الآداب جامعة القاهرة لمناقشة سيادتها فى موضوع .. (المرأة فى المجتمع الاشتراكى) فظفرت منها بهذا الحديث .

هل المرأة كفء للقيام بدورها فى المجتمع الاشتراكى مثل الرجل تماما ؟

أعتقد ان هذه الخطوة كان لابد منها .. وهى خطوة طبيعية بعد حصول المرأة على حقوقها السياسية كاملة ويجب أن تقدر هى ماسينتج عنها من آثار طيبة لا لمجرد أنها ظاهرة جديدة

هل اشتركت المرأة قبل ذلك فى ميدان السياسة ؟

الواقع أنها اشتركت فى ثورة سنة ١٩١٩ فى المظاهرات والاحتجاجات وكانت هناك لجنة نسائية وكنت عضوة فيها وأنا طالبة .. ولم تكن مهمة هذه اللجنة بحكم الظروف التى كانت فيها مصر اذ ذاك بقادرة على أكثر من ان تساند حزب الأغلبية فى محاربته للانجليز ، ومطالبته بالاستقلال التام .. اما بعد أن انحرف الحزب توقفت هذه اللجنة عن نشاطها كما توقف كثير من النشاط المثمر الى ان هبت الثورة المباركة بقيادة هذا العملاق البطل السيد / الرئيس جمال عبد الناصر فبعثت هذا النشاط من جديد ولكن الى آفاق أوسع وأعمق من ذى قبل وفى وضوح يدفع الى السير

المتواصل نحو الهدف الأسمى مما يجعل الاندفاع أقوى والعمل أجل وأكثر .

هل اشتراك المرأة فى مجال السياسة يعد انتصارا لها ؟

هذه الخطوة من السيد الرئيس خطوة مباركة وموفقة فى نظرى وهذا شيء لايحتاج الى دليل فى الواقع وأنا أعتبر هذا عمق فهم من السيد الرئيس لمعنى المجتمع الاشتراكى ولا أعده نصرا بقدر ماأعده تكليفا فان المرأة كالرجل لاتنظر الى الانتصارات لأن الأهداف الكبرى التى عملت الثورة على توضيحها وترسيخها تتطلع أبدا الى قيام مايجب أن يحقق فى المستقبل ولهذا فان كل نصر يعد قليلا بالنسبة للأهداف الكبرى .

مارأيك فى اشتراك المرأة فى مجال السياسة هل يعد تطورا منها فى بناء المجتمع الاشتراكى ؟

أعتقد ان هذا اعتراف بتطور حاصل بالفعل فالمرأة أصبحت تشارك مشاركة جدية فى كل جوانب الحياة وخصوصا القومية والسياسية منها ولم تعد بمعزل عن الحياة اليومية فقد تكلمنا عن الثورة وكيف أنها تربط كل نواحى الحياة بعضها ببعض ارتباطا وثيقا ولم يعد من الممكن ان يكون فى حياتنا نواحى منعزلة أو اتجاهات منفصلة حتى أصبح فى نظرى عمل ست البيت والأم عملا اجتماعيا قوميا سياسيا .

هل اشتراك المرأة فى ميدان السياسة وخروجها من بيتها يتعارض مع تعاليم الدين الاسلامى ؟

لا أعرف نصا فى الدين الاسلامى يفرض على المرأة انعزالها عن الحياة العامة وينهاها عن العمل المثمر المفيد وتقاليد الاسلام وتاريخه خير شاهد على مشاركة المرأة فى السياسة والحرب مشاركة فعالة وقوية والدليل على ذلك الغزوات التى قام بها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد كانت المرأة من المجاهدات فى سبيل نصر الدعوة وأظن أن الأوان قد آن لننظر فى ديننا الى ماهو مشحون به من طاقات تقدمية بدلا من أن نحمله أو نلصق به ماليس فيه .

هل كان قاسم أمين أسبق المفكرين الذين نادوا بتحرير المرأة وهل كان محقا فى دعوته فى ذلك الوقت ؟

أولا وقبل ان نتعرض الى دعوة قاسم أمين يجب ان نقول ان « قاسم أمين » قد سبق بكثيرين دعوا بنفس الدعوة بل ذهبوا الى أكثر منها مثل رفاعة الطهطاوى فقد دعا الى تعليم المرأة وتسليحها بالعلم حتى يمكنها ان تزاول مهمتها اذا اضطرت الى ذلك وأباح لها العمل كذلك وقد دعا الشيخ محمد عبده وعلى مبارك وغيرهم من المصلحين الى تعليم المرأة أيضا أما قاسم أمين فقد تبنى هذه الدعوة وأفرد لها مؤلفين وجعلها رسالته ومن هنا تجد الجميع يقرنون اسمه بدعوة تحرير المرأة ، ودعوته تنقسم الى قسمين .

ا : دعوة الى الرقى بأحوال المرأة وهذه لم يعارض فيها أحد وانما تلقاها الجميع بترحاب بل ان خطوات تنفيذها كانت موجودة قبل قاسم أمين .

ب : دعوة السفور فقد كان « قاسم أمين » يرى أن السفور وسيلة أو مظهرا لتحرير المرأة وليس هدفا فى ذاته ولذلك لم يطبق السفور على أهل بيته مما أضعف دعواه .. وكان على السيدة هدى شعراوى سنة ١٩٢٣ ان تترجم هذه الدعوة الى عمل ايجابى فقد نبذت الحجاب بشكل علنى وماكادت تفعل حتى انتشر السفور

كيف يتسنى للمرأة ان توفق بين عملها خارج المنزل وعملها فى تربية النشء ؟

الواقع أننا اذا تكلمنا عن مدى النجاح الذى ستحققه المرأة فى ميدان العمل لابد ان نقول انها مازالت المشكلة قائمة بين أن توفق المرأة فى مهمتها فى ميدان العمل وبين مهمتها فى تربية النشء .. أما من وجهة نظرى فاننى أرى الحل اذا وجدت المرأة تعارضا بين المهتمين فان تربية النشء لاتقل أهمية عن مهمتها فى ميدان العمل لأنه خلق النواة الصالحة لتكوين الأمة وبناء المجتمع أما اذا كانت المرأة تؤدى العمل بجانب مهمتها فى التربية فهذا أمر مقبول بشرط ان تشغل جزءا من وقتها وتخصص جانبا منه للعناية بشئون المنزل هذا اذا لم تجد تعارضا بين المجالين .

الفقه الإسلامي

خصائصه ، منزلته

بين القوانين الوضعية

الدكتور محمد يوسف موسى

ـ تمهيد :

نحن ـ معشر المسلمين ـ اليوم فى أمر مريج ، فنحن نعيش فى عصر زاخر بالتيارات الفكرية ، والأحداث السياسية العالمية ، والحركات القومية المختلفة ، والنزعات المتطرفة فى الدين والأخلاق ، والفلسفات التى لا نعرف أوائلها من أواخرها ، ولا أهدافها وغاياتها ، ان كان من الممكن أن يكون لها أهداف وغايات معقولة مقبولة .

وكان من شأن هذا كله أن شغل المسلمون عن تفهم دينهم ، وعن العمل به ، الا من عصم الله سبحانه وتعالى . نعم ! لقد شغلت تلك النزعات والأحداث والفلسفات عن العناية بأصول الدين وعقائده وتشريعاته وأحكامه وأخلاقه وآدابه ، وآدابه النبيلة الانسانية التى غايتها أن يعود العرب والمسلمون ـ كما كانوا ـ أمة واحدة ، وأن لهم جميعا غاية واحدة .

وهذه الغاية هى اسعاد الفرد والمجتمع والعالم كله على السواء .

وما أحوج « العالم الاسلامى » الى العناية بهذا كله ، والى التعالى عما يشغل عن تلك الغاية ، والى العناية الجادة بأمر الاسلام والمسلمين من كل النواحى التى تعود على الجميع بالخير العام المشترك ، وبذلك نصل حقا الى أن نكون هداة للانسانية ، والى أن نكون كما قال العليم الحكيم : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله** » .

ولعل من غير المبالغة أن نقرر أن المسلمين، الذين يؤمنون بالله وسنة رسوله ، يشعرون بأن العالم الاسلامى فى حاجة الى هزة عنيفة تبصره بالهاوية التى يقف على حافتها ، وتجعله يرجع الى دينه الذى رضيه الله له وللناس كافة . وهذا يستدعى حتما تجلية هذا الدين :

عقائده ، تشريعاته ، أخلاقه وآدابه ، نظمه فى الحكم والسياسة ، الى آخر ما جاء به هذا الدين الكامل الذى أتم الله به النعمة علينا ، وختم به رسالاته الى البشرية جميعا ٠

من أجل هذه الغاية النبيلة التى لا غاية وراءها ، رأينا أن نخص هذه المجلة العتيدة التى نرجو لها الثبات والدوام ببحث عن الفقه الاسلامى وخصائصه ، وعن منزلته بين القوانين الوضعية وعن المستقبل الذى نرجوه ونعمل جاهدين له ٠

٢ ــ الفقه والشريعة :

وقبل الحديث عن الفقه الاسلامى وخصائصه ومنزلته ، نرى من الخير أن ننبه على خطأ شائع مشهور ، وهو أن كلمة (**فقه**) تعتبر مرادفة لكلمة (**شريعة**) ٠ وكان من هذا أن نجد من أقسام كليات الحقوق عندنا « قسم الشريعة » ، ويريدون به قسم « الفقه الاسلامى » ، مع أن « الشريعة » أعم كثيرا من « الفقه » وعرفت فى اللغة العربية والاسلام قبل كلمة « فقه » .

ذلك بأنه يراد بالشريعة كل ما شرعه الله لعباده من العقائد، وأحكام العبادات والمعاملات، والآداب والأخلاق . والمخالفة عما شرعه الله أمر خطير بالغ الخطورة ٠ وبهذا تكون الشريعة مرادفة للدين ، وتشمل ما نسميه اليوم بعلم الكلام ، ثم ما يسمى بعلم الفقه ، ثم ما يسمى بعلم الأخلاق ، ويكون « الفقه » قسما من أقسام الشريعة لا الشريعة نفسها ٠ وفى هذا يقول محمد على التهانوى ، وهو باحث كبير عنى بتحقيق مصطلحات العلوم والفنون المختلفة :

« **الشريعة** ما شرع الله تعالى لعباده من الأحكام التى جاء بها نبى من الأنبياء ــ صلى الله عليهم وعلى نبينا وسلم ــ سواء كانت متعلقة بكيفية عمل ، وتسمى فرعية وعملية ، ودون لها علم الفقه ، أو بكيفية الاعتقاد ، وتسمى أصلية واعتقادية ، ودون لها علم الكلام ٠ ويسمى الشرع أيضا بالدين والملة » ٠٠ الى آخر ما جاء فى مادة « **شريعة** » مما فيه التفرقة واضحة بينها وبين الفقه ، وان كان قد ذكر ما يفيد أنها قد يراد بها الفقه فى بعض الأحيان من باب اطلاق العام ويراد به الخاص ٠

ونستطيع أن نقرر بعد هذا أن الفقه هو العلم بأحكام الله تعالى الخاصة بأفعال المكلفين من حل وحرمة ونحو ذلك ، فهو غير علم الكلام وعلم الأخلاق ، وأن الشريعة هى كل ما جاء به الرسول من لدن الله تعالى ٠ وعلى هذا يجمع جميع العلماء والباحثين القدامى ومنهم الجرجانى فى كتابه « التعريفات » ، والكاسانى فى كتابه « بدائع الصنائع » ، والغزالى فى كتابه « المستصفى من علم الأصول » ٠ ومنهم أيضا العلامة ابن خلدون الذى يقول :

« الفقه معرفة أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهية والاباحة . وهى متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة ، فاذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها « فقه » ٠ ويذكر بعد هذا أن هؤلاء الذين يستخرجون هذه الأحكام كانوا يسمون فى فجر الاسلام « القراء » ، تمييزا لهم عن الذين لم يكونوا يقرءون الكتاب الكريم ، اذ كان العرب أمة أمية ٠ « ثم عظمت أمصار الاسلام وذهبت الأمية من العرب بممارسة الكتاب ، وتمكن الاستنباط وكمل الفقه وأصبح صناعة وعلما فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء عن القراء »، وبهذا يتضح أن الفقه ليس مرادفا للشريعة ، بل هو قسم منها ٠

والفقه الاسلامى ككل كائن حى لم ينشأ كاملا مرة واحدة ، بل مر بأدوار عدة كان فى أحدها ناشئا ، وفى الثانى شابا ، وفى الثالث ناضجا كاملا ٠ ثم أدركه فى بعض أدواره ما يدرك الكائنات الحية من ضعف وهرم ٠ وفى كل هذه الأدوار كان عماده كتاب الله وسنة رسوله ، فهما أصلاه الأولان المقدسان ، ثم ــ بعد لحاق الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ كثر اجتهاد الفقهاء المجتهدين ، وكان فى هذا نماء أى نماء لهذا العلم العظيم الذى تتوقف عليه حياة المسلمين فى كل زمان ومكان سواء فى ذلك حياة الفرد نفسه وصلته بخالقه أو صلته بغيره من أفراد أسرته ، أو صلته من أبناء المجتمع الذى يعيش بينهم ويعاملهم ، أو

صلة الأمة كلها بالحاكم الأعلى وأولى الامر فيهم أو صلة الدولة باعتبارها دولة بغيرها من الدول الأخرى ، فهو بهذا كله يشمل كل فروع القوانين الوضعية التى نعرفها ، وفى الأحكام التى جاء بها الغناء كل الغنـاء عن كل تلك القوانين ٠

٣ ـ من خصائص الفقه الاسلامى :

ولهذا الفقه خصائص يتميز بها عن ضروب الفقه العالمية الأخرى ، ولا نرى فى هذا المجال أن نطيل فى بيان هذه الخصائص ، وحسبنا أن نشير الى هذه منها :

(أ) **الموافقة والاستقرار** : لا بد لكل امة مهما تكن درجتها من الحضارة من قانون ينظم أمورها وتنزل على أحكامه ، ويقيد تصرفات كل فرد من أفرادها بما هو خير للمجتمع ٠ وهذا التقييد ـ رغم أنه تقييد ـ فيه ضمان لحرية الجميع ٠ وما أحكم وأوجز كلمة الفيلسوف الفرنسى « بوسويه » اذ يقول : « حيث يملك الكل فعل ما يشاءون ، لا يملك أحد فعل ما يشاء ، وحيث لا سيد ، فالكل سيد ، وحيث الكل سيد ، فالكل عبيد ٠٠ وتلك حـال لا يتصور أن تكون ، وان كانت فهى لا تدوم ، اذ ينتهى الأمر الى أن يكون الحكم للقوة تقضى فى الضعفاء بما تشاء » !

واذا كان لا بد لكل شعب أو أمة من قانون ترجع اليه ، فلابد لهذا القانون أن يكون لحال هذا الشعب أو الأمة ، مناسبا لعاداتهـا وتقاليدها الطيبة ، صالحا لها فى كل جيـل

وهذه الخصيصة نراها واضحة فى الفقه الاسلامى ، فهو موافق كل الموافقة للانسان بما هو انسان ، على اختلاف أجنـاسه وشعوبه وألوانه ، وعلى تعاقب الأجيال ومر الأزمان ٠

ولا عجب فى هذا ، فهو تشريع الحـكيم العليم بالنفوس وما يصلحها ، وبالمجتمعات وما يقوم بأمرها من ناحية ، ومن ناحية أخرى هو تشريع نجد أسسه العامة ، بل كثيرا من تفاصيله جاء وحيا فى كتاب الله الكريم وسنة رسوله الذى لا ينطق عن الهـوى ٠ فهذان الأصلان المقدسان هما مدار الفقه الاسلامى ، وليس لفقيه مهما تكن درجة اجتهاده أن يخرج عن مدارهما ، أو أن يذهب الى شىء فيه مخالفة عن أمرهما ٠

ومن هنا نجد عنصر الموافقـة والاستقرار طابعا مميزا لهذا الفقه العظيم ٠ على حين نجد القوانين الوضعية تتغير فى فترات كثيرة ، بل فى فترات كثيرة ، لأنها من وضع العقل البشرى العاجز ، هذا العقـل الذى لا يدرك اليوم تمام الادراك ما فيه المصـلحة الفرد والمجتمـع والأمة غدا ، فيضطر الى التغيير والتبديل فيما وضع من قوانين ، وتلك آفـة تنال من قدسية القانون الذى ينبغى أن يكون ثابتا غير عرضة للتعديل من يوم لآخر ٠

فالانسـان يتخذ عـادة من القانون قواعد يسير عليها فى حيـاته ، وفى معـاملاته مع الآخرين ، وتظل حياته وأعماله وفقا للقانون ما دام ثابتا ، وبذلك يستريح ويريح ، اذ استقر له المنهج الذى يسير عليه ، فاذا تغير القانون ، وبخاصة اذا كان التغيير سريعـا ومتلاحقا ـ اضطربت حياته وأصبح عرضة للخطأ القانونى فى حياته من حيث لايدرى ، وفى ذلك خطر أيما خطر بالنسبة له ولغيره ٠

وقد أغنانا الله سبحانه وتعالى عن هذا كله بما جاء به من تشريعات تعصمنا من الخطأ فى التصرفات ، سواء فى ذلك العبادات والمعاملات على اختلاف أنواعها ، وتجعلنا دائما نسير على الجادة والطريق المستقيم ٠

(ب) **قبوله للتطور** : وما ينبغى لأحـد أن يظن ـ بما قلناه ـ أن الفقه الاسلامى جامد لا يقبل التطور ما دام عماده أولا كتاب الله وسنة رسوله ، وذلك بأن نصوص القـرآن والسنة متناهيـة فى عـددها ، والحوادث والوقائع التى تجد كل يوم لا تتناهى ، فلا يمكن اذن أن يحكم المتناهى ما لا يتناهى ٠

ولهذا نجد أن من أصول الفقه بعد الكتاب والسنة ، الاجماع والقياس والعرف والمصالح المرسلة ، ولهذا أيضا نجد نشوء أحكام جديدة لم تكن فى زمن ما ، ثم ذهب اليها الفقهاء حين جدت حوادث ووقائع تقتضى وجوب بيان احكام الله فيها ٠

بل ان الفقه الاسلامى بدأ يتطور فى عهد الصحابة أنفسهم بعد وفاة الرسول صلى الله

عليه وسلم . ويعرف المطلع على تاريخ التشريع مثلا كثيرة فى هذه الناحية ، ونكتفى هنا بذكر هذه المثل :

هذا عمر بن الخطاب يشير على أبى بكر الصديق بجمع القرآن وكتابته من صدور الحفاظ والرقاع ونحوها ، فيقول أبو بكر : كيف أفعل شيئا لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنه ما زال به حتى شرح الله له صدره ورأى — مع موافقة الصحابة جميعا له — جمعه وتدوينه .

وكان الفقهاء لا يرون جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن والامامة والخطابة ونحو ذلك من الأعمال الدينية التى ينبغى أن يقوم بها المسلمون لوجه الله. ثم رأى الفقهاء المتأخرون رعاية للمصلحة العامة جواز ذلك .

وبعد هذين المثالين نذكر أن يد المودع يد أمانة فلا يضمن ما ضاع عنده من أمتعة الناس المودعة لديه ، ولكن الزمن اختلف ، ودخل فى الاسلام كثير من الناس ، ومنهم من كانت ضمائرهم رقيقة لاتخشى الله حق خشيته فما كان من سيدنا على بن أبى طالب الا أن حكم بضمان الصناع ونحوهم لما يضيع عندهم من حاجات الناس وقال : لا يصلح الناس الا ذلك ، وجرى على هذا كثير من الصحابة والتابعين .

ونذكر أخيرا هذا المثال ، هو أن البيع لا يكون الا عن تراض على المبيع والثمن معا ، فلا يجوز أن يكره البائع على ما يريد بيعه بغير الثمن الذى يرضاه ، ولهذا عندما طلب من الرسول — صلى الله عليه وسلم — تسعير بعض السلع قال : بل الله يخفض ويرفع .

ولكن بعد أن تغير الزمان وظهر الجشع من كثير من التجار أجاز كثير من الفقهاء التسعير حتى من أيام التابعين .. وهم يرون بحق أن التسعير يحقق مصلحة البائع والمشترى معا ، فالثمن الذى يحدده الامام لسلعة ما يحقق بلا ريب ربحا طيبا للبائع دون ضرر بالمشترى .

(ج) ومن خصائص الفقه الاسلامى ايضا أنه يهدف الى خير الفرد والمجتمع معا لا فرق بين طبقة وأخرى ، بل يهدف الى خير الناس جميعا. فليس فيه ما كان لدى الرومان قانون للرومان أنفسهم وآخر للشعوب الأخرى ، وليس فيه قانون خاص بالنبلاء دون عامة الناس ، كما هو موجود فى الدول الملكية كانجلترا مثلا ، بل ان الناس سواسية أمام هذا القانون ، كما هم سواسية أمام ربهم وخالقهم ، ومن المعروف حادثة المرأة القرشية المخزومية التى سرقت؛ وأمر الرسول بحدها وقال حين شفعوا اليه بشأنها : « وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

ومن ثم نجد أن النزعة التى تسود هذا الفقه هى « النزعة الجماعية » ، هذه النزعة التى تتجلى لنا فيما فرض من عبادات وشرع من أحكام للمعاملات ، ووصى به من أخلاق ، فان كل هذا وذاك يعمل على تهذيب النفس وتيسير سبيل الخير للفرد والجماعة ، كما تتجلى أيضا فى تقييد التشريع الاسلامى لبعض الحقوق حتى لا يساء استعمالها ، وحتى يكون فى استعمالها الخير لصاحبها وغيره ، ولنذكر لذلك بعض المثل :

من حق الزوج أن تطيعه زوجته بالمعروف ، ولكن هذا مقيد بتجنب ضرر الزوجة ضررا غير مشروع ، والا كان لها الحق فى طلب التطليق منه .

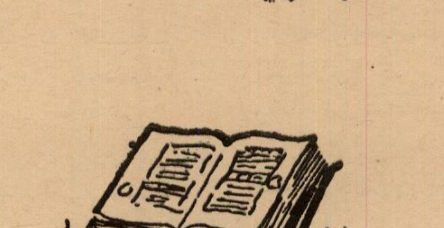

رسالة الجامعة

الدكتور عبد الحليم منتصر

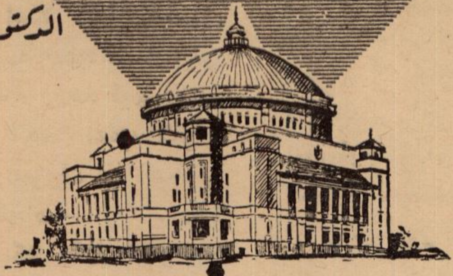

ان مستقبل أية أمة من الأمم ، انما هو متوقف على جهود خريجى جامعاتها وعلى تأدية هذه الجامعات رسالاتها على أكمل وجه، وخريجو جامعة من الجامعات انما هم ثمارها، التى آتت أكلها ، ودانت قطوفها ، انما هم معقد آمال الأمة ، ومناط رجائها وأملها ٠

ولقد كان العلم وما يزال مطلبا لكل نفس راغبة فى النهل من موارده العذاب ، عرفه الانسان منذ اتسعت مداركه ، لينظر حوله ، ويتفقد ما يحوطه من ظواهر الطبيعة ، وعرفته المدنيات القديمة طرا ، تلك التى وصلتنا أنباؤها متناثرة حينا ، ومتكاملة حينا آخر ، عرفه البابليون والآشوريون والمصريون القدماء والاغريق ، كما عرفه العرب ، وكان من قبل قاصرا على رجال الدين يمارسونه ويعكفون عليه فى صوامعهم ٠ ثم ظهرت الجامعات القديمة، ظهرت جامعة «أون» أو عين شمس فى مصر الفرعونية ، ويظن أنها أقدم الجامعات طرا «حوالى ٢٠٠٠ سنة ق٠م» ثم ظهرت أكاديمية العلوم الاغريقية أيام أفلاطون ، وارسطو « ٤٠٠ ق٠م » ثم جامعة الاسكندرية القديمة التى ازدهت بأرشميدس الرياضى ، وجالينوس الطبيب وبطليموس الفلكى « ٢٠٠ق٠م » ثم انتقل العلم الى العرب وعرفت جامعة الأزهر ، فى مصر « منذ أكثر من ألف عام » وجامعة القيروان فى المغرب ٠

وفى العصر الاسلامى كان الخلفاء والأمراء يقربون العلماء ، ويساعدونهم على القيام بواجباتهم نحو العلم ونحو المجتمع ، وكان العلماء بدورهم يعكفون فى جلد عجيب على التأليف والتدوين والنقل والترجمة ، حتى نقلوا العلوم الاغريقية وأضافوا اليها وزادوا عليها كثيرا وبرز عدد منهم يمكن أن يقرن الى جهابذة العلم فى العصر الحديث ، ظهر الفارابى وابن رشد ، وابن سينا ، وابن الهيثم ، والغافقى ، والبغدادى ، والقزوينى وغيرهم ممن يفاخر بهم العرب على مر الدهور والأجيال ٠٠

ثم انتقلت معارف العرب الى أوروبا فى عصر النهضة ، فترجمت مؤلفات ابن سينا وابن الهيثم والبيرونى والفارابى والخوارزمى وجابر والبتانى والرازى وغيرهم الى اللاتينية، وظلت كتبهم العمدة عند أهل الصناعة فى كل علم من العلوم ، وقد عرف أن الامبراطور فردريك الثانى رتب أرزاقا ثابتة لمترجمين متخصصين انقطعوا للترجمة من اللغة العربية الى اللغة اللاتينية ، كما فعل المأمون من قبل حين أغدق الأرزاق على المترجمين لينقلوا العلوم الاغريقية الى اللغة العربية ٠

وأنشئت الجامعات فى الغرب فظهرت جامعة باريس فى أخريات القرن الثانى عشر ، كما ظهرت جامعة اكسفورد ، وجامعة كمبردج فى السنوات الأخيرة من القرن الثانى عشر ، كما ظهرت جامعة تولوز ومونبليه فى القرن الثالث عشر .

ولعل انشاء الجامعات أصلا كان وطيد الصلة بالرياضة الروحية ، وما أشبه ، من انقطاع للعلم وعكوف عليه ، وزهد فيما عداه، من متع الحياة .. وكان العلماء أغلب الأمر ، ممن اشتهروا بالفضيلة والعزوف عن الصغائر فكسبوا احترام العامة والخاصة ، واكتسبوا كذلك عطف الملوك والحكام وأولى الأمر .. وكان الأساتذة والطلاب فى هذه الجامعات تربطهم أوثق العلائق وأقرب الوشائج ، فالأساتذة مراتب كما هى الحال هذه الأيام ، انما يتفاوتون بالسبق فى التحصيل والكفاية، ولا يصل الى مرتبة الأستاذية العالية ، الا من أسهم بنصيب وافر فى الاضافة الى المعرفة ، وكان له رأى مسموع فى المسائل العلمية ، ولعل النظام الجامعى رغم تطوره الكبير فى الحقب الأخيرة ما يزال محتفظا بأهم خصائصه ومميزاته ، انما يحتفظ باحترام العلم والعلماء بل وتقديس العلم والعلماء ، والاحترام المتبادل بين العلماء ، وعطف الكبير على الصغير يرشده ويقوده فى مراتب البحث والانتاج والاضافة الى المعرفة التى هى مطلب مشرف يستهدفه العالم والباحث .

ولا مراء فى أن الجامعات هى أعز ما تفخر به الأوطان ، فهى عنوان العلم والكرامة ، وهى رمز القوة والعزة ، فالوطن بخير ما دام أبناؤه ينهلون من موارد العلم الصافية من جامعات عالية الذرى مؤسسة الدعائم ، تتردد بين جنباتها أصداء الحق ويشع منها نور العلم والعرفان .

وها نحن أولاء فى وطننا العربى ، نلحظ نهضة عارمة بالنسبة لانشاء الجامعات ، فمنذ مطالع هذا القرن العشرين ، وان انشاء الجامعات ليتوالى تباعا .. ففى مصر أنشئت الجامعة المصرية أهلية فى سنة ١٩٠٨ ثم حولت الى حكومية سنة ١٩٢٥ ، ثم أنشئت جامعة الاسكندرية فى سنة ١٩٤٢ ، وجامعة عين شمس فى سنة ١٩٥٠ ، ثم جامعة أسيوط فى سنة ١٩٥٧ ، وفى هذا العام سنة ١٩٦٢ ، أنشئت نواتان لجامعتين جديدتين فى طنطا والمنصورة حيث أنشئت فى كل منها كلية الطب ، وفى سورية أنشئت جامعة دمشق سنة ١٩١٩ ، ثم جامعة حلب سنة ١٩٦٠ ، وفى العراق جامعة بغداد ، وفى ليبيا جامعتها، وكذلك فى المغرب وفى السودان توجد جامعة الخرطوم . وفى لبنان جامعاتها . وفى المملكة العربية السعودية جامعتها كذلك .

ثم جاء دور الكويت الناهضة ، درة الخليج العربى ، لتنشىء فى هذا الجزء الشرقى القصى من الوطن العربى ، جامعة ، تكون منارا للعلم ومركزا للاشعاع ، وانها لبسبيل التكون ، ونرجو أن تستقبل طلابها فى الموعد المحدد لذلك فى السنة الجامعية سنة١٩٦٤–١٩٦٥.

على أن انشاء الجامعات ، ليس من الهنات الهينات ، فيكفى فيه أن تصدر رغبة أو يتخذ قرار ، لينفذ فى أسابيع أو أشهر ، كما ينفذ انشاء فصل فى مدرسة ، فينتدب له مدرس من هنا وآخر من هناك .

ان انشاء جامعة يحتاج الى دراسة بعيدة المدى عميقة الغور، ترسم لها سياسة لمستقبلها القريب والبعيد ، تحدد لها الصادر والوارد ، حتى تستطيع أن تؤدى رسالتها على الوجه الأكمل ، وما رسالتها الا تلبية حاجات المجتمع وتزويده بالمتخصصين فى كل لون من ألوان المعرفة ، ينهضون بأعبائه ، ويدرسون مشروعاته ، وينشرون الوعى العلمى والثقافى، ويستنبطون موارد البلاد ، ويستغلون طاقاتها ويزيدون فى امكانياتها ، ويرفعون من مستوى الحياة بين قاطنيها ، وبالجملة يعملون كل ما من شأنه رفعة الوطن واعلاء شأنه .

تحتاج الجامعة قبل كل شىء الى أساتذة أكفاء ، بلغوا درجة عالية من التخصص ، وشهد لهم بطول الباع ، وعلو الكعب فى المادة التى تخصصوا فيها ، وقد أصبح التخصص الدقيق فى كل فرع من فروع العلم ميزة العصر الحديث ، فكل مادة تدرس فى أية كلية أو

معهد تحتاج الى متخصص بارع له بحوث قيمة فى هذه المادة ، وتحتاج الجامعة بعد ذلك أو مع ذلك الى المال الوفير ، لا للبناء فحسب ، ولكن لشراء الأجهزة والأدوات وتأسيس المعامل والمختبرات والمكتبات التى تليق بجامعة تولد فى الثلث الأخير من القرن العشرين ، وقد درجنا على الاعتماد على الحكومة فى كل شىء ، ويعن لى أن أتساءل عن نصيب الموسرين والشركات وكل من تظلهم سماء الوطن ، وينعمون بخيراته ، ان الأغنياء فى أمريكا وانجلترا يتبرعون بتأسيس معاهد أو كليات علمية ، بكل ما تحتاج اليه مما يتكلف فى بعض الأحيان ملايين الدينارات ، يخرج عنها أحدهم رفعا لشأن وطنه واعلاء لذكره واسهاما منه فى خدمته وابقاء على اسمه فى سجل الخالدين وليس معنى هذا أن هناك تقاعسا من الدولة فى تلبية حاجات الجامعة ، ولكن المعنى يكون أسمى وأكرم حين يسهم المواطنون فى الانشاء والتأسيس .

وتتكون جامعة الكويت كغيرها من الجامعات من عدد من الكليات والمعاهد وستبدأ بكليتى الآداب والعلوم ، لتلبية حاجات المجتمع الكويتى العاجلة من تخريج للمدرسين والكيماويين والجيولوجيين ومن اليهم من متخصصين فى فروع المعرفة ، وستعاقب انشاء الكليات الأخرى من تجارة وهندسة ، وحقوق وطب ، ثم يتبع ذلك انشاء المعاهد من بترول ، وهندسة بحرية ، وعلوم بحار ، ومعهد للصحراء ، وآخر للطاقة الذرية .

وينبغى ألا ننسى العناية بانشاء المدينة الجامعية ، التى تنشر الروح الجامعى الأصيل بين الطلاب ولعلها تكون ألزم من بعض الكليات فى بادىء الأمر .

كما ينبغى أن لا نربط بين عدد الطلاب الدارسين ، وأهمية الدراسة أو البحث ، فقديما قيل ان الجامعة قد تتصور من غير طلاب أو بعدد قليل منهم ، وأن الأسرة الجامعية قل عدد أفرادها أو كثر انما تتعاون فى سبيل البحث وتقصى الحقيقة فى سبيل زيادة المعرفة .

فلنبتهج اذن بانشاء جامعة الكويت ، ولنأمل خيرا كثيرا من انشائها على ضفة الخليج العربى فى أقصى الشرق بالنسبة للوطن العربى .. انها جامعة الوطن العربى فى الكويت للكويتيين وأبناء الخليج وللعرب جميعا ، الراغبين فى النهل من موارد العلم ، نعم لنبتهج بانشاء جامعة الكويت ، على أن ندقق التدقيق كله فى اختيار الأساتذة الأكفاء وأعضاء هيئة التدريس الذين يوجهون البحث العلمى ، ويضطلعون بخلق جيل من العلماء ، يتابع قيادة الحركة العلمية الواعية التى تعمل على احداث نهضة علمية شاملة يعم نفعها الوطن العربى من أقصى شرقيه الى أقصى غربيه .. ويرفع من سمعة العلماء العرب فى العالم المتحضر ، ويدفع أمة العرب الى مواكبة ركب الحضارة ، ويعيد الأمجد العلمية لأمة العرب ، ويضيف الى الانتاج العلمى العالمى ببحوث قيمة مبتكرة ويعمل على انماء الثروة القومية والاقتصادية لتزيد فى رفاهية الوطن وأبنائه .

ومن الطبيعى أن ينقسم خريجو الجامعات الى قسمين رئيسيين :

أحدهما : يتكون من قلة تستمر فى طلب العلم تحصيلا وتعليما وبحثا ، وهم أمل الأمة فى المستقبل وعلى جهودهم واخلاصهم تتوقف السمعة العلمية للبلاد بما ينتجون من بحوث ، وما يبتكرون من اضافات الى المعرفة ، تعلى شأن مبتكرها ، كما تعلى شأن الوطن الذى ينتمى اليه العالم الذى ابتكر وأضاف .

أما الفئة الأخرى : فتتكون من غالبية خريجى الجامعة فهم الذين سينشرون فى فجاج الوطن ، كل يعمل فى اختصاصه ، ان فى التدريس أو الطب أو الهندسة أو الصناعة أو الصيدلة أو الزراعة أو التجارة أو البيطرة الى غير ذلك من مناحى الحياة ونواحى التخصص .

وبذلك تؤدى الجامعة رسالتها ، وتتكامل نهضتها ، وتؤتى النهضة أكلها بما يعمل سدنتها من علماء وباحثين على استنباط الثروات وزيادة الموارد ونشر العلم والعرفان .

وصايا الآباء للأبناء فى العصر الإسلامى

الدكتور حسين نصار

سطع نور الاسلام فى الجزيرة العربية ، فأضاء أرجاءها ، وأبرز مايعيش فيها من عناصر الحياة ومقوماتها وخصائصها ، فجلا الفضائل والمآثر ، وفضح الرذائل والمثالب ، وكشف جميع حقائق الحياة الجاهلية ، وأعطى كلا منها لونه الحق ، وقيمته الجديرة بها ، ثم عطف على الفضائل ، وأزال عن بعضها ماعلق به من شوائب ربما تمسخه ، ورفض كل مامت الى النقائص بسبب ، ثم أتى بحقائق جـديدة ، وهبها المجتمع الجديد الذى دعا اليه ٠

فكان المجتمع الاسلامى ٠ حياة جديدة ، تقوم على مقومات جديدة ، وترنو وتسعى الى مثل جديدة ، ولكنها لم تعدم كل قديم لمجرد قدمه ، بل لازالت على صلات ببعض القديم ، الصالح لأن يرتدى حللا اسلامية ، فيتسق مع اخوته ٠

وكان لذلك صداه فى الوصايا التى وجهها الآباء الى أبنائهم فى صدر الاسلام ٠ وذلك ما نريد أن نتبينه فى هذا المقال ، فنتبين منه صورة الحياة الاسلامية الجديدة ، بل المثل العليا التى نصبها المجتمع الاسلامى أمام أفراده ليسعوا اليها ، ويتحققوا بها ٠

وتتمثل المثل الخالصة الجدة فى الوصـايا الدينية ، التى لم يكن لها مثيـل فى العصر السابق أو لم يصل الينا منه مايماثلها ٠ ونجد هذه الوصايا فى كتاب الدين الجديد : القرآن الكريم ، وعلى ألسنة من أشربت قلوبهم حبه من أتباعه ٠ ورأس هذه الوصايا ٠ بطبيعة الحال - الايمان بالله واحد لا شريك له ، يسلم له جميع الخلق ، ماضيهم وحاضرهم ، أوصى بذلك الأنبياء والحكماء فقال ابراهيم ثم يعقوب لبنيه: **« يابنى ، ان الله اصطفى لكم الدين ، فـلا تموتن الا وأنتم مسلمون » (البقرة ١٣٢) ٠** وصور القرآن يعقوب على فراش الموت ، وهو يقول لبنيه : **« ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق، الها واحدا ، ونحن له مسلمون »** ٠ (البقـرة ١٣٣) ووضع القرآن أمام أنظار المسلمين صورة لقمان ، وهو يوصى ابنه : **« يابنى ، لاتشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم » (لقمان ١٣)**

وكل هذه الوصايا اسلاميـة ، وان عاش قائلوها قبل الاسلام ، لأنها دخلت فى المجتمع العربى مع الاسلام ، ولم يتنبه اليها قبل ذلك ولا حاول التمثل بها ٠

فاذا ما اهتدى المرء الى الايمان التوحيدى ، كان أول واجباته طاعة الله الواحد فى جميع الأوقات وعدم الميل الى معصية ٠ قال قيس بن عاصم المنقرى : **« اياكم ومعصية الله » ٠٠**

ويتصل بالطاعة أداء الشعائر التى فرضها الله قال لقمان : « **يابنى أقم الصلاة** » •

وأوصى لقمان ابنه بنصيحة خلقية واحدة ، هى التواضع ، ولكنه رسم لها عدة صور تبرزها فى صورة محببة أو تنفر من الصور التى تناقضها • فقال : « **ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لايحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك ، واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير** » وأوصاه بنصيحة أخرى، أردفها بما يرغبه فيها فقال : « **واصبر على ماأصابك ، ان ذلك من عزم الأمور** » •

وقدم العباس بن عبد المطلب ثلاث نصائح خلقية لابنه عبد الله ، لما رأى الخليفة اختصه بحبه ، وأبان له أنها نصائح لايستطاع تقويمها قال له : « **يابنى ، انى أرى أمير المؤمنين قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والأنصار فاحفظ عنى ثلاثا : لايجربن عليك كذبا ، ولا تغتب عنده مسلما ، ولا تفشين له سرا • فقال له : يأبه ، كل واحدة منها خير من ألف** » **فقال** « **كل واحدة منها خير من عشرة آلاف** »

ووجه قيس بن عاصم الى بنيه واحدة من هذه النصائح الخلقية ، قال لهم فيها : « **واكظموا الغيظ** » وكظم الغيظ من الصفات التى خلعها القرآن على المقتين ، الذين قال عنهم : « **الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين** » آل عمران ١٣٤ •

ويتبين المرء عند انعام النظر فى هذه الخلال الخلقية التى أوصى بها المسلمون الأولون انها نابعة من الدين ، وأن منها مايتنافى مع الحياة الجاهلية السابقة كالتواضع العام ، ومنها ماكان الجاهليون يأمرون به كتجنب الكذب ، وكتمان الأسرار •

وتنبه المسلمون الى العلاقات التى تربط أفراد المجتمع الواحد بعضهم ببعض ، وأراد بعض الآباء أن ينير السبيل أمام أبنائهم بصدد هذه العلائق • فأوصى قيس بن عاصم بنيه بطاعة رءوس المجتمع ، وأبان لهم الأسباب فقال : « **تمسكوا بطاعة أمرائكم ، فانهم من رفعوا ارتفع ومن وضعوا اتضع** » • وتدل هذه النصيحة على على ثبات صورة الدولة عندهم ، ورسوخ دعائمها

كذلك كشف قيس نفسه لأولاده الشرط الذى يجب أن يلتزموه فى اتخاذ السادة ، وحذرهم مغبة التفريط فيه ، حين قال : « اذا أدفنتمونى فانصرفوا الى رحالكم ، فسودوا أكبركم ، فان القوم اذا سودوا أكبرهم خلفوا أباهم ، واذا سودوا أصغرهم ، أزرى ذلك بهم فى أكفائهم » •

وأوصى قيس بما تشدد القرآن والحديث فى الايصاء به : الرحم ، فطالبوا بالمحافظة على أواصر القرابة ، وعدم جفاء الأقرباء ، قال « **اياكم ومعصية الله ، وقطيعة الرحم** » •

والتفت بعض أصحاب الوصايا الى الأصدقاء والخلطاء ، فحذر قيس من مقاربة غير الكرام ، قال : « **اياكم وكل عرق لئيم أن تلابسوه ، فانه ان يسرركم اليوم يسؤكم غدا** » ونهى عمير بن حبيب عن اتخاذ السفهاء أصدقاء ، **فقال** : « **يابنى ، واياكم ومخالطة السفهاء ، فان مجالستهم داء ، وان من يحلم عن السفيه يسر بحلمه ، ومن يجبه يندم ، ومن لايقر بقليل ما يأتى به السفيه ، يقر بالكثير** »

بل أراد بعضهم أن يصوغ أبناءه على مثاله ، يورثهم مشاعره من حب وبغض ، فطلب اليهم تجنب أبناء أعدائه هو • قال قيس : **واحذروا بنى أعداء آبائكم ، فانهم على منهاج آبائهم** » • ثم قال :

أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا
فلن تبيد وللآباء أبناء

وترك بعضهم فئات المجتمع ، وأشار اليه فى عمومه • وأوضح لأبنائه المسلك الذى يجب أن يتخذوه فى حياتهم بين نظرائهم • فرأى عمير ابن حبيب الصحابى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب اجتماعى على كل مسلم ، فلا بد أن يضطلع به أبناؤه ، ولا بد أن يتحملوا من أجله كل مشقة وأذى قال « **اذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف ، أو ينهى عن المنكر ، فليوطن قبل ذلك على الأذى ، وليوقن بالثواب من الله**

عز وجل ، انه من يوقن بالثواب من الله عز وجل لايجد مس الأذى » ٠

وكما أوصى المسلمون الأولون أبناءهم بالعناية بأمور الدين ، أوصوهم بأمور الدنيا فطلب قيس اليهم استثمار المال ، حتى لايضطروا الى سؤال الناس ، ففى الأول الشرف والستر ، وفى الثانى الحطة والدناءة قال : « **وعليكم بهذا المال فأصلحوه ، فانه منبة للكريم ، وجنة لعرض اللئيم ٠ واياكم والمسألة ، فانها أخر « أحط » كسب الرجل ، وان أحدا لم يسأل الا ترك الكسب » ٠**

وأخيرا طلب قيس بن عاصم الى بنيه أن يقوموا ببعض الأمور المتعلقة بوفاته ، وتختلط فيها القيم والتصورات الجاهلية بالاسلامية اختلاطا عجيبا ٠ قال : « **واياكم والنياحة ، فانى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم ينهى عنها ، وادفنونى فى ثيابى التى كنت أصلى فيها وأصوم ، ولا يعلم بكر بن وائل بمدفنى ، فقد كانت بينى وبينهم مشاحنات فى الجاهلية والاسلام ، وأخاف أن يدخلوا عليكم بى عارا »**

ولما كانت الوصايا يحرص أصحابها على أن يمتثل من توجه اليهم لما فيها من مطالب ، حرصوا أيضا أن يوفروا لها كل الأسباب التى تيسر هذا الامتثال ، فأحاطوها بجونفسى يمهد للامتزاج بين قائل الوصية ومتلقيها ، أو بين متلقى الوصية والوصية نفسها ، كيلا يشعر بأنها أمر خارجى موجه اليه ، ومفروض عليه ٠

فأشار قيس بن عاصم الى أبوته لأبنائهم ، التى تجعله أصلح انسان لهم واستهل العباس ابن عبد المطلب وصيته بتوضيح منزلة ابنه التى أنزله الخليفة ، فيها ، وتفرض عليه أمورا قد يكون واعيا لها وقد يكون غير واع ٠ ولما كانت الخنساء تطلب الى أبنائها الموت ، أو الاستشهاد فى سبيل الله ٠ أطالت فى هذا التمهيد النفسى ، وزودت الأبناء بما يجعلهم يحسون من أنفسهم السمو والارتقاء والكفاية لمواجهة الموت ٠ قالت : « **يابنى ، أنتم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، ووالله الذى لا اله غيره ، انكم لبنو رجل واحد ، كما انكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولاغيرت نسبكم » ٠** ولا تكتفى الخنساء بابانة حريتهم فى دخول الاسلام والهجرة ، وكرم أنسابهم وأحسابهم ، بل تضيف الى ذلك صورة للثواب العظيم الذى أعده الله للشهداء ، وكون القتال فرض أمر به الله فتقول : « **وقد تعلمون ماأعد الله للمسلمين من الثواب العظيم فى حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ٠ يقول الله عز وجل : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ٠**

ولم يقتصر أصحاب الوصايا على هذا التمهيد النفسى المقدم فى صدورها ، بل بثوا منه أشياء فى تضاعيفها ، تحبب الأوامر ، وتنفر من الأمور المنهى عنها ، وتقدم العلل ، وتوضح الصور ، للاستئثار بالنفس ، واقناع العقل ٠

واعتمد بعض الوصايا فى كسب القلوب على الخصائص الأسلوبية التى يميل اليها العربى فاقتبست من القرآن لتحيط وصيتها بالجو الدينى الذى تريد ٠ واستشهد قيس ابن عاصم بالشعر ليؤيد الفكرة الجاهلية التى يدلى بها ٠ ولجئوا جميعا الى توفير التنغيم الموسيقى القائم على الجمل القصيرة ، والسجع والجناس المتناثر ، لتهيئة جو القبول ٠

فاذا كانت الصورة المثلى للرجل الجاهلى أن يكون برا بوالديه وأقاربه ، متواضعا لقومه ، بشوشا مكرما لقومه ، غير مستأثر دونهم معزا لجارة ، معينا للمستعين به ، مكرما لضيفه ، قويا ، غيورا حليما ، كاتما للاسرار ، محسنا للحديث والانصات ، بعيدا عن الطمع والحسد والبغى ، والاتكال على نسبه ، كان الرجل المسلم المثالى مؤمنا بالله الواحد ، مطيعا له ، متواضعا فى كل وقت ، صابر على المصائب ، كتوما ، لايعرف الكذب ولا الغيبة ، كاظما للغيظ ، مطيعا لأولى الأمر ، مسودا للكبار ، برا بالأقارب ، لايخالط السفهاء ولا اللؤماء ، آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ، مستثمرا للمال ٠

صورتان تتلاقيان فى كثير من الخلال الخلقية والاجتماعية ، وتفترقان فى بعضهما ، ثم تتدابران فى القيم الدينية ٠

من آيات الله في الكون

الدكتور حفني شرف

ان الانسان لا غنى له فى هذه الحياة عن التذكير والموعظة الحسنة ، والتدليل على مواطن الخير ، ليزداد المؤمن ايمانا ، ويمتثل الجاحد اذعانا ، ومن أعجب العجائب أن تقوم الأدلة أمام الانسان على وجود الخالق الرحيم ولكنه يجحدها ، وأراه الله الآيات البينات فى الآفاق وفى نفسه من الزيادة والنقص فى أحواله وأهله وجسمه ولا يشكره ، وأوجد الله له من الأمور ما تتم بها منافعه وتنتهى اليها مصالحه ، وأمور الكون منظومة على أتم صفة قبل تكوينه لم يمهدها لنفسه ولا ادعى أبوه من قبل أو أحد من أبناء جنسه تمهيدها ، والطبائع جميعها تشهد أنها لم تصنع ذلك بل وتعترف بالعجز عنه ، ولكن « ومن يضلل الله فما له من هاد ، ومن يهدى الله فما له من مضل » .

وانى سوف أذكر فيما يأتى عبرا ومواعظ وآيات تدل على وجود الله ، وخلقه للكون وما فيه ، وتدمغ من يقول بأن الكون وجد بالطبيعة أو وجد من غير موجد ، وسأتناول أولا آيات الله فى عالم السماء والأرض ، ثم أعقبهما بعالم الانسان والنبات والحيوان .

١ ــ فى السماء :

فكر أيها الانسان كيف بنيت السماء ومهدت الأرض « **والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون، والأرض فرشناها فنعم الماهدون** » ، فكر فى لون السماء وما فيه من صواب التدبير ، فان لونها موافق للأبصار وأعون على تقويتها ومهدىء لأعصابها ، ألا ترى أن من وصف الأطباء لمرضى العيون أن يدمن المريض الاطلاع فى الماء والخضرة ويجعل تلقاء عينيه اناء أخضر فيه ماء ، أو يلبس منظارا يميل لونه الى اللون الأزرق أو القاتم ، كذلك كانت ارادة الله وحسن تدبيره أن يكون لون السماء أزرق يضرب الى السواد ، حتى لا يضر البصر بالنظر فيه ولا بطول مباشرته للأعين :

« **قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** » .

فكر أيها الانسان فى عالم السماء وما فيه من شمس وقمر ونجوم ، ونظام حركة كل من هذه الكواكب فلا اضطراب ولا اصطدام : « **أو لم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج** » .

فكر فى طلوع الشمس وغروبهـا لاقامة دولتى الليل والنهار ،فلولا طلوعها ما تصرف الناس فى أمورهم ولا سعوا الى معـاشهم ، وكيف ذلك والدنيا مظلمة عليهم :

« **هو الذى جعل الشمس ضياء والقمـر نورا وقدره منـازل لتعلموا عـدد السنين والحساب** » .

تأمل المنفعة فى غروبها ، فلولاه ما استراح الناس مع شدة حاجتهم الى راحة أبدانهـم وهدوء حواسهم ، وانبعـاث الفتوة الهاضمة للطعام ، ووصول الغذاء بنظام الى أعضـاء الجسم ، وان حرص الانسان على متاع الدنيا يحمله على متابعة العمل لكثرة المنافع وزيادة الكسب ولا شك أن فى ذلك ضررا جسيما على صحته :

« **قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهـار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون** » .

فان كثيرا من الناس لولا جثوم الليل عليهم بظلمته ما هدأ من العمل رغبة فى الكسب ، كما أن الشمس لو لم تغرب لحميت الأرض بدوام شروقها واتصـال حرارتها ، وربما يحترق كل من عليهـا من حيوان ونبـات ، ولكنها صارت بتدبير اله جلت قدرته وعلا ذكره على ما نرى من النظام تطلع وقتا وتغرب وقتا بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت ليقضوا حوائجهم ثم يغيب عنهم مدة ليقروا ويهدأوا ، وصار النور والظلمة على تضادهما متعـاونين على مصلحة الخلق وقوام العالم .

تدبر أيها الانسان فى ارتفاع الشمس عن الأرض والمنافع التى تعود على ساكنى الأرض من دورانها حول الشمس ، ففى الشتاء تبرد الحرارة فى الشجر والنبات فتولد مواد الثمار .. ويتكثف الهواء فينشأ منه السـحاب ، ويحدث عنه المطر الذى به حياة الأرض والزرع « **الله الذى يرسـل الرياح فتثير سـحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كشفا فترى الودق يخـرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون** » .. وفى الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المـواد المتولدة فى الشتاء ويطلع النبـات وتورق الأشجار وتظهر الأزهار ، وفى الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتنشط الأبدان ويجف وجه الأرض ، وفى الخريف يصفو الهواء والماء وتقل الأمراض ويمتد الليل ليمكن فيه العمل وغير ذلك مما لا يعيـه العقل ولا يدعيـه الحصر .

تأمل شروق الشـمس على العـالم كيف قدر ودبر ، فانها لو بزغت فى موضـع من السماء ووقفت فيه لما وصل شعاعها الى كثير من الجهات ، لأن الجبال والمرتفعات تحجبها ، فصارت بتدبير الله وحكمته تطلع أول النهار من المشرق فتشرق على مايقابلها من جهة المغرب ثم ينشأ من دوران الأرض حول نفسها أن تغشى الشمس وتغشى جهة جهة حتى تنتهى الى المغرب فتشرق على ما استتر عنها أول النهـار ، فلا تبقى جهة ولا موضع الا وأخذ منها بقسط من الحرارة وحظ من الضوء .

كما أن التفكير فى مقادير الليل والنهـار يوقف الانسان على ما فيها من صلاح الخلق ، لأن أحدهما مهما امتد لا يزيد على خمس عشرة ساعة ، فلو جعل النهـار دائما كان فى ذلك بوار العالم وهلاك جميع ما عـلى الأرض من حيوان ونبات ، أما الحيوان فلا يسكن ولا يقر طول هذه المدة عن العمل والاكتساب والبهائم لا تمسك عن الرعى ما دام لها ضوء النهـار وكل هذا فيه انهاك لقوى مخلوقات الأرض . وكذلك الليل لو امتد مقدار هذه المدة لعـاق سكان الأرض عن الحركة والتصرف فى طلب المعاش فيموتون جوعا، وتخمد الحرارة الغريزية من النبات حتى يعفن ويفسـد كالذى نراه يحدث للنبات اذا كان فى موضع لا تقع عليه حرارة الشمس .

تأمل أيهـا الانسان قـدرة الله وفكر فى تدبيره وحكمته لترى دلائل آياته الواضحة البينة ، فقد سبق أن بينا لك حاجة الانسان الى الليل للهدوء والسكينة والراحة والاستقرار ولكن مع الحاجة الى الليل لا يكون الاصـلاح فى دوام الظلمة لحاجة الناس الى العمل ليلا لضيق النهار عليهم أو لشدة الحر فيه فخلق

الله لهم آية أخرى فى السماء لتدل على قدرته ورعايته شأن خلقه فأضاء لهم الليل بالقمر ليعملوا فيه ، فكان ضوء القمر معونة للناس على أعمالهم التى يحتاجون اليها والتى لم يسعفهم النهار بتأديتها وجعل سبحانه بجانب القمر نجوما بعضها يسد مسد القمر اذا غاب والبعض الآخر يظهر فى بعض أيام العام ويغيب فى بعضها الآخر كالثريا والجوزاء والشعرى ، لأنها لو ظهرت جميعها فى وقت واحد لم يكن لكل واحد منها على حاله دلالة يعرفها الناس وينتفعون بها فى بعض أمورهم كمعرفتهم الآن ما يكون مع طلوع الجوزاء اذا طلعت ومع احتجابها اذا احتجبت ، فصار طلوعها واحتجابها فى وقت دون وقت لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدة ، وكما جعلت الثريا وأشباهها تظهر وتحتجب لضرب من المصلحة كذلك جعلت «نبات نعش» ظاهرة لا تغيب لضرب من المصلحة لأنها بمنزلة الأعلام التى يهتدى بها فى الطرق المجهولة فى البر والبحر ، فهى توجد وترى فى كل وقت والناس ينظرون اليها ويصلون الى الانتفاع بها حيث شاءوا وفى أى وقت أرادوا ، فصار وجود النوعين من النجوم مع اختلاف ظهورهما ـ موجها نحو المصلحة ، ولذلك كانت النجوم مختلفة السير متفرقة منها لا تتحول عن مراكزها من الفلك ولاتسير الا سيرا ضعيفا ، وفرقة منها تسير مجتمعة ، وفرقة تسير منطلقة ومتفرقة تنتقل فى البروج وتفترق فى المسير .

حقا ان النجوم من أعظم الكواكب خلقا وترتيبا ونظما ، ولذلك أقسم سبحانه بها فقال :

« فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم » .

فهل هذا يكون بغير صنع صانع وترتيب خالق ؟.. وهل من المعقول أن تكون كما قال الزاعمون : ان النجوم صارت على ما هى عليه باهمال كما زعم أهل التعطيل ؟

ان النجوم لو كانت على حالة واحدة لاختلط نظامها وبطلت فائدتها، وماكان دوران الأفلاك شمسها وقمرها ونجومها على هذا الترتيب الا لمصلحة الخلق واحتياجهم الى الليل والنهار واختلاف الأزمنة ، ولا يخفى على ذى عقل أن هذا التقدير لمقدر حكيم يوصف بصواب الرأى والتدبير ، ولا يمكن أن يوجد هذا من غير صانع يصنعه ولا خالق يخلقه ، وهل يمكن أن نقول هذا فى آلة تدور لتسقى حديقة ذات شجر ونبات أجزاؤها مرتبة بعضها مع بعض متعاونة تعمل لما فيه صلاح الحديقة ، هل يمكن أن يكون ترتيب أجزاء تلك الآلة وتنظيمها من غير منظم ومرتب ؟ لا يمكن أن نقول ذلك ، ولا نستطيع اثباته ، ولو سمع الناس قائلا يقوله لرموا رأيه بالتسفيه وعقله بالتضليل ، واذا كان لايمكن القول بذلك فى آلة حقيرة مصنوعة بحيلة قصيرة من مخلوق ضعيف لمصلحة قطعة يسيرة من الأرض ، أفيجرؤ الانسان أن يقول: ان العالم مخلوق بغير خالق ؟ وموجود من غير ترتيب وتقدير ، ثم كيف الحال لو اختل هذا الفلك كما تختل بعض الآلات المصنوعة لخدمة الانسان .. أكان يمكن لأحد من الناس اصلاح هذا الخلل بأية حيلة من الحيل ؟ هل لو تخلفت الشمس سنة أو غابت عن الأرض شهرا هل يكون مع هذا التخلف وذلك الغياب بقاء للكائنات الحية على وجه الأرض ؟ .. « **ان الانسان لربه لكنود** » .

ان طلوع الشمس وغروبها يترتب عليهما برد وحر ونزول مطر، ولايخفى على كل ذى عقل تعاقب الحر والبرد وفائدة ذلك لجميع الكائنات ، فلولا تعاقبهما لفسدت الأبدان وانتكست قواها وانقضت فى أقصر مدة ، كما يجب على الانسان أن يتدبر دخول أحدهما على الآخر بهذا التدرج فاننا نرى أحدهما ينقص شيئا فشيئا والآخر يزيد شيئا فشيئا حتى ينتهى كل واحد منهما الى نهايته فى الزيادة والنقصان ، ولو دخل أحدهما على الآخر فجأة لأصاب الأجسام والكائنات الحية ضرر جسيم، وخير دليل على ذلك ما يقع فيه بعض الناس عندما يخرج من مكان حار الى مكان بارد فانه يصاب بنزلات فى جهازه التنفسى قد تودى بحياته .

ولولا الحر ما نضجت الثمار ، ولولا البرد لم يفرخ الزرع الذى به يتسع القوت ويعم الخير ، فتأمل أيها الانسان فائدة الحر والبرد وصدق أن ذلك تقدير لطيف خبير .

كما يجب على الانسان أن يتأمل قوله تعالى **« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها »** .

ويتأمل تعاقب المطر والصحو وما يترتب على ذلك من صلاح العالم ، فلو دام أحدهما لفسد الكون .. فالمطر اذا دام نزوله بغزارة فسد النبات وهلك الحيوان وفنى الانسان لفساد الهواء وانتشار الأمراض وانقطاع السبل الى العمل ، واذا دام الصحو جفت الأبدان وغيض الماء وأحدث أضرارا كثيرة ولكن اذا تعاقبا وتعادلا دفع أحدهما أذى الآخر واعتدل الزمان وصلح الهواء واستقام أمر العالم .

٢ ـ فى الأرض :

تدبر أيها الانسان جميع آيات القرآن التى ورد فيها لفظ السماء تجد فيها أو فى أغلبها ذكر الأرض عقب ذكر السماء لما فى ذلك من ربط العوالم بعضها ببعض :

« الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما » .

والتدليل على وجوب الاعتقاد والتصديق بوجود اله مقدر مدبر خالق لهذا الكون بما فيه ومن فيه .

فكر أيها الانسان فى خلق هذه الأرض بطولها وعرضها وما جعلت عليه من الشكل يوم خلقها راسية لتكون مهادا وطيدا ومكانا مستويا حتى يستطيع الناس والأنعام المشى عليها والسعى الى أرزاقهم وقضاء مآربهم ، ولو خلقها غيرممهدة لما استطاع الانسان الحياة على ظهرها ، ولنا فى الزلازل التى تحدث فى بعض الأماكن وما تحدثه من تخريب وهلاك ودمار ـ لنا فيها عبرة مع أنها لا تمكث طويلا ، وما جعلت الزلزلة مع استقرار الأرض الا تذكرة وموعظة لأولى الألباب وتخويفا وترهيبا من بأس الله ليسرع من جعلت على بصره غشاوة الى الطاعة ومعرفة من بيده الأمر ، ويجب أن تعرف أن من خصائص الأرض البرودة واليبس ، الا أن يبسها من غير افراط حتى لا تكون صلبة لا تنبت شيئا مما به يحيا الكائن الحى .

ويجب أن يتدبر الانسان الأسباب التى من أجلها وجدت الجبال فى الأرض ، لأن من الناس من يظن أنها فضلة لا فائدة لها ولا حاجة اليها ، ولكن منافعها أكثر من أن تحصى : **« وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم »** .. فهى الأوتاد لتثبيت الأرض **«والجبال أوتادا»** كما أن فيها المعادن المختلفة وتنبت عليها بعض النباتات التى لا تظهر فى السهول وتتخذ منها الحصون والقلاع للتحرز من الأعداء ، وتنحت منها الحجارة للبناء ، كما أن من أهم خصائص الجبال سقوط الثلج عليها ثم ذوبانه شيئا فشيئا فتجرى منه الأنهار وتمتلىء بمائه الأودية والعيون ، فلولاها لسقط الثلج على الأرض وانحل دفعة واحدة وعدمت الفائدة منه وقت الحاجة اليه ، وكان فى انحلاله على الأرض دفعة واحدة هلاك للحرث والنسل وغير ذلك من فوائد الجبال ما لا يعرفه الا الحكيم القدير الذى ابتدع خلقها وقدر المنافع فيها « فمن أجل ذلك جعلت الأرض سهولا وجبالا وحجارة ورمالا لينتفع بكل ذلك وقد أوثرت الأرض عند الله أكثر من غيرها من العوالم لوجود الانسان عليها :

« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون » .

وهذا استفهام تصويرى لا اعتراضى ..

وبعد كل هذا يتقول المتقولون بأن الدنيا خلقت هكذا من غير خالق أو أن الطبيعة أوجدتها ، ولكن أيها الانسان اعلم أنه لا حيلة للمنظر السليم الا التسليم وخير دليل على ذلك قوله تعالى: « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » ، « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » .

الجهاد في سبيل الله

الدكتور عبد العظيم شرف الدين

الجهاد لاعلاء كلمة الله ، وتثبيت المبادىء القويمة التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام غاية نبيلة وغرض شريف ، ولايستطيع تحمل هذا العبء والنهوض به الا من راض نفسه على طاعة الله ، وطرح الدنيا وراءظهره وأعد نفسه أعدادا كافيا حتى صار جنديا من جنود الاسلام المخلصين . ثم تقدم لحمل هذه الأمانة بعزيمة صادقة ونفس راضية مطمئنة ، وهانت الدنيا كلها فى نظره من أجل الغاية الكبرى التى ينشدها ، الا وهى دحض كلمة الكفر وحزبه ، ونصر كلمة الحق وأهله ، فكان موضع عناية الله وتوفيقه ، وعد من كتيبة الاسلام المجاهدة فى سبيله ، فكان الله معه ، ومن كان الله معه كان منصورا على اعدائه : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين » .

ولما كان الجهاد فى سبيل الله يقتضى تضحيات شتى كان ثوابه عظيما ، فالمجاهد فى سبيل الله يهجر الديار والأوطان ، ويفارق الأهل والأصدقاء والأبناء والاحفاد ، فهو يترك أبناءه لله يرعاهم ويتولى شئونهم ، ويضحى بماله وروحه من أجل كلمة الحق ، يمضى فى طريقه قدما لايلوى على شىء ، ويبيع دارا فانية بأخرى باقية : **« ماعندكم ينفد ، وما عند الله باق ، ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون »**

قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « مثل المجاهد فى سبيل الله – والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله – كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد فى سبيله أن يدخله الجنة ، أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة »

فقد شبه المجاهد فى سبيل الله بانسان متبتل قد انقطع للعبادة ، فهو يصوم نهاره ، ويقوم ليله ، مقبلا على ربه ليلا ونهارا ، يسبح الله فى كل وقت ، لايعتريه ملل ، ولايصيبه فتور ، ومن كان هذا شأنه كان جزاؤه دائما وثوابه من جنس عمله ، وكذلك المجاهد فى سبيل الله ، ثوابه دائم ، وأجره عظيم ، فهو مثاب على كل ما يصيبه كما وضح القرآن الكريم هذا بقوله فى شأن المجاهدين : **« ماكان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ، ولايرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولانصب ولا مخمصة فى سبيل الله ، ولايطئون موطئا يغيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ، ان الله لايضيع أجر المحسنين ، ولاينفقون نفقة صغيرة ولاكبيرة ، ولايقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ماكانوا يعملون »**

فلا ينبغى لمسلم أن ينأى بنفسه عن الجهاد ويتخلف عن قتال المشركين أعداء الدعوة ، فما يصيب المجاهدين فى المعركة من ظمأ أو تعب أو جوع ، ومايصدر عنهم فى ساحة القتال مما تقتضيه الفنون الحربية من ضربة يسددونها الى الكفار ، أو انفاق مال ، وان قل ، أو الأنتقال من مكان الى آخر تأهبا لضربة قاضية أو هجوم مفاجىء ، وتوقيا اضربات الأعداء ، كل هذا قد كتب لهم ، وسيجزيهم الله أحسن الجزاء على حسن صنيعهم .

وعلى المجاهد الا يخرج للغنيمة أو للشهرة أو ليرى مكانه ، بل يخرج للجهاد فى سبيل الله فحسب ، حتى يكون أهلا لوعد الله

الذى جاء فى الحديث السابق : فقد قطع الله على نفسه عهدا – والله غير مخلف وعده – أن يدخل المجاهد الجنة ان استشهد فى سبيله ، فاذا لم يكتب للمجاهد فى سبيل الله الظفر بالشهادة فى ساحة الوغى وعاد سالما الى وطنه كتب له الأجر العظيم ان لم يغنم ، أو الغنيمة مع الأجر ان غنم ٠

والحديث بهذا يضع أمام المجاهدين صورة واضحة المعالم عن مصيرهم ، ويبصرهم بالعاقبة التى تنتظرهم ، فهم اما أن يقتلوا فيستشهدوا فى سبيل الله ، وحسب الشهداء أنهم : « **أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله** »

واما أن ينتصروا ويعودوا سالمين ، وهم حينئذ بين أن يحصلوا على غنيمة أولا يحصلوا على شىء ، وهم فى كلتا الحالين لهم أجر ماصنعوا ٠

والحديث بهذا يلهب النفوس، نفوس المؤمنين الصادقين ، يدعوهم الى الجهاد فى سبيل الله، وهو بهذا يلتقى مع كثير من الأحاديث التى تدعو الى الجهاد فى سبيل الله كما يتفق مع كثير من آى القرآن الكريم التى تهيب بالمؤمنين أن يلبوا نداء الجهاد فى سبيل الله ومنها قوله تعالى : « **فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أويغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ، ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ، الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا** »

هذه صورة حية صادقة ، تبين من أول وهله أن المجاهدين فى سبيل الله قد باعوا الدنيا بالآخرة ، وفى هذا تربية المؤمنين على هجر الدنيا والاقبال على الجهاد فى سبيل الله لاقرار المبادىء القويمة التى جاء بها الرسل حتى تبلغ الانسانية ماأراد الله لها من الكمال٠

وليس هذا فحسب ، بل قد عرضت الآية صورة حية تحفز الهمهم الى الجهاد ، تلك هى صورة المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، هؤلاء الذين ضاقوا ذرعا بالظلم والطغيان ، فتوجهوا الى الله يرفعون أكف الضراعة اليه كى يخرجهم من قرية ظلم أهلها وبغوا ، وعتوا عتوا كبيرا ، وحالوا بينهم وبين عبادة ربهم ، والقيام بما يفرضه عليهم دينهم ومايطلبه منهم ربهم ، والنفس الانسانية تسرع بطبيعتها الى أغاثة الملهوف ونصر الضعيف والمظلوم ٠

وأخيرا تعرض الآيات موازنة سريعة قوية بين جبهتين :

فهناك فى جانب من المعركة وقفت كتيبة المؤمنين تذود عن الحق وأهله ، وتقاتل من أجل الحق والعدل لتقر دعائم هذا الدين الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام

وهناك فى جانب آخر من المعركة وقفت كتيبة الباطل القاتل من أجل غرض دنىء تتلقى أوامرها من الشيطان ، وشتان بين قوتين ٠

قوة تستمد أوامرها وتوجيهاتها من السماء وأخرى تستمد أوامرها من الشيطان وقد كتب الله لأوليائه النصر ، ولأعدائه الخذلان والهوان « **كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز** »

وقد استجاب المسلمون الأولون لنداء الجهاد ، فكانوا يندمون أشد الندم اذا فاتتهم معركة من المعارك ، ولم ينالوا شرف الجهاد ضد الكفر وأهله ، ويعتذرون عما فاتهم ، ويعقدون العزم على أن يكفروا عما مضى بأن ينالوا من الكفار فى مستقبل الأيام دفاعا عن الدين ٠

قال أنس بن مالك : غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر ، فقال : يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن الله

أشهدني قتال المشركين ليرين الله ماأصنع فلما كان يوم أحد ، وانكشف المسلمون قال : **اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء - يعنى أصحابه - وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء - يعنى المشركين - ثم تقدم ، فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال : ياسعد بن معاذ ، الجنة ورب النضر انى أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يارسول الله ماصنع ، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ، وقد مثل به فما عرفه أحد الا أخته ببنانه ، قال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه : ((من المؤمنين رجال ، صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا))**

هذا موقف خالد من مواقف البطولة ،وفى قصة الكفاح الاسلامى مواقف خالدة من سير أبطالنا المسلمين ، هذا أنس بن النضر يفوته شرف الاشتراك فى أولى المعارك التى دارت رحاها بين قوى الحق والباطل ، فيندم أشد الندم ، ويقطع على نفسه عهدا أن يكفر عمامضى وأن يبلى فى ساحة الجهاد بلاء حسنا ، ثم يبر بوعده ويكتب له أن يحضر غزوة أحد ، ويشاهد هزيمة المسلمين ، وأعمال سيوف الأعداء فيهم ، فيتقدم مسرعا لايلوى على شىء مقدما العذر عما بدر من المسلمين حتى أصابتهم الهزيمة ، ومتبرئا مما حدث من المشركين من اعمال السيوف فى رقاب المسلمين .

وبينما هو منهمك فى المعركة يدور حديث خاطف بينه وبين سعد بن معاذ يعطينا صورة صادقة عما كان يجيش بخاطره فى هذا الموقف التاريخى المشهود ، هاهوذا متحفز متوثب يرى الجنة فى الاستشهاد فى هذه المعركة . ان بطلا تستولى عليه هذه الفكرة لن يتوانى ، ولن يعطى للأعداء فرصة ، ولن يدع فرصة سانحة للنيل من الأعداء لتفلت منه ، سيعمل سيفه فيهم غير هياب ولاوجل ، لايخشى الموت ولايرهب الردى ، وكيف يخاف الموت انسان باع نفسه فى سبيل الله ؟ وكيف يرهب الردى بطل آلمه أن تفلت منه غزوة بدر ، وقطع على نفسه عهدا أن يعمل فى الأعداء سيفه ، فيرى الله مايصنعه بهم .

وقد بر البطل بوعده ، حتى ان سعد بن معاذ لم يستطع اللحاق به ، وعجز عن مجاراته فى الجهاد ، وظل البطل يكافح حتى استشهد فى سبيل الله ، بعد أن أبلى فى المعركة بلاء حسنا ، وشوهد بعد المعركة جريحا مضرجا فى دمائه ، وقد مثل به أعداء الانسانية وتركوا فيه بضعا وثمانين ضربة بالسيف ، وحسبه شهادة القرآن له ولامثاله : ((**من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه**))

ومن الانصاف أن نقرر هنا مطمئنين ان الحرب فى الاسلام ليست قاعدة أساسية ، وانما هى ضرورة تقدر بقدرها ، ويدل على هذا قوله تعالى : ((**وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**)) .

فلا معنى لهذه الصيحات التى يرددها المشككون من أعداء الاسلام من ان محمدا كان متعطشا للدماء ، وأنه تحول بعد الهجرة من شخص مسالم الى محارب لأنه كان فى مكة فى قلة من الأعوان فلما قويت شوكته بعد الهجرة سفك الدماء وأثار الحرب تلو الحرب .وحسبنا أن نقول ردا على هؤلاء ان الاسلام شرع القتال دفاعا عن النفس والمال وانقاذا لهؤلاء المستضعفين الذين كانوا فى مكة يجأرون بالشكوى : « ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها »

ولو أنصف هؤلاء لاعترفوا بأن موقف المجاهدين من المسلمين الذين هبوا لنجدة يعد صفحة فخار ، فهل كان يراد من الاسلام بعد هذا كله أن يغفل حق الدفاع الشرعى عن النفس ، وواجب الذود عن المستضعف والمظلوم ؟

وصدق الله العظيم اذ يقول : ((أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله))

درس تعلمناه من رمضان

زكاة الأبدان

الدكتور عفيفي محمود

بالأمس القريب ودعنا رمضان الحبيب ، بعد أن خالطنا مخالطة الروح للجسد ، وترك آثاره المميزة فى نفوسنا وأبداننا ، حتى أصبح للصائمين المؤمنين عبير خاص يميزهم عن سائر الناس كما تتميز الزهور الفواحة عن سائر الأعشاب ٠

وقد تعلمنا من صيام رمضان دروسا هامة، طالما قرأناها ونقرؤها كل عام فى كتاب الصوم ، حتى حفظها أكثر الناس عن ظهر قلب ٠٠ وما أروع أن يمتد أثر هذه الدروس بعد انقضاء شهر الصوم ، وأن نعيها جيدا ونحرص على تطبيقها فى سائر شهور العام ٠٠

تعلمنا أن حاجات البدن من طعام وشراب ورياضة وترفيه ليست أهم الحاجات ولا أحقها بالتلبية ، فهناك العبادات وهى غذاء الروح ، وتلاوة القرآن وهى شراب الروح ، والصبر والتأمل وهما رياضة الروح ، والتراحم والتعاطف وهما رفاهية الروح ٠٠

وتعلمنا أن لحظات الهدوء والتأمل هى التى تبارك ساعات العمل والجهد ، وهى علامات الطريق التى تجعلنا نعرف أين نحن وأين كنا وأين ينبغى أن نكون ٠٠ فالعمل الذى لايسبقه التخطيط والتفكير ولا يصحبه التأمل والتدبر ولايعقبه الاستنتاج والتطبيق ٠٠ لايعطينا نصف الثمرة التى كنا نأمل أن نجنيها من ورائه بالكد والمثابرة وحدهما ٠٠

وتعلمنا أن الغضب السريع لايمكن أن يكون حلا موفقا لما يصادفنا من مكروه ، وأن اللين والرفق جناحان يطيران بنا فوق مستوى الخصومة ، فنبلغ بهما مما نطالب به أنفسنا وغيرنا أكثر مما نبلغ بالعنف واللجاجة والملاحاة ٠

وتعلمنا ان نسيان مالا نحب ومالا نستطيع أو تناسيه الى حين ، يريحنا من عنائه الى أن نتدبر له حلا أو علاجا فى هدوء ٠٠ حتى نحبه ونقدر عليه أو نستبدل به شيئا آخر نحبه ونقدر عليه ٠٠

***

والى جانب هذه الدروس النفسية والخلقية والسلوكية التى تعلمناها من صوم رمضان ، نتعلم درسا علميا واجتماعيا قيما ٠٠ فالصيام يشرح لنا قاعدة من أهم قواعد الاشتراكية التى لايقوم بناء أى مجتمع سعيد الا عليها ٠٠ هذه القاعدة هى المشاركة الوجدانية ٠٠ التى بدونها لايمكن أن تنهض الاشتراكية كمبدأ اجتماعى ٠٠ ولا يمكن أن تحتل من احساسنا وايماننا مكانا مرموقا ٠٠ فبدون المشاركة الوجدانية تتحول الاشتراكية الى درس محفوظ لايتعدى طرف اللسان ، وتصبح شعارا يتردد دون أن يكون له عمق فى قلوبنا أو ينعكس صداه على سلوكنا ٠٠ ولكننا بصوم الشهر الكريم نكون قد مارسنا الحرمان ممارسة فعلية ، وشارك أغنياؤنا فقراءنا شعورهم بالحرمان عن طيب خاطر ٠٠ وأحسوا ولمسوا وفهموا كيف يمكن أن يكون موقف الانسان المحروم عندما لايجد مايسكت به صراخ الجوع والعطش الذى يدوى فى أعماقه ٠٠ كيف يكون موقفه من نفسه عندما تصرفه هذه المكابدة الاجبارية عن أن يتفرغ بحواسه وتفكيره الى العمل الذى من أجله خلق ومن أجله يستحق أن يعيش ٠٠ فيحيله هذا الاحساس الكريه الى

عضو عاطل فى جسم المجتمع ٠٠ وكيف يكون موقفه من الناس والمجتمع من حوله عندمايمتد به هذا الشعور الى دائرة الحقد والكراهية ٠٠ وينعكس كل ذلك الصراع الداخلى على سلوكه فيصبح أداة هدم وتخريب لا أداة بناء وتعمير ، ويكون كالعضو الفاسد فى الجسم السليم يعانى منه ومن بلواه كل أعضاء الجسم ٠

بهذه المشاركة الوجدانية التى مارسناها أثناء صيامنا ، تكون نفوسنا قد تهيأت لتطبيق الاشتراكية عمليا فى صورة زكاة الفطر عن عقيدة واقتناع ، لارئاء الناس ولا مباهاة وتظاهرا ٠٠ فيعطى المعطى منا وهو مؤمن ، ويجود الكريم منا وهو مؤمن ، ويرحم الراحم منا وهو مؤمن ، ويعطف القادر على العاجز وهو مؤمن ٠

وكما نمارس الاشتراكية الاجتماعية كأفراد بأدائنا لزكاة الفطر ، كذلك تمارس أعضاؤنا ـ وان لم نشعر ـ نوعا من الاشتراكية «الفسيولوجية» باعتبارها أفرادا فى « مجتمع البدن » !

وكذلك فاننا باسرافنا فى الطعام والشراب وسائر الاحتياجات البدنية طوال العام ، تعرض « **الثروة الغذائية** » فى أبداننا ، لسوء التوزيع وسوء الانفاق على سائر مرافق الجسم ٠٠ ونسمح بأن يقوم داخل أبداننا « **مجتمع اقطاعى** » ظالم ٠٠ يتراكم فيه الشحم على الكبد والقلب والكلى فوق ماتحتاج ، فيجلب لها الخمول والوهن ويعوقها عن القيام بمناشطها الحيوية الهامة بالنسبة لها ولسائر الأعضاء ، فلا القلب يدفع الدم بالمعدل الذى يسمح بتلبية احتياجات الأطراف والمخ فى حالات نشاطهما تلبية عاجلة ، ولا الكبد يحسن القيام « **بالأعمال المصرفية** » بالنسبة للسكر الزائد عن حاجة الجسم ، والذى يتم « تخزينه » فيها لكى تصرف منه بقدر فى الأيام العجاف ٠٠ ولا الكلى تحسن تنقية الدم وتخليصه من الفضلات الضارة أولا بأول ٠٠ وبذلك تسود الفوضى سائر مرافق الجسم وتعانى كل الأعضاء مغبة هذا الخلل فى الأعضاء الرئيسية المتخمة الكسلى ٠٠

وفى الوقت الذى تكتنز فيه هذه الأعضاء بما لاحاجة لها به من الشحم ، تحرم أعضاء أخرى مما هو الزم لها من الشحم ، تحرم من أوليات الحياة مثل السكر والاوكسجين والأملاح والفيتامينات وكل ماتحمله لها شعيرات الدم بانتظام اذا ماكان القلب سليما وكانت الكبد صحيحة ٠٠ وبدلا من أن تحصل هذه الأعضاء على زادها الضرورى ، فانها ترزح تحت أعباء المخلفات الضارة السامة التى تتراكم فيها يوما بعد يوم نتيجة لخمول الكلى التى تتدفأ تحت دثار من الدهن الكثيف !٠٠

وهكذا تعانى هذه الأعضاء الكادحة من الفقر والمرض ، فى الوقت الذى تعانى فيه أعضاء الاقطاع من الغنى والكسل ٠٠ وتسوء العاقبة على هذه وتلك سواء بسواء ٠٠

هذا مثل لما يحدثه سوء توزيع الثروة الغذائية فى الجسم : فقر وعلة فى جانب ، وتخمة وتعطل فى جانب آخر ٠٠ فيصبح الجسم كله صورة مصغرة للمجتمع الاقطاعى البغيض الذى لابد من اعادة بنائه على أسس اشتراكية تضمن له الرفاهية والسعادة ٠٠

ويأتى الصوم فيقوم بما يقوم به المصلح الاجتماعى فى أى مجتمع فاسد : « يحدد ملكية رؤوس الاقطاع ، ويوزع مازاد عن حاجتها على الاعضاء المعدمة ، « ويؤمم » بنوك الشحم و « يشغل » رؤوس أموالها الضخمة فى خدمة القطاع العام ، ويعيد تنظيم الثروة الغذائية على جميع مرافق الجسم ، ويقيم بينها نوعا من التوازن الطبيعى يكفل لكل عضو صغر أو كبر أن يحصل على حقوقه ويؤدى واجباته فى رضى ويسر واطمئنان ٠٠

فبالصوم يتحول الجسم من مجتمع اقطاعى فاسد الى مجتمع اشتراكى صالح ترفرف عليه الوية السلام ٠٠ وما الجسم الا صورة مصغرة للمجتمع ، وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذ يقول :

« **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد : اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى** » ٠

مطالعات من منهاج شرعنا القويم

الشيخ عبد العزيز الرفاعي

أيها الشاب - لعلك تبصرت فى نفسك ، وعرفت مكانك فى الوجود ، ولمست بنفسك أنك أحد افراد الأسرة البشرية .. لك مقومات وغرائز جنسية ولك فى قلب الحياة العمرانية مفاهيم الانسان الذى انطوت فيه معانى الود والحب ، وتفاعل فيه الانس ، فهو أنس بطبعه ومنه اشتق اسم الانسان

وليس كما قال الشاعر - سميت انسانا لكونك ناسيا - وربما استفاد فهمه هذا معنى **(ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما)** ظنا منه انه مشتق من النسيان ، وهو دأب الانسان كما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - **(انما أنا بشر .. أنسى كما ينسى البشر فاذا نسيت فذكرونى)** والأنس ألزم غرائز الانسان منذ نشأته الأولى ، ولهذا شرع الله فى منهاج الاسلام الصلاة جماعة فى كل يوم ، والجمعة فى كل سبعة أيام ، وفى العيدين فى كل عام ، وفى الوقوف بعرفة والحج فى العمر مرة للمحافظة على دوام هذا الأنس ولما خلق الله ادم كان موحشا .. لا يقدر أن يستقل بخلافته ، وفى مقدرات الاله أن يكون من يؤنسه ويسكن اليه ليكملا أصل الوجود وانتشار الذرية ، فخلق حواء فأنس بها ، وسكن اليها ، وعلق كل منهما بالآخر ، وتذللا لسنة الوجود، وخضعا للتطور الخلقى **(يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا) وقال (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها) وقال (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ومن بينهما تكون الابناء وأبناء الابناء (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات)** فالزواج منهاج من شرعنا القويم وسلوك بالانسان الى السبيل المستقيم .. ومصاهرة بين العشائر والقبائل وتناسل وتآلف وتعاون وتعارف ، وميل الى رقتها ودعتها ورفاهيتها تقاسمه حلو الحياة ومرها، وتساهمه شقاءها وسعادتها يقيمان المنزل السعيد الأهل ، والمنازل السعيدة هى التى تعج بالأهل والأولاد وتستمتع بالذرية .. ينظران الى الحياة نظرة فرح وتفاؤل لا نظرة اكتئاب وحزن وتشاؤم ، ينشدان الأمل الممدوح لا الأمل المذموم فتفتح لهم الحياة عيونها القريرة، وتكتنفهم الغبطة والبهجة

الغربيون يعيشون فى هذه المعانى فى بلادهم ونحن نعيش فى بلادنا فى تشاؤم وعبوس وحزن بدعوى الزهد والتقشف والتورع والتصوف والجلوس على المقاهى وفى النوادى

الساعات الطويلة من غير عمل يجدى فى الدين والدنيا والآخرة ، وبهذا يقف دولاب العمل ويكون الخمول والكسل والجمود والتعطل ، الذى يأباه على شبابنا الاسلام (**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**) وقال تعالى (**هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور**) وقال (**فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** - وهذه آية بانية للتعاون والتعارف يقول الله تعالى (**يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير**) لهذا كله كان النكاح فرض عين لمن خاف على نفسه من فاحشة الزنا - وفرض كفاية لمحتاج اليه واجد أهبته وقدرته ، ومكروه لفاقد الحاجة والأهبة أو أحدهما وبه علة كهرم أو عنة أو مرض دائم ، لا يستطيع معه أداء حق الزوجة ومباح لواجد أهبة غير محتاج ولا علة به كهرم أو عنة أو مرض دائم ، حرام بالزيادة على أربع

وعنيت الشريعة الاسلامية بالزواج متخطية الحواجز الضارة ، متمشية مع روح العدل ومنع الجور والظلم فى الحقوق ، فحققت الخير العميم عن المصلح الأكبر والمربى الأفخم .. الذى يرجع فى تهذيبه الى ما يمده به الوحى والتنزيل السماوى ، وانها لأعدل الشرائع المناسبة للانسان فى تطوره فى كل زمان

لم تكن متجنية على البشرية ولا هى بالمسرفة فى ارضاء الشهوة ومسايرة ميولها الغرامية الفاتنة ولا هى بالمفرطة فى السعة زيادة عن الأربع ولا هى بالمضيقة المقتصرة على واحدة ومخادنة اكثر عدد من نساء ساقطات ولا من قانونها الرهبانية (**لارهبانية فى الاسلام**)

كان فى شريعة موسى عليه السلام اباحة التعدد بدون عدد لقلة الرجال وكثرة النساء الذى نشأ عن ذبح الابناء واستحياء النساء ، فاستحكم الضيق الاجتماعى واحتل التوازن اختلالا بينا ، وجرت على الأسرة عوامل الفقر فتلتها شريعة عيسى عليه السلام فقصرته على واحدة ، ونشأ عنه انتشار العهر والفاحشة حتى جاءت الشريعة المحمدية متوسطة معتدلة على سياسة ثابتة ، تحمى الفضيلة وتبيد الرذيلة ، فأباحت التعدد الى أربع بشروط وقيود من شأنها تكفل سعادة الاسرة والنماء للامة ، وتعدد الزوجات عند الرجل للضرورة القصوى خير من تعدد الأزواج عند المرأة ، مع أن أحد الأمراء بالمانيا كان متزوجا بامرأة ذات أولاد فأحب امرأة حسناء وماذا يفعل) فأباح له « لوثر المسيحى » التعدد والابقاء على امرأته وأولاده ومن يحبها ، ولما وقفت الكنيسة حجر عثرة فى زواج ولى عهد النمسا انتحر قبل الحرب العالمية الثانية .

ما يستفاد من التعدد

قال الله تعالى « **وان خفتم أن لاتقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع** » لابطال ماكانوا عليه من الجمع بين عشر نساء وثمان وست ، فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن الرجل فقيل لهم : ان خفتم ترك العدل فى حقوق اليتامى فخافوا ترك العدل بين النساء وقللوا عدد المنكوحات وكانوا لا يتحرجون عن الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل لهم ان خفتم الجور فى حقهن فخافوا الزنا ، وكان والى اليتيمة يطمع فى مالها وجمالها يفضلها على غيرها فأمره الله بنكاح غير اليتيمة الى أربع وقال تعالى « **فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم** » **أى فزوجة واحدة ان لم تقدروا على العدل أو ما ملكت ايمانكم بدون حصر** - « **ذلك أدنى أن لا تعولوا** » أى لا تجوروا أو تفتقروا كما بينه - صلى الله عليه وسلم - والزواج بمهر ، حيث قال الله تعالى « **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة - مهورهن عطية - فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا** » وقال تعالى « **فما استمتعتم به منهن - المنكوحات بعقد أو خلوة صحيحة - فآتوهن أجورهن فريضة - لأن المهر ثواب على البضع - ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما** » أى لا حرج فى زيادة المفروض أو نقصه ، هو يبيح الأمة عند العجز

عن مهر الحرة فقال تعالى ((**ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض**)) وهذه هى السنة المأخوذة عن أسوتنا الحسنة وقدوتنا الصالحة لما قال اليهود لو كان محمد نبيا لشغلته النبوة عن الزواج وقال الله تعالى ((**ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية**)) كان لداود مائة زوجة وثلاثمائة سرية ولسليمان ثلاثمائة زوجة واربعمائة سرية ولسيدنا محمد تسع عليه وعليهما أفضل الصلاة والتسليم وقال - صلى الله عليه وسلم - ((**من أحب فطرتى فليستن بسنتى - النكاح - ومن كان له مال يتزوج به فلم يتزوج فليس منا**)) واجتمع جماعة من الصحابة فى بيت عثمان ابن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفراش ولا يأكلوا اللحم والودك ، ولا يقربوا النساء والطيب ، ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح - لبس الرهبان - ويسيحوا فى الأرض ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ((**انى لم أومر بذلك ان لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فانى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء - أى أقربهن - فمن رغب عن سنتى فليس منى** » **وأنزل الله قوله تعالى « يأيها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون**)) ولما زوج النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة من على ((**قال ان الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة نسبا لا حقا وأمرا مفترضا أوشج - أى خلط - به الأرحام وألزمه الأنام فقال عز من قائل ((وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا)) الى أن قال ((يا على ان الله أمرنى أن أزوجك فاطمة وقد زوجتك اياها على اربعمائة مثقال فضة ان رضيت يا على قال رضيت يا رسول الله فقال جمع الله شملكما وأعز جدكما وبارك عليكما وأخرج منكما الكثير الطيب** » وقال أنس :

فوالله لقد اخرج الله منهما الكثير الطيب من الذرية ، وبها تكثر الأمة وهو مقصد نبيل يهتم به كل عاقل غيور على مصلحة اسرته وامته ، والا تناقصت وقل عددها ومن يرضى لأمته أن تسير فى تضاؤل يؤدى الى الفناء ، وعندها من الامكانيات ما يمكنها من العيش فى جو الصلاح والصون والعفاف ، وقادرة على أن تعيد بناءها وتسترد عظمتها ، وتعوض الأمة ما فقدت بسبب الأحداث التى واجهتها وتعرضت لها فى حروبها ضد المستعمرين وكافحت فى سبيل تحررها لتقيم للامة صرح العدل والمساواة ورعاية الحقوق ، وتؤمن الشباب من الانحطاط والفساد قال - صلى الله عليه وسلم - ((**التمسوا الرزق بالنكاح**)) **وقال من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه - أى تربيته وتعليمه - وأن يعفه اذا بلغ - أى يزوجه - ليكون عفا عن الحرام**)) وقالوا : خير ما أعطى الرجل بعد الصحة والأمن والعقل ولد موافق من زوجة موافقة ومتعة العيش بين الأهل والولد وقال - صلى الله عليه وسلم - ((**اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له** » قال - صلى الله عليه وسلم « **الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**» **وأمر الله بالعفة للذين لايقدرون على النكاح الى الغنى واليسار فقال « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله**)) والرسول - صلى الله عليه وسلم » يحذر الناس مما يرغبون فيه عادة فيقول : ((**من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يغض بصره . ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك له فيها وبارك لها فيه**)) وقال ((**من تزوج امرأة لمالها فلعل المال يطغيها ومن تزوجها لجمالها فلعل الجمال يرديها**)) وقال - صلى الله عليه وسلم - ((**اياكم وخضراء الدمن ، قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء ليس لها أخلاق .**

البقية ص ٩٦

إن الحق على لسان عمر وقلبه

بهذه الشهادة نطق النبى عليه الصلاة والسلام

فضيلة الشيخ
عبد الله مصطفى
المراغى

بهذه الشهادة نطق النبى عليه الصلاة والسلام فى حق عمر وبأكثر من ذلك اذ قال ((لقد كان فيماقبلكم من الأمم محدثون فان يك فى أمتى أحد فانه عمر » فهو محدث ملهم بالصواب الذى يلقى من قلبه المستنير وعقله المفكر والمسور بن مخرمة يقول لما طعن عمر جعل يألم فقال له ابن عباس : يا أمير المؤمنين ، لقد صحبت رسول الله فأحسنت صحبته ، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ، فعمر مشهود له بسلامة التفكير وحسن التقدير ، واذا نظرنا الى الصفات الأخلاقية التى انحدرت الى عمر عن آبائه وأجداده نجدها صفات امتاز بها أشراف العرب وساداتهم ، وهى الشهامة والنجدة واباء الضيم والمحافظة على الكرامة فأجداده انتهت اليهم مقاليد الشرف من قريش فى الجاهلية ثم وصلت بشرف الاسلام **وقد كان عمر شبيها بوزير الخارجية فى الدول الحديثة اذ كان يقوم بالسفارة والمفاوضة عند قيام الحرب أو انتظارها بين قريش وبين غيرها من قبائل العرب .** وقد حصل عمر على هذا المقام الرفيع بين قومه فنبغ فى هذا الميدان وتمرس به وقد كان كثير الرحلات للتجارة بين اليمن والشام فى جاهليته فكسب بذلك معلومات ومعارف تميز بها عن غيره من سادات قريش كما انه كان يتولى الدفاع عن قومه ويفاخر بهم عند المنافرة والمفاخرة ولعل هذه الصفة قد ارتفعت بعمر الى المنزلة التى ظهر بها عند اسلامه ، وعند هجرته ، وعند التعرض لحل المشاكل التى عرضت للنبى عليه الصلاة والسلام ولأبى بكر من بعده وفى خلافته . **وأعانه هذا التفكير النير والعقل الراجح على مواجهة الأمور العويصة أيام خلافته فلقد كان يدير المعارك الحربية الكبرى فى العراق والشام ويوجه قواده فيما يصلح له كل منهم مقدرا لكل حالة أمرها وما تصلح به فلم يفشل فى علاج مشكلة من المشاكل حربية كانت أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ، ولقد أعطى الحرية لنفسه فى الاجتهاد وفهم النصوص الصالحة للاجتهاد فهما يوافق روح عصره والحوادث التى جدت فى خلافته ولم تكن موجودة فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام ولا فى عهد الخليفة الأول**

ولقد كان يعرف القراءة والكتابة على ندرةمن يعرفونها فى عصره اذ كان من يعرفهما حين بعث النبى عليه الصلاة والسلام سبعة عشر رجلا من قومه . والقراءة والكتابة مفتاح للمغلق ووسيلة من وسائل العلم والمعرفة والثقافة قديما وحديثا . وقد امتن الله تعالى على الانسان بهذه النعمة اذ يقول **(ن والقلم وما يسطرون)** فالقلم وسيلة تسجيل الحضارات والمدنيات وبه يستنير الفكر ويستضىء العقل وتسمو به منزلة الانسان على غيره ممن لم يحصلوا على هذه الميزة . والمتتبع لتطورات حياة عمر قبل اسلامه يكاد يجزم بأنه كان مستعدا لقبول الاسلام ، وأن فطرته كانت مستقيمة صالحة لقبوله بيسر وسهولة . ويوضح ذلك أن بيئته كانت صالحة لفرس هذا العقل الراجح فقد كان أبوه صلبا فى عقيدته ، ينكر فحش الجاهلية ويقاومه أشد المقاومة ، بل كان يبطش بمن يرتكبون القبائح على مرأى منه . كما أن عما من أعمامه كان ينكر الوثنية ويمقتها أشد المقت ويبحث فى النصرانية واليهودية ليهتدى الى عقيدة تطمئن اليها نفسه وتخرجه من الوثنية الى التوحيد وقد كانت أخته فاطمة من المسارعات الى الاسلام هى وزوجها سعيد بن يزيد ابن عمها وقد حدث أن عمر كان يودع بعض المهاجرات الى الحبشة فرارا بدينهن وكانت فيهن أم عبد الله بنت أبى حنتمة فدعا لها بالسلامة فى سفرها فأدركت من كلماته ما يبشرها باسلامه ويجعلها تطمع فيه طمعا شديدا على حين أن الرجال كانوا على يأس من اسلامه فقد سأل عامر بن ربيعة أم عبد الله عن حال عمر فأجابته بطمعها فى اسلامه فأنكر عليها ذلك مستبعدا قائلا لها كأنك قد طمعت فى اسلام عمر فقالت نعم فقال لها متعجبا : انه لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب ، وقد حققت الأيام فراسة أم عبد الله وبادر عمر الى اسلامه . وحين النظر فى أسباب اسلامه نرى استعداده للاسلام فى هذا الندم الذى ظهر على وجهه حين رأى الدم يسيل على وجه أخته من تعديه عليها وقد كان زوجها قريبا منها ولا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا حول له ولا قوة ، **وقد جاء اسلام عمر فى أنسب الأوقات فى وقت اشتد فيه أذى المشركين واستشرى طغيانهم فقد ورد أن أبا بكر رضى الله عنه خرج يوما يريد النبى وكان له صديقا فى الجاهلية فلقيه فقال يا أباالقاسم فقدت من مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها فقال: انى رسول الله أدعو الى الله فأسلم أبو بكر فأصابه من جراء اسلامه شر كثير وضاق المسلمون ذرعا من اضطهادهم وتبع ذلك اسلام عمر ، فهو يقول : كنت أسير فى بعض طرق مكة اذ لقينى رجل من قريش فقال أين تذهب ياابن الخطاب أنت تزعم أنك عدو للاسلام وقد دخل عليك هذا الأمر فى بيتك قال قلت وما ذاك ؟ قال أختك صبأت قال فرجعت مغضبا وقد كان رسول الله يجمع الرجل والرجلين اذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه ويصيبان من طعامه وقد كان ضم الى زوج أختى رجلين قال : فجئت اليها حتى قرعت الباب فقيل من هذا** ؟ قلت ابن الخطاب قال وكان القوم جلوسا يقرءون القرآن فى صحيفة معهم فلما سمعوا صوتى تبادروا واختفوا وتركوا الصحيفة وفتحت أختى الباب لى فقلت يا عدوة نفسك قد بلغنى أنك صبوت قال : فأرفع شيئا فى يدى فأضربها به فيسيل الدم فلما رأت ذلك بكت وقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد أسلمت قال فدخلت وأنا مغضب فجلست فرأيت كتابا فى ناحية البيت فتعرفت عليه وطلبته فمنع منى لأن هذا الكتاب لا يمسه الا المطهرون وبعد الحاح أخذت الكتاب فاذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم وآيات من القرآن ثم قلت بعد ذلك أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فتجمع القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوا من عمر وحمدوا الله ثم قال ياابن الخطاب ابشر فان رسول الله دعا بالأمس القريب فقال **« اللهم أعز الاسلام بأحد الرجلين اما عمرو بن هشام واما عمر بن الخطاب »** ثم قال لهم أخبرونى بمكان رسول الله فأخبروه فذهبت اليه وقرعت الباب قائلا: أنا ابن الخطاب وقدكانوا يخشون بأسه ولم يعلموا حينذاك باسلامه فلم يجرؤ أحد منهم على أن يفتح الباب وتقدم

عليه الصلاة والسلام لملاقاة عمر بشجاعة واقدام قائلا: **« افتحوا له فانه ان يرد الله به خيرا يهده»** ففتحوا له فأخذ عليه الصلاة والسلام بمجمع قميص عمر وجذبه قائلا له اسلم يا ابن الخطاب فتشهد عمر وكبر الحاضرون بصوت جهورى ولقد كان اسلام عمر نصرا وفتحا مبينا وقد عبر عن اسلام عمر وأثره فى قوة المسلمين وزعزعة المشركين والفت فى عضدهم ، أصدق تعبير وبين مكانة عمر فى قومه وسمو منزلته فى قبيلته وما كان لاسلامه من دخول الوهن والضعف على نفوس المشركين اذ أقروا بظهور المسلمين عليهم ورجحان كفتهم – عبر عن كل ذلك وغيره قول على ابن أبى طالب رضى الله عنه : **ماعلمت أن أحدا من المهاجرين هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب** ، فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده أسهما ومضى قبل الكعبة على ملأ من قريش فطاف بالبيت سبعا ثم أتى المقام فصلى ثم وقف على القوم فى حلقاتهم واحدة واحدة يقول لهم **« شاهت الوجوه من أراد أن تثكله أمه أو يفقد ولده أو زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى »** فهذه الشهادة من على لعمر تدل على مقدار شجاعته والتفانى فى سبيل الدفاع عن عقيدته والتضحية بأعز شىء لديه وهى نفسه التى بين جنبيه وبجانب هذه الشهادة الدالة على امتياز عمر فى أخلاقه وتفانيه فى سبيل عقيدته ومبدئه ورأيه نجد عبد الله بن مسعود يقول : كان اسلام عمر فتحا وكانت هجرته نصرا وكانت امارته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى فى البيت حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا ويزيد ابن مسعود فى الثناء على عمر والاعتراف له بالفضل اذ يقول ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر فلا جرم ان ابن الخطاب هو الرجل الفذ الجليل الذى قوى الله به الاسلام فى مكة وأعزه به فى المدينة فكان قدوة صالحة للمسلمين ومثلا أعلى فى التقوى والعدل والشهامة وتأييد الحق والشدة على الباطل وعقل عمر المتفتح المستنير الذى اكسبته التجارب رجاحة وصهرته الحوادث جعلته يشارك ويبدى رأيه فى كثير من المسائل التى لم تكن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية

قاطعة فى اثبات الأحكام فيها فنحن نراه فى مشروعية الأذان للصلاة ومداولة المسلمين برئاسة النبى عليه الصلاة والسلام فى كيفية **الأذان نرى رأى عمر يرجح بقية الآراء ويوافقه النبى عليه الصلاة والسلام ونراه يشارك مشاركة فعالة فى كيفية معاملة أسرى بدر فلقد دخل المسلمون المدينة بعد انتصارهم فى هذه الغزوة** فلما جىء بالأسارى صاح عمر قائلا للنبى : كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء فمكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان وقد كان من يريده « عمر قريبا له » فنضرب أعناقهم فما كان من النبى الا أن يصف أبا بكر الذى رأى أخذ الفداء وعمر الذى أراد قتل الأسرى فقال **« ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللين وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال « فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم »** ومثل عيسى فى قوله **« ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم »** وفى شأن عمر يقول النبى **مثلك ياعمر مثل نوح قال « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا « ومثل موسى حيث قال « ربنا اطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم »** وبعد ذلك أخذ النبى فى الأسارى برأى أبى بكر وقال لعمر يا أبا حفص تأمرنى أن أقتل العباس فقال عمر ويل لعمر ثكلته أمه وفى ذلك نزل قول الله تعالى **« ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم»** وعقب نزولها دخل عمر على النبى فوجده يبكى كما وجد أبا بكر يبكى فقال يا رسول الله من أى شىء تبكى أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ؟ فقال النبى : أبكى للذى عرض من العذاب على من قال بأخذ الفداء وانى أرى عذابهم قريبا كقرب هذه الشجرة التى كانت على بعد قريب منه ولو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاز وقد

كثرت أقوال المفسرين فى شرح هذه الآية وعلى وجه العموم قد كان اجتهاد عمر فى هذه المسألة من باب الاجتهاد المباح فى أمر من الأمور لم ينزل فيه نص قرآنى . والاجتهاد من النبى واجب العمل به فى حقه وفى حق المسلمين جميعا ما لم ينزل نص يخالفه فالنبى لا يقر على الخطأ وله ان يجتهد ويعمل باجتهاده حتى ينزل الله عليه مايخالف اجتهاده والمسلمون يجب عليهم الاتباع فلا معصية فى هذا الاجتهاد ولا مؤاخذة عليه لأن الاثخان فى الأرض المبيح لافتداء الأسرى يختلف تقديره وقد ظن المسلمون أن هذا القدر من الاثخان والغلبة للمسلمين على عدوهم قد تحقق فقد انتصروا على المشركين مع كثرتهم فالآية تبين حكما عاما من أحكام السياسة الحربية وهو أن العفو عن الأسارى لا يجوز الا عند اعلاء كلمة المسلمين وقوتهم قوة لا يظن معها تغلب المشركين عليهم وعلى هذا سار المسلمون فى سياستهم الحربية ففتحوا الفتوحات العظيمة

ولقد كانت هذه الحادثة وهى افتداء الأسارى أو عدم افتدائهم وسيلة من وسائل السير فى السياسة العمرانية التى سار عليها المسلمون ولقد أثبتت الأيام والوقائع أن عمر جاهد بفكره كما جاهد بسيفه فى سبيل اعلاء كلمة الله ولقد وافقه القرآن فى كثير من اجتهاداته وحق له أن يقول لا على سبيل الفخر والزهو بل على سبيل التحدث بنعم الله عليه فقد روى أنس ان عمر قال **« وافقت الله أو وافقت ربى فى ثلاث قال قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فأنزل الله « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » وقلت يارسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتهن فانزل الله آية الحجاب وقلت لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تما لأن عليه فى الغيرة (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن » فنزلت كذلك . فلله درك ياعمر وقد صدق عليك قول النبى عليه السلام ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**

(تابع) مطالعات من منهاج شرعنا القويم

الترغيب فى الصالحات

يقول الله تعالى **« فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله »** وقال صلى الله عليه وسلم **« الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة »** وقال ما استفاد المؤمن بعد **تقوى الله تعالى خيرا له من امرأة صالحة ان أمرها أطاعته وان نظر اليها سرته وان أقسم عليها أبرته وان غاب عنها حفظته فى نفسها وما له » و « الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين** – اى نراهم مطيعين لك ، قال محمد بن كعب ليس شىء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم **« تزوجوا فى الحجر الصالح أى المنبت الذى فيه تربية على العفة والصيانة فان العرق دساس – أى نزاع – الولد يشبه أهل الزوجة** هذا من منهج شرعنا والاعراض عنه فتنة تصرف شبابنا عن الأسوة التى جعلها الله لنا خير قدوة صالحة حيث قال **« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا »** نسأله تعالى أن يعصمنا من الزلل والخطل انه سميع مجيب

٢

القرآن والعلم الحديث

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفى

(اقرأ باسـم ربك الذى خلق . خـلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) . هـذا أول خطاب من الله عز وجل نزل به جبريل الأمين على سيد المرسلين، وقد نبه الله رسوله صلى الله عليه وسلم فى أول ما أنزل عليه من قرآن على فضل القلم والعلم والتعلم والخطاب هنا يتناول عموم العلم ولم يخصصه بعلوم الدين من عقائد وأوامر ونواه وانما جلعها فروعا خاصة وضروبا من العلم وان كانت من اشرفه بدليل قوله **(علم الانسان ما لم يعلم)** مطلقا ووصفه صلى الله عليه وسلم بعد أن علمه بقوله **(وانك لعلى خلق عظيم)** وقال صلى الله عليه وسلم (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) - والتأديب هنا هو التربيب والتنشىء أو قل التثقيف والتهذيب والربوبيـة من أخص خصائص الحق عز وجل ومعنى الرب لا يفيد معنى الرعاية أو التنشئة فقط وانما يفيد أيضا معنى الايجاد والاعداد والتكمل ومن أخص خصائص معنى الرب دفع المربوب الى الرقى والتطور حتى يصل الى الغـاية التى خلق من أجلها .

وعند الراغب الاصبهانى فى تفسيرها « أن معنى الرب فى الأصل من التربية وهى انشاء الكائن حالا فحالا الى حد التمام والكمال » وهذه المعانى كلها تعبر أصدق تعبيـر عن معنى النشوء والتطور والارتقاء وبصرف النظر عن مذهب داروين الانكليزى فان النشـوء والارتقاء سنة من أعظم السنن الالهية الكونية وأشملها بل انها القانون العام الشامل لكل كائن من ناطق وصامت ومعنى الآية المتقدمة ان الله يقول يا محمد **(اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق)** والعلق هنا وفى الاصطلاح الطبى ما علق أو جمد من دم والآية تدل أوضح الدلالة على كيفية تطور الانسان منذ كان نطفة فعلقة وترتيب تخليقه حتى صار خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . وبذا فضل الانسان على غيره من المخلوقات التى دونه من نبات وحيوان وترقى حتى صـار خليفة الله . وذلك بفضل ما أودعه الله فيه من تعقل وتفكر ووجدان وبصـيرة وهى خصائص أهلته للخلافة فى الأرض ويكون بها أيضا حصول الاستقراء والاستنتاج والقياس والحكم . ولذا خاطب الله نبيه ورسوله الأمى وقد علمه وأدبه وتولى عنه وظيفة القلم بقلمه الأعلى عز وجل فقال يا محمد اقرأ باسم ربك الأكرم الذى علم بالقلم الالهى الأعلى فى علمه الغيبى ليعلم الانسان ما لم يعلم وانت يامحمد انسان وسيعلمك الله من لدنه علم ما لم تكن تعلم وان خلقت أميالا تحسن صناعة القـلم وهى الكتابة والقراءة .

وفى ذلك أيضا بيان عام لفضل القلم والكتابة والكتاب فى نيل العلم وصيرورته من فرد الى

فرد ومن جماعة الى جماعة حتى يرتقى ذلك العلم مع تطور الأزمان وقد علم الله أن سيكون ذلك العلم بيانا للقرآن (ان علينا بيانه) مما غاب من معقول الناس ومعلومهم وقت نزول القرآن ، وعد الله أن سيبينه مع تعاقب الأزمان وصدق الله العظيم فى كلامه وصدق رسول الله فى بلاغه عن ربه .

فان العلم فى عصرنا الحاضر قد كشف عن حقائق قرآنية كثيرة وردت فى آيات من كتاب الله قبل أن يرتقى العلم ويشب عن الطوق ولبيان علاقة القرآن بالعلم وبالتعقل كانت أول آية خاطب بها جبريل محمدا صلى الله عليه وسلم خاصة بالعلم ونبهه على فضله . ومن أسباب هذا أيضا أن محمدا صلى الله عليه وسلم جاء هاديا ومبشرا ونذيرا لسائر البشر ومعلما للناس كافة وهو أمى فكان فى نفسه معجزة وكان القرآن فى مجمله ومفصله معجزة له يعتز بها مع ما ظهر له من عديد المعجزات .

أرسله مبدع الكائنات وخالقها ليقرر للناس قيمة التعقل ومنفعة التفكر ولا سيما فى خلق السموات والأرض وفى النفس لما يترتب على ذلك أولا — من فوائد علمية وعملية وروحية تؤدى جميعها الى استثمار خيرات الأرض والسماء مما أعده الله فى الطبيعة للناس من نعم أقربها مثلا الهواء والماء والنور والنار وذلك بواسطة العلم والتعقل وما وراء ذلك من استعداد لاستشفاف ما وراء مظاهر الكائنات الأرضية والسماوية من علل وأسرار

ثانيا — ان ذلك كله يبعث حتما على الايمان : الايمان بخالق السموات والأرض . وان ذلك كالنتيجة الحتمية لتلك المقدمات فان الانسان لو رأى آلة قادرة أو تحفة نادرة وتأمل فى فوائدها وكيفية صنعها لعزاها باديء ذى بدء الى صانع ساذج أو حكيم على قدر ما فى المصنوع من قيمة واذا كان علماء الحفريات بعثورهم على أدوات ذات فوائد مصنوعة من حجر أو عظم أو فخار أو غير ذلك استدلوا على أن لابد لها من صانع كان موجودا قبل آلاف السنين فكيف لا يتحتم على منطق العقل وقد رأى صناعة الصانع الأول والموجد الأعلى لسائر المخلوقات .

أقول كيف لا يتحتم على العقل كنتيجة لما أبصر أو شاهد فى وحدات الكائنات من حقائق هى نبع الفلسفة والعلم كيف لا يخر العقل ساجدا تعظيما لله الصانع الحكيم والخالق القدير ؟!

وذلك نفسه هو الفرض الأول للقرآن . وهو المقصد من رسالة سيد الرسل وخير الأنام وبهذا وذاك نفهم قرب المسافة التى يتلاقى فيها الدين والعلم ثم الفلسفة بفضل ما غرس فى فطرة الانسان من منطق الحس ومنطق العقل ومنطق الوجدان جميعا . وتلك فطرة الله التى فطر الناس عليها قديما قبل معلوم الدين ومعلوم الفلسفة ومعلوم العلم .

ثم اقتضت سنة الله أن يجعل تلك المعارف متطورة تدريجا حتى يبلغ التدين كماله ويبلغ العقل رشده ويبلغ العلم طريقه الأمم الذى كلما كشف فيه عن حقيقة تبدت له من الغيب حقائق وكلما حل معجزة ظهرت له من وراء الأفق معاضل حتى يصير العلم نفسه قائدا ومرشدا الى الايمان بالله وصدق العلامة نيوتن حيث قال « ان نحن الا أطفال صغار نلتقط اصداف المعارف من شاطيء بحر الحقيقة فمن رشف من هذا العلم رشفا ابعده ذلك عن الله ومن عب منه عبا قربه ذلك اليه » وصدق الله العظيم أولا وآخرا فى قوله (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) .

هذا وتبعا لسنة التطور وقلنا انها من أعظم السنن الالهية فى الوجود كان الدين بحكم الفطرة سابقا للتفلسف وكانت الفلسفة سابقة على ميلاد العلم . وبحكم هذه السنة أرسل الله آدم وعلمه الأسماء ومنافع الأشياء علما بدائيا وان كان عاما بدليل قوله تعالى « وعلم آدم الأسماء كلها » ثم أرسل نوحا لجمع البشر على ملة واحدة فتبلبلوا فأرسل الله ادريس عليه السلام بالحكمة وهى نتيجة التعقل واستنباط أوليات العلوم ووزعها على فروعها من طب وزراعة ولاهوت وغير ذلك ولما تقدم العقل نوعا أرسل الله ابراهيم لمقاومة الشرك فى قومه واحلال التوحيد محله وتسفيه الوثنية وتقرير عبادة الله الواحد الأحد ثم

ارتقى المعقول والمعلوم نوعا فأرسل الله موسى رسولا لبنى اسرائيل خاصة ليحررهم من حكم فرعون ويعلمهم مبادىء التوحيد فلما ظلموا وانحرفوا وعبدوا العجل من دون الواحد الحق أرسل عيسى عليه السلام بدين لاهوتى روحى صرف يحث على ترك الدنيا وطلب الآخرة فكانت ديانته رد فعل لما صنعه ورثة موسى من تمجيد لفضل الدنيا وتخفيض لشأن الآخرة « والحرص على المكيال دون المصباح » فلما رفع الله عيسى واستدار الزمان واستكمل العقل أول مراتبه الواعية وتدرج العلم الى الارتقاء فى فقه الأسباب والمسببات والظاهرات والقوانين الكونية والعلل - أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل القرآن وشرع الاسلام للدين والدنيا مجموعين .

نعم أرسل الله محمدا (كافة للناس - ورحمة للعالمين) ! لينهض بالانسان فى عموم جنسه ذلك الانسان الذى قال الله تعالى فى حقه (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين) ذلك ليرتقى رتبته التى أهله الله اليها علما وعقلا ودينا لأنه قد جعله منذ القدم خليفته فى أرضه لقوله تعالى (انى جاعل فى الأرض خليفة) وظل الانسان منذ العهد الأول للخليقة يخبط العشواء ويتلمس النور فى الظلماء ويلتمس طريقه بين دجنة الجهل واضواء العلم ومازال الله يرسل له رسلا تترى جيلا بعد جيل وطورا تلو طور لكى لا يكون للناس حجة على الله بعد الرسل وجعل لهم قانونا للتطور ليتكاملوا فى الدين وفى العقل وفى العلم حالا بعد حال وطورا تلو طور ، ولما كان الناس لايؤمنون الا بعد الشهود بالحس أو الادراك بالعقل أو بالمعجزة تأتيهم من الفيب كان محمد فى أميته معجزة وكان القرآن فى بيانه لحقائق كانت تفيب فى وقت نزوله عن العقل وعن العلم فكان معجزة المعجزات .

وكان من خيم ذاته العلية الشريفة صلى الله عليه وسلم عدم ذكر المعجزات أو الاعتداد بها وقد جمع القرآن أصول المعارف وأمهات المعلومات ونوه تلميحا أو تصريحا بأصولها الثابتة دون فروعها الحائلة المتفيرة تبعا لارتقاء العقل وارتقاء العلم حتى قال سبحانه وتعالى (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) .

فكان كتابا لا يغادر كبيرة ولا صفيرة الا أحصاها . وصدق الله العظيم القائل فى محكم كتابه وعلى لسان جبريل أمينه وفؤاد محمد رسوله (اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم)

صدق الله العظيم

خواطر مستشار

المستشار على على منصور

غنائم الحرب

تقوم كل دولة اليوم بتكوين جيش وتنفق عليه من خزائنها ، والجيش الآن أهم مرافق الدولة ، تنفق على اعداد عدته وعتـاده ، وتجرى على جنوده وضباطه مرتبات شهرية مجزية ، فى حالى الحرب والسلام ، اذ فى الحالة الأخيرة لا يعمل الجندى ولا الضابط عملا آخر يرتزق منه ، فكان لا بد أن يكون رزقه ورزق عياله من خزانة الدولة ، وفى مدة السلم تتدرب الجيوش على أحدث وسائل القتال استعدادا لرد كل عدوان ، فأصبحت الجندية فى زماننا صناعة ومهنـة .. أما فى مطلع الاسلام واجريا على ما كان عليه الحال فى النظام القبلى فكان كل محـارب يقوم بتجهيز نفسه من سلاح وعتاد وطعام ، وهذا هو الراجل ، ومنهم من كان يملك الركائب كالخيل ، وهذا هو الفارس ، ومنهم من كان يملك أكثر من فرس فيعطيها لغيره ليغزو عليها ، وكان ذلك سببا ومصدرا لقـاعدة توزيع الغنائم على المحاربين ، وكان لصاحب الفرس نصيب كنصيب الراجـل وللفرس نصيب آخر، وقال البعض : للفرس نصيبان سواء غزى بها صاحبها أو غزى بها غيره .

وفى صدر الاسلام أى فى بدء عهد الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى المدينة كان بعض المسلمين يتخلفون عن الغزو ، للمرض أو لعدم وجود السلاح والمال والركائب ونفوسهـم حزينة لهذا التخلف خشية غضب الله وقد سجل القرآن لهم هذه المواقف ورفع عنهم الحرج : ((**ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ، ولا علـى الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدفع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون**)) .

وبدأ الصحابة يعدون من أموالهم عتـاد الحرب لبعض ناس من الفقراء حبسوا أنفسهم فى المسجد للغزو فى سبيل الله وسموا أهـل الصفة .

الغنيمة والفىء والانفال .

ولكى نقرب الأمر الى الأذهان يمكن القول ان كل ما أحرزه المسلمون فى الحرب بعد

انتهائها من أموال يمكن أن تنقسم الى قسمين : غنيمة وفىء .

الفىء :

ويذهب الماوردى الى أن الفىء (كل ما وصل من المشركين عفوا من غير قتال ودون ايجاف خيل ولا ركاب، ومثل له بمال الهدنة والجزية والعشور والخراج ثم تكلم الماوردى عن كيفية تقسيم الفىء ، سواء فى خمسه أو على حسب نص الآية فى أربعة أخماسه الباقية على قول من قال انها للجيش خاصة . وعلى رأى من قال انها تصرف على مصالح المسلمين التى منها أرزاق الجيش ومنها ما لا غنى للمسلمين عنه .

ولما كثرت الفتوح فى عهد عمر بن الخطاب انشأ ديوان العطاء وفرض فيه فروضا لأصحاب الرسول ، وللمهاجرين والأنصار ولأمراء الجيش والفقراء بل لكل مولود ، ولما رأى المال قد كثر قال : **(لئن عشت الى مثل هذه الليلة من قابل لألحقن أخرى الناس بأولاهم حتى يكونوا فى العطاء سواء) فكان صنيع عمر أساسا لانشاء بيت مال المسلمين (خزانة الدولة) .**

ويكون الفىء اما مالا منقولا أو عقارا ، فان كان عقارا هل يقسم كما يقسم المال المنقول ؟ قال أبو يوسف ما معناه انه لا يقسم عينا وانما يكون الفىء فى ريعه اى فى خراج الأرض وعلل ذلك بأن الله سبحانه وتعالى قال فى كتابه العزيز : « **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم** » . فلما فرغ من هؤلاء قال عز وجل عطفا على من سبق : « **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا** » .

ثم قال جل من قائل : « **والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** » . ثم قال الله بعد ذلك : « **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا** »

ويعقب أبو يوسف على هذا الجزء الأخير من الآية بقوله : (فهذا — اى خراج الأرض — لمن جاء بعدهم أى بعد المهاجرين والأنصار من المؤمنين جميعا الى يوم القيامة) .

وذكر أبو يوسف فى كتاب الخراج ، ما حدث فى هذا الشأن بين بلال وعمر بن الخطاب ، وذلك أن بلالا وأصحابه سألوا أمير المؤمنين عمر قسمة ما أفاء الله عليهم من العراق والشام وسألوه أن يقسم الأرضين بين الذين افتتحوها كما تقسم غنيمة العسكر فأبى عمر ذلك عليهم وتلا هذه الآيات الى قول الله : **والذين جاءوا من بعدهم »** وعلق عليها بقوله لقد أشرك الله الذين من بعدكم فى هذا الفىء . فلو قسمته بينكم لم يبق لمن بعدكم شىء ولئن بقيت ليبلغن الراعى بصنعاء نصيبه من هذا الفىء ودمه فى وجهه — ويعلق أبو يوسف على هذه الحادثة بأن الذى رآه عمر من الامتناع عن قسمة الأرضين — أرض العراق وأرض الشام — على من افتتحها كان توفيقا من الله ، ونضيف ان جباية ما فرض على هذه الأرض المفتتحة من خراج وضمه الى بيت مال المسلمين فيه النفع لجماعتهم .

أما السهم الذى كان لرسول الله فى الفىء فكان ينفقه على نفسه وآل بيته ومصالح المسلمين واختلف فيه بعد موته ، فذهب من قال ان الانبياء يورثون الى أن هذا السهم للنبى يورث عنه لورثته ، وقال أبو ثور يكون للامام أى للخليفة بعد الرسول لقيامه بعده بأمور الأمة ، وقال أبو حنيفة قد سقط بموته، وذهب الشافعى الى أنه يصرف فى مصالح المسلمين ، وكذلك اختلف فى سهم ذوى القربى ، فقال أبو حنيفة بسقوطه عنهم ، وقال الشافعى بل حقهم ثابت فيه .

الغنيمة :

اما الغنيمة فهى على نوعين :

١ — الأموال المنقولة : وهى الغنائم المألوفة وكانت تقسم على من شهد الغزوة **وقال أبو حنيفة** يعطى الفارس سهمين ويعطى

الراجل سهما واحدا **وقال الشافعى** يعطى الفارس ثلاثة أسهم .

٢ – **أما الارضون** فقسمها الفقهاء الى ثلاثة اقسام على **ما يقول الماوردى** فى كتابه – الاحكام السلطانية – **القسم الأول** ارض ملكها المسلمون عنوة وقهرا ، **والثانى** ارض ملكها المسلمون عفوا لانجلاء اصحابها ، **والثالث** ارض تصالح المسلمون مع أعدائهم على أن تبقى فى أيدى أصحابها الأصليين بخراج يؤدونه عنها **وحكم النوع الأول** وهو الأرض التى اخذت عنوة وقهرا فى **رأى الامام مالك** ان تكون وقفا على المسلمين جميعا حين غنمت ولا تجوز قسمتها بين الفاتحين ، **وأجاز ذلك أبوحنيفة** فى أحد آرائه **وفى رأى آخر لأبى حنيفة** أجاز أن يعيدوها الى أيدى المشركين بخراج يقرر عليها فتكون ارض خراج ويكونون بها أهل ذمة .

ومما سلف يستبين أن الاسلام لا يجيز تملك أراضى الأعداء الا بعد الصلح وانتهاء الحرب ، وتكون – اذن – موقوفة على المسلمين جميعا ينفق منها فى مصالح الدولة وتدخل بذلك فى دار الاسلام ، كما أجاز الاسلام الصلح فى حالة غلبة المسلمين على عدوهم على أن لا نمس أموالهم الخاصة ولا العامة ونردها اليهم بخراج أى ضريبة تضرب عليها ويصبحون بها أهل ذمة أى يصبح علينا الدفاع عنهم ويصبح لهم ما لنا وعليهم ما علينا . ولا نفرض عليهم غرامات حرب ولا غيرها بدعوى نفقات جيش الاحتلال والجيش الذى غزا ، لأن الاسلام لا يريد بالحرب الفتح والملك والغنم والسلب والنهب ، بل يريد رد اعتداء المعتدين الذين بدءونا بالحرب ويريد تأمين الدعوى « **وان جنحوا للسلم فاجنح لها** » وخلال الحرب والاحتلال المؤقت وما بعد الحرب حريات الأفراد فى بلاد الاعداء وحريات رعايا الأعداء المقيمين عندنا فى دار الاسلام مكفولة مصونة غير مظلومين ، واذا وقع اعتداء من أحدهم فلا تحاسب جماعتهم عليه بالجزاءات أو العقوبات الجماعية فالقرآن يأمرنا ان « **لا تزر وازرة وزر أخرى** » وكذلك لهم حرية العبادة ، وبيعهم وكنائسهم ومعابدهم آمنة بمن فيها ومن يأمونها ، **ولقد روى عن عمر بن الخطاب** لما ذهب الى بيت المقدس لعقد المعاهدة بين المسلمين والنصارى ببيت المقدس «**ايلياء**» رأى قمة بناء ظاهرة وسط كومة من تراب فسأل ما هذا فقيل معبد لليهود ردمه النصارى من قبل ، فأمر بازالة التراب عنه واخذ يزيله ويرفع بعضه بثوبه لأن الاسلام يريد الحرية الكاملة لكل شخص فى اختيار دينه ، ويرى أن الدولة مسئولة عن تمكين جميع سكانها من اقامة الشعائر الدينية الخاصة بهم ، ولا يريد الاسلام أن يقهر الناس ليدخلوا فيه قسرا بل يريد لمن يدخله عن اقتناع وعقيدة .

وتعاليم الاسلام فى شأن **نظام الحرب والاحتلال والغزو ينفذها المسلمون على أشد ما يكون التنفيذ دقة . فلا يخونون ولا ينهبون ولا يخربون عامرا ولا يعذبون أسيرا ولا يقتلون رهينة ولا رسولا ولا يقابلون بالمثل ، بوازع من تقوى الله ولا يفرضون العقوبات وطريقتهم فى التنفيذ ورعاية هذه الحقوق والحريات للأعداء انما تنبع عن ايمانهم بوجوب اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه تحرجا من الوقوع فى الاثم وأين ذلك من نقض قلب الأسد لعهد الامان الذى أعطاه لثلاثة آلاف مسلم سلموا أنفسهم له عند فتح بيت المقدس خلال الحروب الصليبية فقتلهم غدرا بعد أن آمنهم على حياتهم ، اذ اشترطوا عليه ذلك قبل التسليم وقد نصت المادة ٣٥ من لائحة لاهاى على وجوب احترام شروط التسليم من الجانبين . وهذا الذى نص عليه أخيرا فى قواعد القانون الدولى كان منفذا فى الاسلام من قبل بمئات السنين لقول الرسول « وفاء ولا غدر فالمؤمنون عند شروطهم » وكل هذه المحاسن تسربت من الاسلام الى قواعد القانون الدولى ولم يؤخذ بها نظريا الا فى القرن العشرين الميلادى ولا يزال الكثير منها غير منفذ بين الدول الغربية وغير محترم .**

الزكوات والصدقات والعيد

رشاد

الأستاذ حسن الشيخة

فى أداء زكاة الفطر وصدقات التطوع بعد انقضاء شهر الصيام مشاركة وجدانية بين الأغنياء والفقراء ، وتراحم بينهما ، ونفى للحسد ـ وهو تمنى زوال النعمة ـ الذى يتولد وينمو فى نفوس الفقراء للقادرين على أداء الزكوات والصدقات ، فى هذا الموسم الطيب الذى لايعود الا مرة فى العام،وان كانت الصدقات التطوعية لا أوان لها بل هى فى كل الأيام ، ولكن الدوافع الى الخير تذكر القوم بها فى هذا الموسم الدينى الحولى ، فتنضم الى زكاة الفطر فتكثر بها الفوائد العائدة على الفقراء والمساكين •

زكاة الفطر وصدقات التطوع والصدقات عموما هى هبات مادية ، سواء أكانت نقدا أم مما يقتات به الناس غالبا ،ولكنها تتحول الى حالة روحية يشعر فيها الفقراء والقادرون بالوحدة الانسانية ، وبالفرحة العيدية التى تقرب بينهم جميعا ، وتشعرهم بأن روحية الصيام لم تنقض لعبا ولهوا ، وانما ليتبعها واجب انسانى هو اداء الزكوات والصدقات قال تعالى (**وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**)

فالقادر بقدرته على أدائها يشعر بأنه تمم صيامه بأفضل مايتمم به الصوم ، ويشعر بأنه أدى أفضل القربى الى الله ، والزلفى لذاته العلية •

والفقير وهو يتقبل هذه الزكاة يشعر بأن الله قد أرسل اليه خيرا ، ورزقه برا يخففان عنه الآلام والأثقال ، وهم الفقر ، والتدلى فى المسكنة ، فترضى نفسه ، ويطيب خاطره ويتجرد من كل أنواع البغضاء التى هى من لوازم المحروم الذى يرى بعينيه مباهج النعماء تجرى أمامه ثم هو عنها من المبعدين

الزكاة وصدقات التطوع تطهير للمال ، وتزكية له ولصاحبه ، قال تعالى :

(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وتعبير القرآن الكريم « بالتطهر » فى حق المال فيه أبلغ العظات ، وأقوى الدوافع الى الخير ، فالمال نجس لايطهره من نجسه الا الزكاة والتصدق ، وصاحب القدرة لا يزكيه الا الصدقات والزكوات ، كما قال تعالى أيضا **(فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى**

كما أن انعدام الصدقات والزكوات هو نجس للمال ، فكذلك عبر القرآن عنه بأنه مرض تجب الوقاية منه ، قال تعالى : **(ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)** فالشحيح بماله مريض وان كان لايحس هو بهذا المرض لأنه فى عماية وغواية ، واكتناز المال يعمى ويصم عن أداء ماجعله الله حقا للفقير فى مال القادرين ، ويقوى صاحبه بالاستكثار منه ، فكان مصداقا لقوله تعالى أيضا **(ولاتحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ــ هو خيرا لهم بل هو شر لهم)** وليس بعد (الشح) مرض يحيف بالأشحاء

ان « **الهلاك** » أوغل فى الاعدام من المرض ولقد ذكر القرآن أيضا آية التهلكة للاشحاء فقال تعالى : **(وأنفقوا فى سبيل الله ولاتلقوا بأيدكم الى التهلكة) (« والتهلكة »)** أنواع : منها التهلكة المعنوية التى تجعل ذا المال ملفوظا فى المجتمع كما تلفظ النواة ، وفى ذلك يقول الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت ميت الأحياء

انما الميت من يعيش كئيبا
كاسفا باله قليل الرجاء

ويقول شاعر آخر :

خلقوا وماخلقوا لمكرمة
فكأنهم خلقوا وماخلقوا

غير ماتقدم من احاطة القرآن بالقادرين على الزكوات والصدقات قوله تعالى فى تعبير قرآنى بديع يساير الاشتراكية التى نحن فى خيراتها ، والتى سوت بين القوم فصاروا كأسنان المشط قوله تعالى : « **وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**) ، فالمال مال الله بالأصالة ، أما ظاهر ملكيته فأنه استخلاف من الله تعالى للاغنياء فيه ، أما غيرهم فقد فاتهم هذا الاستخلاف فكانوا فقراء معدمين ، ولذلك أوجب الله سبحانه أداء الزكوات والصدقات لهم « **كتعويض** » عما فاتهم من هذا « **الاستخلاف** » فى مال الله ، وعلى أى التفسيرات لهذه الآية الكريمة فانها الباب الواسع الذى حفت به الاشتراكية ــ حقا وصدقا ــ العمال الزراعيين ، لأنهم هم المباشرون للزراعة ، وبسواعدهم تخرج الأرض خيراتها التى كان ــ قبل الاشتراكية ــ قد اختص بها الذين يعرفون بالأغنياء أما بقية جيوش الفقراء فكانوا منها محرومين ، لا أن الاشتراكية هى التى حرمتهم ، وانما تراهم فى القرى وحول الأضرحة منتشرين مابين عجزة لايستطيعون عملا ، وبين نساء وأطفال هم فى حكم العجزة ، وبين متقدمين فى السن هم بحكم شيخوختهم من القاعدين ، وكل هذا الجيش هو الذى تجب له الزكاة والصدقة والتطوع بها ، ولذلك أراد الشارع الحكيم أن يكون كل هؤلاء فى الركب الانسانى فى موسم العيد .

بعد انقضاء شهر الصيام يشعر الصائمون حقا ــ الذين قضوا رمضان صياما وقياما ــ بأن « **النفس** » قد علت برياضة الصوم ، وأن الأخلاق قد سمت ، وان الفضيلة قد أخذت سبيلها الى القلوب ، وان الفرحة قد عمتهم جميعا ، وأن العيد قد أقبل فى بشر وطمأنينة ، فأخذوا يهنىء بعضهم بعضا ، وان هذا البشر لايقتصر على الكبار رجالا ونساء وانما يتعداهم الى الصغار ، يبدلون فيه ماعتادوا من المآكل والملابس ويمرحون فى سرور بالغ وفرح عميق .

وكل عام والمسلمون بخير .

عيد سعيد

بقلم

الدكتور عبد السلام سرحان

على مشارف هذا الصباح الناسم بعبير الحياة ، ترتسم للآمال آيات . وتجثم للمنى علامات . تحدد ألوان بهجتها ، وتجدد معالم فرحتها ، وتخطط طرائق السعادة المرتقبة فى هذا اليوم السعيد .

ومع ذوائب فجره الباسم بأحلام الغداة ، تسترسل الأنفاس الساحرة ، وتتملأ الأرواح الشاجرة وتستيقظ القلوب السامرة ، مع الأضواء المسفرة ، حيث تفتر ثنايا الطبيعة المرحة ، عن تموجات فرحة ، بذلك الزمن السعيد .

وعند انبلاج الخط الأبيض، واختلاج الصبغ الأسود ، تتورد خدود المؤمنين، وتتودد حدود الموقنين ، وترتوى قلوب المخبتين بسلاف ريق من خمر الرضا ، ورحيق شيق يبل الصدى ، وسلسال صاف من ذوب الهناء ، والبلهنية ، فى عذب الدعة الحانية . وطيب العيش الرغيد .

ان اتباع محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، يتفيئون — منذ غروب يوم أمس — ظلالا وارفة ، من رواء المعرفة ، وينهلون كئوسا مزاجها من سلسبيل الايمان ، ويرشفون اكوابا ملؤها عصير الاحسان ، ويلبسون حللا منشرة بفوح الرجاء، ويميسون فى برود وشتها يد السماء، لأنهم جميعا يحيون فى أكناف عيد .

انهم اليوم يردون موارد الصفاء ، ويتيهون فى هالات الضياء ، ويقبلون مراشف العظمة والمجد ، ويقلبون صفحات العزم والجد ، التى سطرتها اعمال الخلود .

انهم الآن مع عيدهم الأصفر . يشتفون العذب الكوثر ، من معين العمل المثمر . ويشمون المسك الأذفر ، من شذى يومهم الأغر ، حيث ينعمون بجمال وجوده ، وجلال جوده ، على مهاد صبغه الطارف ، وأضواء تاريخه التليد .

انه اليوم الذى يحمدون فيه السرى ، ويستعذبون بعده الكرى ، ويلذ لهم فيه الطعام ، ويبل شرابهم الأوام ، بعد ما حرمهم السهاد من الرقاد ، وما قاسوا من سغب وتعب شديد .

لقد صاموا نهار رمضان ايمانا واحتسابا ، وقاموا لياليه طلابا ورغابا ، وتحملوا مشقاته زلفى واقترابا ، وتجملوا بعباداته حبا وارتقابا وسابقوا فى الانطلاق ، الى أوسع الآفاق ، فى ميدان الانفاق ، وبزوا الريح ، فى الرياض الفيح ، بزهور البذل ورياحين الجود

.. وتضمخوا فيه بعطور الفرقان ، وتلوا مع لياليه آيات القرآن ، فأضاءت لهم سبل الحياة ، وعبدت أمامهم مسالك النجاة، ومهدت لهم طريقا ــ فى الخير ــ يبسا ، على سطح الماء ، وفوق متن الهواء ، لا يهب عليه اعصار ولا يحدث فيه عثار ، ولا يعرف مجتازه الوعثاء ، ولا ينقطع بسالكه الرجاء ، ولا يقف السارى فيه عند عوائق او حدود

انها الروحانية الخالدة ، والربانية الماهدة، والعلوية الرائدة، صهرتهم فى بوتقة الاختبار ، ودربتهم على مس النار ، فاتشحوا وشح الأبرار ، وارتدوا حلل الأطهار، واكتسوا برود الأخيار ، وشعوا بأنوار الهدى ، وربعوا فى مجانى الندى ، وعرفوا سر التقوى، وذاقوا طعم النجوى ، وأضحوا قاب قوسين أو أدنى من هالات المجود .

عرفتهم الأيام عابدين سائحين ، وخبرتهم الليالى راكعين ساجدين ، ورأتهم الشمس فى سمت الأتقياء ، وشاهدهم النجم فى صبغ الخلصاء ، ونظرتهم الأعين فى دوح العبادة ، يقطفون جنى السعادة ، ويجنون من أشجارها أشهى الثمر ، ويستخرجون من أصدافها أغلى الدرر . ويعزفون فى أيكها الحانا من أغاريد اليوم المشهود .

لقد جاسوا بأرواحهم خلال أنواره، وادركوا فى راحهم جلال أسراره ، وفتحوا فى نشوتهم بعض نواره ، ولمسوا فى ثقة روحه وريحانه . ومسوا فى مقة روضه وأفنانه ، .. وعلقوا هناك تلاوته وقرآنه ، ثم طافوا مهطعين حول كعبته ، واستفوا طائعين ترب حلبته ، فرنوا الى مجد الحدود ، ودنوا من مهد السعود ، ليرفعوا على ساريته اعلى البنود

ان رحلتهم ــ فى رمضان ــ كانت الى السماء حيث جازوا طبقات الهواء ، ومازوا سمت الجوزاء ، وبلغوا ما بلغ أو لو النهى، عند سدرة المنتهى ، حيث طابت لهم الظلال ، ومالت نحوهم الآمال ، وحلت عن أرواحهم القيود

وقد مروا فى رحلتهم بأعلى المقامات ، ووقفوا بزمرتهم عند أجل الذكريات ، ودخلوا مع الزمن صرح التاريخ المرد ، وساروا على الدمن فى المهيع المعبد .. فرأوا معارض المجد مشدودة الى عوارض الخلد ، وشاهدوا صور الحمد ، موجودة على سور القصد ، وشموا أرج الفوح ، على درج « الفتح » وعلى منائر العمل الرشيد .

نعم .. وشاهدوا الاسلام فى طلعته ، والايمان فى صمدته ، والقرآن فى نزلته ، والحق فى صولته ، والدين فى جدته والشرك فى شدته ومحمدا فى وثبته .. والفطرة فى روعتها ، والعزة فى بزتها ، والتضحية فى حليتها ، والفدائية فى زينتها ... والضلالة فى توبتها ، والعماية فى أوبتها ، والكفر وخضوعه والشرك وخنوعه ، والافك وخشوعه ، أمام صلصلة الكفاح المجيد

وكان من الصور التى وقفوا أمامها ، واستطابوا نجمها ، صورة محمد وهو فى « الغار » ، يبحث عن قرار ، لنفسية الأحرار مناجيا ربه ، مناديا حبه ، كى يحرر ملكه من الأرجاس ، وينقذ فلكه من الأدناس ، ويطهر بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود

ومن بينها منظر الروح الأمين ، ينزل على سيد المرسلين ، بأول الآيات النازلات، بخاتمة الدعوات والرسالات ، : «اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .. فيضع بذلك أدق الأسس، ويشعل فى الحياة أقوى قبس لهيكل «القدس العلمى» الفريد .

وفى وسطها تبدو لوحة « الفتح » قوية النفح ، حيث يظهر النبى القائد ، والرسول الرائد بين أحفاده وقواده ، يقدم مهاجريه وأنصاره ، وأصحابه وأحباره ، كى يحطم الكفر واسواره ، ويقصم الشرك وأستاره، ثم يدخل « مكة » منتصرا ، ويعلوها مظفرا، فيملك جيد « أجياد » ، وسيوفه فى الأغماد ، لا ترمى الصدور ، ولا تصيب النحور ، وان كانت من الرعب تمور ، .. ثم يطلق الكلام فى احكام ، ويمد يده بأغصان السلام ، ويقول لمنافقيه الأعداء ، وخصومه الألداء ، : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ، .. ثم يطهر البيت الحرام من أدران

الطغام ، وعبث اللئام ، ويرفع على هـــام الصمصام أروع الأعلام ، ويفرع الرماح ، فلق الاصباح ، فى افناء ذلك البيت العتيد

ومن أيمنها طالعا ، وأحسنها موقعا، صورة البدر فى سماء « بدر » ، وهو يلقى ضوءه على الجوزاء ويرسل نوره الى العلياء ، فيتحدد موضع اللقاء ، ويتحدد وضع الأعداء ، فيخف وليهم ، ويجف وبلهم ، ويدلف ويلهم ، وتنحنى رأسهم ، وينثنى بأسهم، ويلتف الجيش الفتى حول الرسول النبى ، مؤتلق التاج فوق المفرق منعقد النصر على المنطلق ، ويصبح ، وهـــو جيش القلة ، للكثرة الضالة مصدر ذلة وتغدو سطوته أسطورة ، على قلوب الأعداء مسطورة، فتقذفها بالرعب ، وترميها بالعضب ، وتنثر على شفافها مسحوق الفزع الشديد

ومن أروع ما شاهدوا ، وأطبع ما راودوا ، تلك الرسوم الضوئية الساحرة ، والنبـرات الصوتية الآسرة ، والصور السماوية الباهرة التى ظهرت على مسرح « ليلة القدر » التى هى « خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر » .. فان مناظرها أخـــاذة ، ومآثرها نفاذة ، وأضواءها طلائع ، وأفتاءهـا بدائع ، وأخبارها فرائد ، وأسرارها قلائد ، وسحرها تنزيل ، وفجرها تاويل ، وما تفيض به من جمال وجلال ، مرده الى الله الفعـال لما يريد .

كذلك طافوا بأكناف الاعتكاف ، وحفـــوا بجناته الألفاف ، وارتشفوا من رحيق التعبد وعرفوا جلال التقيد ، وأفاءت عليهم المساجد من روحانيتها ، ونفحتهم المعابد بقدسيتها ، واجتلوا فيها لذائذ التسابيح ، واجتنوا منها قطوف التراويح ، وارتفعوا على اجنحة الأملاك الى اعلى سماك ، وصعدوا فوق برج الانسانية الرفيع ، على اطلال حصن الشهوة المنيع ، بعد أن احرقوا بوهج ايمانهم نوازعه التى لا تـكاد تبيد

لقد عاشوا طوال شهرهم الكريم يجاهدون الشهوات ، وقضوا موسمهم العظيم يجالدون الرغبات ، وفى كثير من الحالات ، غلبتهـم العبرات ، « **واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع** » ، .. ولهـذا اتصلوا بالملأ الأعلى ، واجتلوا النـور الاسنى ؛ ووقاهم رحيم الرحما ، غياهب الفى والعمى ولم يجعل عليهم سلطانا لعدوهم العنيد

وقد رقوا بحواسهم حتى عرفوا لذة العطش والجوع وسموا بنفوسهم حتى أدركوا كيف يكون لله الخضوع ، فترسموا سنن الحق ، وتسنموا صرح الرفق، وتنسموا عبق الصدق، وتوسموا العزة فى قتل الشهوة الجسمية ، وحسموا الموقف مع الدوافع الفـــرزية ، فصعدوا الى مشارف العظمة ، وخلدوا الى مشارق التكرمة ، بعد أن حرروا أرواحهم من الذنوب ، وطهروا أشباحهم من اللغـــوب ، وضربوا بينهم وبين النزق والطيش بســور يقف عنده « **العباد** » وان كان يجتـــــازه « **العبيد** »

واتماما للتطهير ، واكمالا للتحرير ، أذلوا رءوس الأموال ، ورفعوا هام الســؤال ، وحفظوا كرامة الرجال ، فمروا بزكاة الفطر ، كزجاجات العطر ، تمسح بالعبير على جبين الفقير ، وتمنح الغنى من لا يعرف القطمير ، وتسكب كئوس اللجين فى أفواه كل محروم ، وتمحو ذلة البؤس عن كل مكلوم ، وترقأ من العفاة الدموع ، وتوقد للعفاة الشموع ، فى بيوت طالما أوهن عرفها العوز ، وأطفأ شبابها القديد .

وهكذا تفعل الانسانية الكاملة ، وهــكذا تنتج الايمانية المتغلغلة ، وهكذا يطول الرشاد ، ويشتد الاخاء ، ويحكم الصفاء ، وتمتد حبال النجاح الى مدى بعيد

ومن حق هؤلاء وهؤلاء ، أن تشع عــلى وجوههم الأضواء ، ويلمع فى جباههم السناء ، وتداعب شـعورهم النسمات ، وتفاكـه احاسيسهم البسمات ، وتضمخ أرواحهـم العطور ، وتزين بهم الزهور ، وتزدان بارجهم الدهور ، .. فقد جاهدوا وجالدوا،وساندوا وعاضدوا ، وكانوا قبل هذا وذاك صـورة مشرقة للمسلمين ، وطبعة مشرفة للمؤمنين فمن حقهم أن يحتفلوا بالعيد ، وأن يحفـلوا باليوم السعيد ، وأن ينعموا بالسعادة الوارفة بعد ذلك الجهد الجهيد

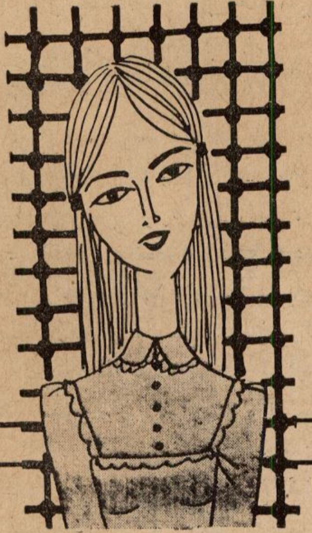

الإسلام قد أنصف المرأة

الأستاذ محمد عطيه الإبراشي

من العجيب أن يدعى المرجفون والمتعصبون أن الاسلام ظلم المرأة ، ولم ينصفها ، وسلبها حقوقها ، ولم يضعها فى الدرجة التى تليق بها . ولو نظر هؤلاء بعين الحق والعدالة الى ما ورد فى القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، وسيرة الخلفاء الراشدين ، والسلف الصالح من المسلمين لأقروا واعترفوا بغير تردد أن الاسلام قد أنصف المرأة الانصاف كله ، وأعطاها حقوقها كاملة ، وجعلها فى مكانة عالية ، ومنزلة سامية ، بعد أن كانت تباع وتشترى وتملك فى أروبة وتعد رجسا من عمل الشيطان عند الاغريق القدماء ، ومتاعا يورث فى الجاهلية بين العرب ، ولا يعرف لها قدر بين الفرس ، وتحتقر فى مصر أيام الفراعنة ، وتحبس فى الصين قديما ، وتجعل خادما عند اليهود .

وفى سنة ٥٨٦ ميلادية قد عقد اجتماع فى فرنسا لبحث هذا الموضوع :

« هل المرأة تعد انسانا أو غير انسان ؟ » وبعد نقاش وجدال طويلين قرر المجتمعون أنها انسان ، ولكنها خلقت لشىء واحد هو أن تخدم الرجل فحسب . وبهذا القرار جعلوها بمثابة خادم ، فى حين أن الاسلام منح المرأة حقوقا ، وكلفها واجبات ، وجعلها مساوية للرجل فى المجتمع الانسانى ، وفى المعاملات المالية ، وفى طلب العلم ، ورفع منزلتها ، ودافع عنها ، وطالب بانصافها .

ورأفة بالمرأة كلف الاسلام الرجل أن ينفق عليها ، ويقوم بمطالبها ، ويحافظ عليها ، ويدفع لها مهرا حينما يتزوجها . قال صلى الله عليه وسلم : « **أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو أكثر ليس فى نفسه أن يؤدى اليها حقها ، خدعها فمات ، ولم يؤد اليها حقها ، لقى الله يوم القيامة وهو زان** » .

فالاسلام قد أنصف المرأة ، وأعطاها حقوقها، وعمل على صيانة شرفها ، والمحافظة على كرامتها .

واذا كان للوالدين أبناء وبنات فالاسلام يوجب على الأب الانفاق على أولاده ، ولا يكلف الأم شيئا من النفقة ، مهما تكن غنية .

وللمرأة المسلمة المتزوجة الحرية فى أن تتصرف فى ثروتها كما تريد فى حدود القانون فلها الحق فى أن تبيع ما تشاء ، وتشترى ما تريد ، وتودع مالها فى المصرف الذى تختاره ، وتحتفظ بمالها وأرباحها لنفسها ، لا دخل لزوجها فى دخلها من المال . واذا توفى زوجها كان لها نصيب فى تركته « **ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد . فان كان لكم ولد**

فلهن الثمن مما تركتم .. » ولها الحرية فى أن تتعاقد مع من تريد ، دون تدخل من أبيها أو زوجها .

وقد أجاز الدين الاسلامى للمرأة أن تتملك وتكون وكيلة عن غيرها ، وتطلب رزقهـــا ، وتوظف فى العمل الذى تختاره لنفســـها ، وتتصرف فى ثروتها كما يتصرف أخوها وابوها وزوجها . قال الله تعـــالى : « **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ، ولا يظلمون نقيرا** » .

وقال جل شأنه : « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ».
وقال تعالى : « **فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم ، من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض** » .

من هذا كله يتضـح كل الوضـــوح أن الاسلام قد أنصف المرأة كل الانصاف ورأف بها ، وعطف عليها كل العطف ، ولم يهضمها حقا من حقوقها ، سواء أكانت بنتا أم زوجة أم أما .

هذا ما نادى به الاســلام ، فى حين أن

القانون الرومانى قد ورد فيه أن « المرأة ليست أهلا للتصرف مدة حياتها كالطفل . ويجب أن يوكل أمرها لرب الأسرة . وجاء فى القانون الفرنسى أن « المرأة ليست أهلا للتعاقد دون رضا زوجها واجازته » .

فالمرأة فى القوانين الوضـــعية لا تملك التصرف لنفسها ، فى حين أن الاسلام يعطيها حق التصرف فيما تملك بالبيع والشراء والرهن كالرجل . ويكفينا ما قاله الرسول الكريم : « **ما زال جبريل يوصينى بالنساء حتى ظننت أنه سيحرم طلاقهن** .

ولا نبالغ اذا قلنا أن **المرأة المســـلمة** قد أعطيت من الحقوق ما لم تعطه المرأة الغربية اليوم ، وأن الاسلام قد أنصـــفها ، وعاملها معاملة انسانية كريمة ، فكان لها منزلة رفيعة ، ودرجة سامية فى العصور الاسلامية الأولى . فالاسلام مفترى عليه بالكذب والبهتان ، من أعداء لا يعرفون الحق ، لأنهم لا يرونه ، ولا يعرفون العدالة والانصـــاف ، ولا يفهمـــون الاسلام على حقيقته .

بعض الفضليات من المسلمات

فى القرون الاسلامية الستة الأولى كان بعض الفضليات من المسلمات يعقدن مجالس العلم والأدب ، والمناظرة والمساجلة ، ويحكمن بين العلماء والأدباء . فاذا ما شبت الحرب خرجن يشحذن همم الرجـــال ، ويواسين الجرحى ، ويثنين على الشجعان . ولنذكر هنـــا بعض الأمثلة للسيدات المســـلمات ، فى عصـــور العظمة الاسلامية :

(١) **كانت السيدة خديجـــة** أول من شجع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأول من قاسم فى جهوده ، وأعانه بالعطف والرأى والمال .

(٢) **السيدة عائشة** بنت أبى بكر الصديق، وزوجة الرسول الأمين كانت سيدة مثالية ، للمسلمة العربية . ولها أثر كبير فى الفقـــه الاسلامى ، والحيـــاة الاجتماعية والسياسية للمسلمين . وكان يرجع اليهـــا فى الأحاديث النبـــوية . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **خـــذوا نصف دينـــكم عن هذه الحميراء** » .

(٣) **السيدة فاطمة الزهراء** ، **بنت المصطفى** عليه الصلاة والسلام ، أدبها الرسول فأحسن تأديبها ، ورباها فأحسن تربيتها ، فكانت آية فى الفضيلة والعلم . وتزوجت على بن أبى طالب ، كرم الله وجهـــه ، وهى أم الحسن والحسين . وهما سيدا شباب العرب . كانت لا تهمل شئون بيتها ، فاذا ما فرغت منه ومن الفرائض جمعت الصـــحابة ، وأخذت تنثر فيهم الحكم الثمينة ، والنصائح الغالية ، وتحثهم على الفضائل .

(٤) **السيدة سكينة** بنت الحسين رضى الله عنه ، كانت جوهرة فريدة بين النساء ، وآية زمانها ، فى العلم والأدب ، كاملة الأخلاق ، محبة للتعلم ، تجلس مع العلمـــاء والأتقيـــاء ، وتشـــاركهم فى كثير من العلـــوم والآداب

والفنون . وكانت دارها مثابة للعلماء والادباء . وقد اشتهرت بالنقد الصائب فى الشعر العربى ، وفى الكرم والفضل على الشعراء .

(٥) **زبيدة** زوج هارون الرشيد ، كانت لها مكانة عظيمة فى عصرها ، لأخلاقها النبيلة ، وأعمالها الجليلة ، وفضائلها الكثيرة . فهى التى أمدت مكة بالماء الصالح للشرب من العين التى عرفت باسمها ، وهى عين زبيدة . وهى التى أمرت ببناء اسكندرونة بعد أن دمرها البيزنطيون . وكانت تقرض الشعر الجيد . ولها آراء صائبة فى السياسة والحروب .

(٦) **شهدة** الملقبة بفخر النساء فى القرن الخامس الهجرى ، كانت تلقى دروسا فى الأدب والتاريخ فى جامع ببغداد على الجمهور . وكان لها منزلة علمية كبيرة فى التاريخ الاسلامى . ولهذا كان يحضر دروسها كثير من العلماء والفضلاء .

(٧) ومن السيدات المسلمات البارات البارزات **الخيزران امرأة المهدى** الخليفة الثالث من بنى العباس . وكانت من العجائب فى عقلها وذكائها ، وكياستها وشجاعتها ، يقف ببابها الوزراء والعلماء والشعراء .

(٨) **وبوران** زوجة المأمون المسلمة الفارسية ، لم تقعد بها فارسيتها ، فقد جمعت بين الكرامة الاسلامية والكياسة الفارسية ، وعرفت بالذكاء وحسن التصرف . وأقامت فى بغداد المدارس والمستشفيات .

(٩) ومن الشهيرات فى الاسلام **قطر الندى** زوجة المعتضد بالله ، وأم المكتفى . كانت عالمة فذة ، خبيرة بالشريعة الاسلامية والقضاء . فقامت بالوصاية على ابنها قبل أن يبلغ سن الرشد ، وأدارت الأحكام ، وقضت بنفسها بين الناس ، وأحاط بها كثيرون وكثيرات من الشعراء والشواعر ، والأدباء والأديبات .

(١٠) **شجرة الدر** زوجة نجم الدين أيوب ، قد أدارت بنفسها رحى الحرب على ملك فرنسا ، سان لويس ، واعترف لها الناس بأنها مليكة مصر .

(١١) ورقى الأمير سليم عرش فارس فتزوج السيدة **مهر النساء** ، وكانت تتقن اللغتين العربية والفارسية وآدابهما . ولها علم واسع ودراية تامة بالموسيقى . وكانت موفقة فى عملها ، تعرض الجند ، وتستقبل الأمراء والحكام . وقد حدث مرة أن زوجها وقع أسيرا فى بعض الحروب ، فقامت على رأس الجنود ، فاستخلصته من قبضة الأعداء . وكانت تربى اليتامى واليتيمات ، وتعطف عليهم وتزوجهم ، وكانت موئل المظلومين ، وملاذ المعدمين . وكان زوجها الأمير سليم يدعوها **(نور القصر)** ، وكان الشعب يدعوها **(نورجهان)** أى نور الدنيا .

وفى الأندلس بلغت المرأة المسلمة الأوج ، وحلت الذروة . قال (فون كريمر) :

« ان العرب كانوا مفطورين على احترام النساء فى قرطبة . ومنها تعلم الأوربيون احترام السيدات » .

فالاسلام قد أنصف المرأة كل الانصاف ، ومنحها من الحقوق ما لم تمنحه المرأة الغربية اليوم . والمرأة المسلمة كانت مكانتها سامية فى العصور الاسلامية الأولى ، عصور العظمة فى الاسلام وقد وقف التقدم وعدنا الى القهقرى فى العصور الاستعمارية المظلمة ، فرجعت المرأة الى الوراء ، لأن الاحتلال قد حرمها العلم والتعلم . لأنه تحكم فى التعليم فى البلاد الاسلامية ، وحكم عليها بالجهل والأمية مدة طويلة . فلا عيب فى الاسلام ، ولكن العيب فى الاستعمار . فقد أوجب الاسلام على الرجل والمرأة أن يتعلما ويطلبا العلم . قال الرسول الكريم : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة** » .

فاذا أراد المسلمون فى جميع البلاد الاسلامية استرداد عظمتهم القديمة ، وتاريخهم المجيد فعليهم أن ينهضوا بتثقيف البنات المسلمات ، وتربيتهن تربية اسلامية مثالية حتى يصلن الى المستوى العلمى الذى كانت تتمتع به المرأة المسلمة فى عصور العظمة الاسلامية .

صفحات من التاريخ

بين الشيخ درويش خضر ومحمد عبده

الأستاذ عبد المنعم حمادة

عنى المؤرخون الذين كتبوا عن الامام محمد عبده ، والذين أبانوا عن جهاده فى خدمة الاسلام والمسلمين ، بابراز الصلة التى قامت بين هذا الامام العظيم الذى تحمل فى سبيل دعوته الاصلاحية سواء فى الناحية الدينية أو الاجتماعية أو التعليمية ، وبين السيد جمال الدين الأفغانى الذى اضطهد ونفى من بلاده ، وعاداه الاستعمار فى كل مكان رحل اليه ، والذى طاف بكثير من بلاد العالم يحمل فى قلبه أملا كبيرا لمستقبل الأمة الاسلامية ، وينادى بالحرية والعزة للمسلمين فى كل بقعة من بقاع الأرض .. عنى المؤرخون بهذه الصلة التى قامت بين المصلح الدينى الاجتماعى الكبير الذى ولد ونشأ فى قرية مغمورة من قرى الريف المصرى تدعى « محلة نصر » وبين الفيلسوف الثائر الذى ولد فى قرية « سعد أباد » من أعمال كابل ببلاد الأفغان ، ثم عنوا بعد ذلك ببيان الأثر الذى تركته هذه الصلة بين الرجلين ، ثم النتائج التى أدت اليها هذه الصلة بالنسبة للدعوة التى توفرا عليها ، وبالنسبة للخطوات العملية التى خطتها النهضة الدينية والاجتماعية فى الشرق الاسلامى ، وبالنسبة لموقف الدول الاستعمارية من هذا الشرق .

وليس من شك فى أن المؤرخين كانوا على حق فى تناول هذا الجانب من حياة الامام محمد عبده ، والاطالة فى شرحه ، والافاضة فى توضيح ما خفى منه كلما تهيأت لهم الفرص، ذلك لأن اتصال محمد عبده بجمال الدين الأفغانى كان فاتحة عهد جديد فى حياة الامام ، كما كان بداية لحركة شاملة طافت بالبلاد الاسلامية تحمل بين طياتها الأمل فى مستقبل زاهر تشرق فيه الشمس بنورها القوى لتحرق ماعلق بالنفوس الضعيفة من أوهام باطلة، وخرافات كاذبة مضللة ، وتضىء الجوانب التى غمرها الظلام ، وعشش فيها البغى والظلم والفساد ، وفى هذه الصلة التى قامت بين الرجلين يقول الأستاذ عباس محمود العقاد : « كان لقاء السيد جمال الدين الأفغانى أهم

حادث فى تربية الفتى الناشىء محمد عبده ، لأنه رده الى سجيته، وأقامه على جادة العلم والعمل التى استقام عليها بعد ذلك طول حيـــاته ، واستقل بها حسب استعداده وفطـــرته حتى استقل بها آخر الأمر عن طريق أستاذه بعد أن فرقتهما الحوادث اضطرارا ووجب أن يعمل كل منهما على جادته ومنهاجه »

والواقع أن نفس الامام كانت فى حيرة وكانت فى قلق ٠٠ قلق من حياة الريف المظلمـــة القاتمة التى يخيم عليها الظلم والطغيان، وقلق من طريقة التعليم فى الجامع الأحمدى بطنطا، وقلق من نفس الطريقة التى وجدها فى الأزهر الشريف بعد ذلك ، والتى لم تكن تختلف عن تلك التى وجدها من قبل فى الجامع الأحمدى ٠٠ كانت نفس الامام قلقة حائرة الى أن التقى بجمال الدين فعرف الطريق التى استقام عليها حتى آخر حياته ، فقد استفاد محمد عبده من جمال الدين كما يقول الأستاذ أحمد أمين : **« بصرا بالدنيا التى حجبها الأزهر ، وتحولا من تصوف خيالى الى تصوف فلسفى عملى ، ورغبة صادقة فى العمل للأمة ، وشوقا الى الاصلاح الدينى والخلقى والاجتماعى ، وميلا ملحا الى اجادة قلمه حتى يتصل بالرأى العام عن طريق الكتابة فى الصحف »**

وأخيرا يقول الامام نفسه عن هذه الصلـة وأثرها فى نفسه : **« ان أبى وهبنى حيـــاة يشاركنى فيها على ومحروس ـ أخوان للامام عاشا فى قرية محلة نصر ـ والسيد جمال الدين وهبنى حياة أشارك فيها محمدا وابراهيم وموسى وعيسى ، والأولياء والقديسين »** ٠

من هذا العرض السريع للعلاقة التى نشأت بين الرجلين العظيمين ، وأثر هذه العلاقة على حركة الاصلاح فى القرن العشرين لانجـــد غرابة فى اهتمام الكتاب والمؤرخين بابراز هذه الناحية ، ولكننا مع اعترافنا بما كان لهـــذه المرحلة من أهمية ، وما كان لها من تأثير لفت الانظار ودعا الاقلام الى الـــكتابة ، لايجب أن نتغاضى عن مرحلة سابقة من مراحل حياة الامام تلك هى المرحلة التى سبقت التحاقه بالأزهر واتصاله بجمال الدين ، تلك المرحلة التى وقف فيها فى مفترق الطرق حائرا لايدرى أيها يسلك حتى انتشله رجل عاش فى احدى القـــرى المغمورة كذلك يدعى الشيخ « **درويش خضر** »

٠ ولم تكن هذه المرة هى المرة الوحيدة التى وقف فيها محمد عبده فى مفترق الطرق ، فاننا حين نصاحب الطفل محمد عبده ، وحين نصاحب الفتى محمد عبده ، وحين نصاحب الشيخ محمد عبده ، بعد ذلك ، فلا نراه أبدا ـ كما يقول الأستاذ عباس العقاد : **« الا على مفترق طريقين من طرق التعليم ، أصلحهما هو الذى يختاره له القدر أو يختاره لنفسه ، منذ تعلم الكتابة فى بيته الى أن فارق دنياه ، وهو يناضل نضاله الدائم فى سبيل أصلح الثقـافتين ، وألزم التعليمين »** ٠٠ كانت الأولى حين اختار له القدر أو اختار له أهله أن يتعلم أولى مبادىء القراءة والكتابة فى داره على يدى معلم خاص بعيدا عن عنت السوط « والفلقة » وجلبة الصياح فى الكتاب ، وكانت الثانية حين غادر الجامـــع الأحمدى بطنطا ليعود الى قريته ويتزوج ليكون زواجه وسيلة للهرب من الجامع الأحمـــدى وطريقة التعليم فيه ، وليجعل أهله أمام الأمر الواقع فلا يرغمونه بعد ذلك على العودة الى طنطا ثم يضطر بعد قليل الى هذه العـــودة تحت ضغط والده واصراره على ان يهيىء لولده الناشىء حياة أفضل من تلك الحياة التى كان يحياها أغلب شباب القرى من أمثاله فى ذلك الوقت وكانت الثالثة حين التقى بذلك الشيخ « درويش خضر » الذى أشرنا اليه ، والذى وجد عنده شيئا من العلم غير ذلك الذى عـرفه فى الجامع الأحمدى وجعله يقارن بين تلك الحياة التى كان يريدها لنفسه ، وبين تلك الحياة الجديدة التى يدفعه اليها ذلك الشيخ، ثم يجد نفسه فى النهاية أنه قد عرف الطـــريق الصحيح ٠٠ وكانت الرابعة حين التقى بجمال الدين فكان له ذلك الأثر الكبير فى حياته كلها بعد ذلك ٠٠ وكانت الخامسة حين قامت الثورة العرابية وراح يفكر فى الطريق الذى يجب أن يسلكه ، طريق الوقوف من الثـــورة موقف الناصح دون المندفع فى تأييده أو طريق المندفع فى هذا التأييد وهو الذى يدعو الى الاصلاح بالتعليم والتربية ، ثم ينتهى به الرأى الى ان

يكون من المؤيدين الداعين الى الأخذ بيد الثورة وتشجيعها بكل مايملك أفراد الشعب من قوة وايمان ٠٠ وتتابع المرات وهو فى كل مرة يجد نفسه مدفوعا الى مايختاره له القدر ، أو الى ماينتهى اليه الرأى ٠

ولن نكون من المغالين اذا قلنا ان المرحلة التى قابل فيها الشيخ « درويش خضر » كانت الأساس الذى بنيت عليه حياته كلها بعد ذلك ، وكانت حجر الزاوية التى دارت حوله مراحل تطوره منذ أن عاد الى الجامع الأحمدى بطنطا للمرة الثانية الى أن فارق الدنيا بعد أن أدى واجبه نحو ربه ، ونحو دينه وقومه ٠٠ وكان الشيخ درويش هذا يعيش فى قرية تسمى « كنيسة أورين » ، وكان كما يقول الأستاذ أحمد أمين : « **من الشخصيات اللطيفة التى تظهر فى بعض البيئات المصرية على قلة ٠٠ وهى شخصية متصوفة تمتاز بنور البصيرة أكثر مما تمتاز بسعة العلم ، تعرف الدنيا وشئونها ، وتزهد فى قيمتها عن علم لا عن غباء ، وخير عبادتها ذكر الله بالقلب لا باللسان ولا بالأوراد ، تعمل فى الدنيا كما يعمل أهلها، ولكن فى رفق وتسامح وميل الى الخير ، هى شخصية من أولئك الذين يرون الدنيا جسرا الى الآخرة ، فلا بد أن يعبر الجسر فى أمان ، يألمون لغفلة الناس وطغيان المادة عليهم وتورطهم فى المفاسد ويشفقون عليهم ويعملون ما أمكنهم لانقاذهم فى هوادة يشع النور فى قلوبهم على وجوههم فيكون منظرهم وتصرفهم وحركاتهم وسكناتهم منظرا جذابا يستدعى الحب والاعجاب** » ٠

ويقول : « **وكان الشيخ درويش متأثرا بتعاليم السنوسية التى تتفق مع الوهابية فى الدعوة الى الرجوع الى الاسلام الأول فى بساطته الأولى وتنقيته من البدع ، وذلك على أثر رحلته الى طرابلس الغرب واجتماعه بأتباع السنوسى هناك ٠**

وكنيسة أورين هى القرية التى هرب اليها محمد عبده فى طريق عودته الى طنطا بعد أن أرغمه والده على هذه العودة ليحقق أمله فى ولد نجيب يشق الطريق الى حياة أفضل من تلك الحياة التى كان يحياها أهل الريف فى ذلك الوقت ٠٠ وفى هذه القرية التقى الفتى الناشىء محمد عبده بذلك الشيخ الطيب الصالح درويش خضر ، وكان هذا اللقاء مفترق طريقين من طرائق التعليم ، طريقة الأذن والذاكرة ، وطريقة الذهن والوجدان ، كما يقول الأستاذ العقاد ٠٠ ولقد كان من بواكير العظمة فى هذا الفتى الناشىء أن يركن الى عقله فى الحكم على الطريقة الأولى بالعقم ، وأن يمضى فى سبيله وفقا لما تقضى به أصول الطريقة الثانية ٠٠ وكتب الامام محمد عبده عن هذه الفترة من حياته ، وعن الطريقة التى لجأ بها الى قرية ذلك الشيخ يقول :

« بعد أن تزوجت بأربعين يوما ، جاءنى والدى صحوة نهار ، والزمنى بالذهاب الى طنطا لطلب العلم ٠٠ وبعد احتجاج وتمنع واباء ، لم أجد مندوحة عن اطاعة الأمر ، ووجدت فرسا أحضره فركبته ، وأصحبنى والدى بأحد أقاربى ٠ ٠ وكان قوى البنية شديد البأس ، ليشيعنى الى محطة ايتاى البارود التى أركب منها قطار السكة الحديد الى طنطا ٠

كان اليوم شديد الحر ، والريح عاصفة ملتهبة ، تحصب الوجه بشبه الرمضاء فلم استطع الاستمرار فى السير ، فقلت اصاحبى : أما مداومة المسير فلا طاقة لى بها مع هذه الحرارة ، ولابد من التعريج على قرية انتظر فيها حتى يخف الحر ٠٠ فأبى على ذلك فتركته ، واجريت الفرس هاربا من مشادته وقلت انى ذاهب الى كنيسة اورين ــ بلدة غالب سكانها من خئولة أبى ــ وقد فرح بى شبان القرية لأننى كنت معروفا بالفروسية ، واللعب بالسلاح ، وأملوا ان أقيم معهم مدة يلهو فيها كل منا بصاحبه ٠٠ أدركنى صاحبى وبقى معى الى العصر وأرادنى على السفر ، فقلت له خذ الفرس وارجع وسأذهب صباح الغد ، وان شئت قلت لوالدى اننى سافرت الى طنطا ٠٠ فانصرف وأخبر ما أخبر ،وبقيت فى هذه القرية خمسة عشر يوما تحولت فيها حالتى ، وبدات فيها رغبة غير رغبتى ٠

وكتب الامام محمد عبده فى المذكرات التى بدأها قبل وفاته بقليل يشرح مصاحبته

للشيخ درويش وعن الظروف التى حولت حالته ، والأسباب التى بدلت رغبته فيقول :

« ذلك أن احد أخوال أبى ، واسمه الشيخ درويش ، سبقت له أسفار فى صحراء ليبيا ، ووصل فى أسفاره الى طرابلس الغرب ، وجلس الى السيد محمد المدنى والد الشيخ ظافر المشهور الذى كان قد سكن الأستانة وتوفى بها وتعلم عنده شيئا من العلم ،وأخذ عنه الطريقة الشاذلية ، وكان يحفظ - الموطأ وبعض كتب الحديث ويجيد حفظ القرآن وفهمه ، ثم رجع من أسفاره الى قريته هذه ، واشتغل بما يشتغل به الناس من فلاحة الأرض وكسب الرزق بالزراعة . »

« جاءنى هذا الشيخ صبيحة الليلة التى بتها فى الكنيسة وبيده كتاب يحتوى على رسائل كتبها السيد محمد المدنى الى بعض مريديه بالاطراف بخط مغربى دقيق ،وسألنى ان أقرأ له فيها شيئا لضعف بصره ، فدفعت طلبه بشدة ولعنت القراءة ومن يشتغل بها، ونفرت منه أشد النفور..ولما وضع الكتاب بين يدى رميته الى بعيد ، لكن الشيخ تبسم وتجلى فى ألطف مظاهر الحلم ، ولم يزل بى حتى أخذت الكتاب وقرأت منه بضعة أسطر ، فاندفع يفسر لى معانى ماقرأت بعبارة واضحة تغالب اعراضى فتغلبه وتسبق الى نفسى، وبعد قليل جاء الشبان يدعوننى الى ركوب الخيل واللعب بالسلاح والسباحة فى نهر قريب من القرية ، فرميت الكتاب وانصرفت اليهم.. بعد العصر جاءنى الشيخ بكتابه ، وألح على فى قراءة شىء منه ، فقرأت ثم تركته الى اللعب وفعل فى اليوم الثانى كما فعل فى الأول .. أما اليوم الثالث فقد بقيت أقرأ له فيه ،وهو يشرح لى معانى ماأقرأ نحو ثلاث ساعات لم أمل فيها ، فقال لى انه فى حاجة الى الذهاب الى المزرعة ليعمل فيها فطلبت منه ابقاء الكتاب معى فتركه ، ومضيت أقرأه وكلما مررت بعبارة لم أفهمها وضعت عليه علامة لأسأله عنها الى ان جاء وقت الظهر ، وعصيت فى ذلك اليوم كل رغبة فى اللعب ، وكل هوى ينازعنى الى البطالة .. وعصر ذلك اليوم سألته عما لم أفهمه ، فأبان معناه على عادته ، وظهر عليه الفرح بما تجدد عندى من الرغبة فى المطالعة والميل الى الفهم »

وأغلب الظن ان الشيخ درويش قد لمح على وجه الفتى محمد عبده علامات الفطنة والذكاء وأدرك من حديثه عن حفظ القرآن وتجويده ، وعن الجامع الأحمدى وطريقة التعليم فيه، وأساليب المدرسين فى القاء دروسهم ،والكتب ذات الورق الأصفر التى كانت تلقن للطالب دون تقدير لقدرته أو محاولة لتفهيمه .. وأغلب الظن أن الشيخ درويش شعر من ترديد محمد عبده لقصة الهرب من الجامع والعودة الى محلة نصر والزواج المبكر الذى اعتقد أنه يحول بينه وبين العودة الى هذا الجامع .. أغلب الظن ان ذلك الشيخ الطيب أدرك من هذا كله ماتنطوى عليه نفس الفتى من قلق، ومن طموح تقف الحيرة ويقف عدم وجود الموجه القدير دون تحقيقه ، ولذلك جعل من نفسه ذلك الموجه والناصح لعل الفتى يستقيم على الطريق الصحيح .. وهذا ماحدث بالفعل فقد كان الشيخ درويش مفتاح السعادة لطالب العلم الذى وقف على مفترق طريقين ..وكتب الاستاذ الامام فى مذكراته عن هذه الفترة وعن رسائل السيد محمد المدنى التى كان يطالعها للشيخ مايوضح لنا مقدار هذا الأثر حيث يقول :

« كانت هذه الرسائل تحتوى على شىء من معارف الصوفية ، وكثير من كلامهم فى آداب النفس وترويضها على مكارم الأخلاق ،وتطهيرها من دنس الرذائل ، وتزهيدها فى الباطل من مظاهر هذه الحياة الدنيا .

« لم يأت على اليوم الخامس الا وقد صار ابغض شىء الى ماكنت أحبه من لعب ولهو ، وفخفخة وزهو ، وعاد أحب شىء الى ماكنت ابغضه من مطالعة وفهم ، وكرهت صور أولئك الشبان الذين كانوا يدعوننى الى ماكنت احب ، ويزهدوننى فى عشرة الشيخ رحمه الله فكنت لاأحتمل أن أرى واحدا منهم ، بل افر من لقائهم جميعا كما يفر السليم من الأجرب .

وفى اليوم السابع سألت الشيخ : ماهى طريقتكم ؟ فقال طريقتنا الاسلام ، فقلت

أوليس كل هؤلاء الناس بمسلمين؟ قال : لو كانوا مسلمين لما رأيتهم يتنازعون على التافه من الأمر ، ولما سمعتهم يحلفون بالله كاذبين بسبب وبغير سبب ٠٠ هذه الكلمات كانت كأنها نار احرقت جميع ماكان عندى من المتاع القديم ٠٠ متاع تلك الدعاوى الباطلة والمزاعم الفاسدة ، متاع الغرور بأننا مسلمون ناجون وان كنا فى غمرة ساهية ٠

سألته : ماوردكم الذى يتلى فى الخلوات أو عقب الصلوات فقال : لاورد لنا سوى القرآن ، تقرأ بعد كل صلاة أربعة أرباع مع الفهم والتدبر ٠٠ قلت : أنى لى أن أفهم القرآن ولم أتعلم شيئا ؟ قال : أقرأ معك ، ويكفيك أن تقرأ الجملة وببركتها يفيض الله عليك التفصيل ، واذا خلوت فاذكر الله ـ على طريقة بينها لى ـ وأخذت أعمل على ماقاله من اليوم الثامن ، فلم تمض على بضعة أيام الا وقد رأيتنى أطير بنفسى فى عالم آخر غير الذى كنت أعهد ، واتسع لى ماكان ضيقا وصغر عندى من الدنيا ماكان كبيرا ، وعظم عندى من أمر العرفان والنزوع بالنفس الى جانب القدس ماكان صغيرا ٠٠ وتفرقت عنى جميع الهموم ، ولم يبق لى الا هم واحد وهو أن أكون كامل المعرفة كامل أدب النفس ، ولم أجد اماما يرشدنى الى ماوجهت اليه نفسى الا ذلك الشيخ الذى اخرجنى فى بضعة أيام من سجن الجهل الى فضاء المعرفة ، ومن قيود التقليد ، الى اطلاق التوحيد ٠٠ هذا هو الأثر الذى وجدته فى نفسى من صحبة أحد اقاربى وهو الشيخ درويش خضر من أهل كنيسة أورين من مديرية البحيرة ، وهومفتاح سعادتى ان كانت لى سعادة فى هذه الحياة الدنيا ، وهو الذى رد لى ماكان غاب من غريزتى وكشف لى ماكان خفى عنى مماأودع فى فطرتى »

وعاد محمد عبده الى طنطا بعد خمسة عشر يوما قضاها فى صحبة الشيخ درويش ليجد نفسه مرة أخرى طالب علم بالجامع الأحمدى ، ولكنه يحس فى هذه المرة احساسا جديدا لم يكن يحسه من قبل ، ويشعر كأنه انقلب فتى آخر بنفس راضية ، وفكر جديد، وعزم لم يكن قد تهيأ له من قبل ، ويقول الامام عند ذلك فى مذكراته ٠

« ذهبت الى طنطا ، وكان ذلك قرب آخر السنة الدراسية فى شهر جمادى الآخرة من سنة ١٢٨٢ الهجرية ، فاتفق أن بعض المشايخ كانت ماتت بنته ، فعاقه الحزن عليها عن اتمام شرح الزرقانى على العزية ، وآخر عرض له عارض منعه عن اتمام صرح الشيخ خالد على الأجرومية ، فأدركت كلا منهما فى أوائل الكتاب الذى كان يدرس ، وجلست فى الدرسين فوجدت نفسى أفهم ما أقرأ وما أسمع والحمد لله ،وعرف ذلك منى بعض الطلبة فكانوا يلتفون حولى لأطالع معهم قبل الدرس ماسنتلقاه »

وشاءت الظروف أو شاء له القدر بوضع أصح أن ينتقل محمد عبده الى الجامع الأزهر وللجامع الأزهر مكانته الدينية والعلمية ، وللجامع الأزهر هيبته وجلاله وتقديره ، ومع ذلك فان الشيخ درويش لم يترك الامام وحده فى معترك هذه الحياة الجديدة ، ولم يغفل عن توجيه الامام وارشاده ، ولم يرض للطالب الأزهرى أن يكتفى بما يدرسه من مواد أو يطالعه من كتب ، بل كان يرشده الى بحور جديدة من العلم ، والى كنوز ثمينةفيه، وكان يلفت نظره الى كتب ما كانت يده لتقع عليها لولا توجيهه وارشاده ، ويقول الامام عن ذلك فى مذكراته :

« وفى منتصف شوال من تلك السنة ذهبت الى الأزهر ، وداومت على طلب العلم على شيوخه مع محافظتى على العزلة والبعد عن الناس حتى كنت أستغفر الله اذا كلمت شخصا كلمة لغير ضرورة ٠٠ وفى أواخر كل سنة دراسية كنت أذهب الى محلة نصر لأقيم بها شهرين ـ من منتصف شعبان الى منتصف شوال ـ وكنت عند وصولى الى البلد أجد خال والدى الشيخ درويشا قد سبقنى اليه ، فكان يستمر معى يدارسنى القرآن والعلم الى يوم سفرى ٠٠ وكل سنة كان يسألنى ماذا قرأت ، فأذكر له مادرست ، فيقول : ما درست المنطق، مادرست الحساب،

مادرستت شيئا من مبادىء الهندسة ، وهكذا كنت أقول له : بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة فى الأزهر ، فيقول :

طالب العلم لايعجز عن تحصيله فىأى مكان .. فكنت اذا رجعت القاهرة ، التمس هذه العلوم عند من يعرفها ، فتارة كنت أخطىء فى الطلب ، وأخرى أصيب ، الى أن جاء المرحوم السيد جمال الدين الأفغانى الى مصر أواخر سنة ١٢٨٦ هـ » .

وكتب محمد عبده عن لقائه بالسيد جمال الدين الأفغانى وعن رأى الشيخ درويشخضر فيما يقوله بعض شيوخ الأزهر والكثرة من طلبته يقول :

وقد صاحبته من ابتداء شهر المحرم سنة ١٢٨٧ هـ ، وأخذت أتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمية (الفلسفية) والكلامية ، وأدعو الناس الى التلقى عنه كذلك ، وأخذ مشايخ الأزهر والجمهور من طلبته يتقولون عليه وعلينا الأقاويل ، ويزعمون أن تلقى تلك العلوم قد يفضى الى زعزعة العقائد الصحيحة وقد يهوى بالنفس فى ضلالات تحرمها خيرى الدنيا والأخرة ، فكنت اذا رجعت الى بلدى عرضت ذلك على الشيخ درويش ، فكان يقول لى :

ان الله هو العليم الحكيم ، ولاعلم يفوق علمه وحكمته ، وان أعدى أعداء العليم هو الجاهل ، وأعدى أعداء العليم هوالسفيه ومانقرب أحد الى الله بأفضل من العلم والحكمة ، فلا شىء من العلم بممقوت عندالله، ولاشىء من الجهل بمجحود لديه الامايسميه بعض الناس علما وليس فى الحقيقة بعلم كالسحر والشعوذة ونحوهما اذا قصد من تحصيلهما الاضرار بالناس »

وبقى الشيخ درويش ذلك الموجه القدير والناصح الامين ، والمدرس البصير بعقلية تلميذه ونفسيته ، وبقى يرشد تلميذه الى ما يرى فيه الخير حتى اختاره الله الى جواره بعد أن أزاح التراب عن تلك الجوهرة الثمينة والدرة الغالية فسطع نور الدين من جديد ، وبزغت شمس المعرفة ، وهلتطوالع النهضة .

رحم الله الشيخ درويش بقدر ماتحمله من صبر فى سبيل ترويض هذه النفس الجامحة حتى أودع فيها ذلك النور الالهى الذى أضاء لمحمد عبده مفارق السبل وهداه الى أصلح الطريقين ..

والله الموفق دائما الى مافيه الخير

جاهلية إسلامية

الأستاذ أحمد محمد بريري

أبا مالك هل لمتنى اذ حضضتنى
على القتل أم هل لامنى لك لائمى

أبا مالك انى أطعتك فى التى
حضضت عليها فعل جران حازم

فان تدعنى أخرى أجبك بمثلها
وانى لطب بالوغى جد عالم

يعنى بأبى مالك : الأخطل الشاعر فتلك كنيته ، وكان قد فخر واستعلى عليه فذكره : « **بقتلى أصيبت من سليم وعامر** » ٠٠ وأن القاتلين لا يزالون كما كانوا : حادة شوكتهم، عظيمة سطوتهم ، مستعدين أن يهبطوا السهل كما هبطوه أول مرة على قيس ، فيكون شأنهم معهم شأن الأعاصير تأتى على حباب الماء ٠

أفترى الجحاف يعفو ويغفر لأن الله يحب العافين عن الناس : « **ولمن صبر وغفر ان ذلك من عزم الأمور** » ، والأخطل على كل حال شاعر يخطل ويلغو ويكذب ، « **والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ٠ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** » ٠

وصاحبنا ليس من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ٠٠ فالحكمة أو القصد أن يحمل كلامه على محمله الطبيعى، ويعد من الهائمين فى كل واد ، الذين يقولون ما لا يفعلون ٠٠ ولكن الجحاف أغلظ كبدا وأكثف روحا من أن يتأدب بأدب القرآن بل السفاه والحمية ، حمية الجاهلية والأدب : الأدب الجاهلى به أشبه ، وشبه الشىء منجذب اليه ٠

واذا كان الأخطل قوالا فليكن الجحاف فعالا ٠ وله بعد أن يقول فيقول نبأ عظيما ٠ وها هو ذا قد فعل وقال : أطعتك يا أبا مالك فيما أمرتنى به أفلم تحضنى على القتل لأثأر لقتلى أصيبت من قومى : سليم وعامر ، أفلا ترانى قد ثأرت لهم شأن الحر الجران الحازم اذا دعى الى القتال أجاب سمعا وطاعة ؟

انى لتحت طلبك يا أبا مالك ان أردتها مرة أخرى فما عليك الا أن تدعو وانى طب ٠٠ خبير بالحرب طب بها جد عليم ٠

على أن الجحاف لم يستطع أن يواجه الأخطل هذه المواجهة الا بعد أن سويت المسألة سواها عبد الملك بن مروان بما يرضى الجحاف وسليما وعامرا وسائر قيس . فحمل الخزانة العامة – بيت المال – تلك التبعة الا أنه جعلها مستورة فحمل ابنه : الوليد بن عبد الملك الدماء التى كانت بين قيس وتغلب قبل يوم البشر – يوم أوقع الجحاف ببنى تغلب – وحمل الجحاف دماء قتلى البشر وحده .. أو كما قال :

« الزمه اياها عقوبة له » .

ولم يكن فى الأمر صعوبة من حيث أداء الوليد الحمالات التى كلفها بيد أن الجحاف لم يكن عنده ما حمل .. لو حملها عنه عبد الملك أو الوليد حملا مباشرا ، فربما لا ترضى تغلب لابد أن يبدو الجحاف فى مظهر المعسر الحائر المغلوب على أمره . ماذا يصنع؟ فليذهب الى الحجاج بن يوسف عامل عبد الملك على العراق انه لا يذهب اليه بوصف كونه واليا بل بوصف كونه من عصبيته ، أفليس الحجاج من هوازن ..؟ على أن ابن يوسف كان حاذقا فى تمثيل المسرحية .. يستأذن الجحاف فى الدخول اليه فيأبى ذلك عليه ، ويرفض أن يقابله .. فيسعى الى أسماء بن خارجة ويقول له : عصيت حاجتى بك . يقول أسماء : لا والله لا أقدر لك على منعة ، فقد علم الأمير بمكانك وأبى أن يأذن لك .. ولكن الجحاف يلح ويلحف : لا والله لا الزم حاجتى غيرك .. انجحت أو أكدت .

ويكلم أسماء الحجاج فى شأنه فيكون جوابه : لا .. ليس له عندى شيء .. أبلغه ذلك عنى .

ولماذا لا تبلغه أنت أيها الأمير ..؟ انه لا عليك أن تفعل وتؤنسه .. حينئذ يأذن الحجاج فى دخول الجحاف ويستقبله صاخبا غاضبا : أعهدتنى خائنا لا أبالك ..؟

والجحاف ليس غرا ولا الغر يشبهه ، بل هو لبيب أريب يقول فيحسن القول : لا والله ما علمنا عليك من سوء .. ولكنك أنت سيد هوازن ، وقد بدأنا بك وأنت أمير العراقين – يعنى الكوفة والبصرة – وابن عظيم القريتين – يعنى مكة والطائف – وعمالتك فى كل سنة خمسمائة ألف وما بك بعدها حاجة الى خيانة .

هنا يتغير المشهد ، فيهدأ الحجاج ويقول: أشهد أن الله تعالى وفقك .. وانك نظرت بنور الله .

انها أموال المسلمين تسوى بها جنايات الفاتكين من شيوخ القبائل .. لقد كان فى وسع عبد الملك أن يحمل قيسا جريرة الجحاف . فالقبيلة عاقلة كما قدمنا فى مقال سلف أى هى التى عليها أن تعقل يعنى : تغرم ثمن الدم أو الدية ما دام الفرد مفروضا انه لا يستطيع الأداء . بيد أن الأمير يريد أن يحابى أصهاره فلا أقل من أن يغرم من أجلهم أى يغرم بيت المال الديات . واذا أنت نظرت فى الحديث الذى جرى للجحاف مع الحجاج رأيت المكارم أو المآثر التى يهز بها الجحاف الحجاج تهتز بها جاهليته ، فابن يوسف أمير العراقين وابن عظيم القريتين . يذكر الوشيجة التى تضم عروة بن مسعود كبير الطائف فى الجاهلية والحجاج بن يوسف .

فلقد كان المشركون سألوه – **سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا** – اذا كان لا بد مرسلا اليهم رسولا ومنزلا عليه قرآنا فلماذا لم يختره من اثنين هما كبير مكة وكبير الطائف الوليد بن المغيرة سيد بنى مخزوم ، أغنى أغنياء مكة ورأس البيت الذى اليه أعنة الخيل وما يقال عن الوليد فى مكة يقال عن عروة بن مسعود فى الطائف :

« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . »

انه – سبحانه – أعلم حيث يضع رسالته اختار لها أعظم الناس ما فى ذلك شك محمدا – عليه الصلاة والسلام – الذى قال فيه مرسله – جل وعلا – : « **وانك لعلى خلق عظيم ..** » . فذلك معيار العظمة عند الله وعند الناس الذين هم ناس بالمعنى الجليل

الجميل الذى تتضمنه هذه الكلمة ذات الحروف الثلاثة .

فأما عظمة رأس المال فحسبها وكفى ما كان قبل نزول القرآن .. على أنك ترى القوم قد أعادوها جذعة شوهاء جاهلية اسلامية - يمتحن الله بها الذين استخلفهم فى الأرض ، ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم اذ استقاموا على الطريقة الا أنهم لم يلبثوا أن انحرفوا فنحن فى نحو سنة ثلاث وسبعين من الهجرة .. ولا أحب أن أترك الجحاف ولما نصح أمره .. فلقد أدى الديات وعاد الى مجلس الأمير ولقى الأخطل وفخر عليه بالشعر الذى بدأنا به المقال ، ويزعم الرواة أن الأخطل لم يزد على أن قال : أراك والله شيخ سوء .

ولكن الخليفة يتبسط مع الجحاف ويقول له : أنشدنى بعض ما قلت فى غزوتك هذه وفجرتك فينشده :

صبرت سليم للطعان وعامر
واذ جزعنا لم نجد من يصبر

فيقول عبد الملك بن مروان : كذبت .. ما أكثر من يصبر .

ثم يقول :

نحن الذين اذا علوا لم يفخروا
يوم اللقاء اذا علوا لم يضجروا

فيقول عبد الملك : صدقت : حدثنى أبى عن أبى شعبان بن حرب انكم كنتم كما وصفت يوم فتح مكة .

ويشاء الجحاف أن يتوب .. فلا تخلو صورة توبته من سمة جاهلية يتعجب لها الناس فى مكة والمدينة ، تاب الجحاف - أى نسك - فلبس هو وأصحابه يوم البشر الصوف الغليظ ، وحزموا أنوفهم وجعلوا فيها البرى - جمع بره وهى حلقة توضع فى أنف البعير - ومشوا الى مكة ومروا بالمدينة فهم يزورون الحرمين ويحجون تائبين عابدين راكعين ساجدين .

ويتعلق الجحاف بأستار الكعبة قائلا : « اللهم اغفر لى وما أراك تفعل . فهو يرى - والعياذ بالله - أن ذنبه أعظم من عفو الله

فيقول له عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - : يا هذا لو كنت الجحاف ما زدت على هذا القول .. فيقول : فأنا الجحاف ويسكت ابن عمر ويسمعه محمد بن على بن أبى طالب - رضى الله عنهما - وهو يقول قولته تلك فيقول : يا عبد الله : قنوطك من عفو الله أعظم من ذنبك ..

ولست أدرى أيهما أعجب لك : سكوت ابن عمر ، أم تعقيب ابن على - رضى الله عنهم - .

ممالك اسلامية قديمة

السنوسيون

الأستاذ عبده بدوى

يمثل السنوسيون وجها من وجوه حركات الاصلاح الدينى التى كانت سائدة فى العالم العربى فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ولقد كانت الملامح المميزة لهذه الحركة تتمثل فى اعادة النضارة الى الدين وتخليصه من الزوائد التى لحقت به ، وفى العمل على اجتماع المسلمين حول راية واحدة، بحيث تتكون منهم ((جامعة اسلامية)) فى كافة البلاد ، وفى محاولة نشر الاسلام فى البلاد التى لم ينتشر فيها بعد ، وبخاصة فى أفريقية ، وفى توحيد المذاهب ، وفتح باب الاجتهاد ، وفى محاولة التساند أمام القوى الخارجية ، التى كانت قد بدأت فى تصديع كيان الدول الاسلامية ، وأخيرا فى الوقوف وراء الحركات الثورية ، دون أن تؤثر فيها التأثير الحاسم ، لأنهم كانوا يفرقون بين ((المصلحين)) وبين ((الثوريين)) ، وان كان هذا لم يمنع بعض المكافحين من الانتقال من صفوف المصلحين الى صفوف الثوريين .

ويمكن أن نرى هذا فى كافة خطوات السنوسية التى تطورت ، بحيث أصبحت فى آخر الأمر « **دينا ودولة** » ، ولقد كانت وهى تنشد اقامة هذا البناء تتمثل فى نفسها ذلك « الكيان الدولى » الذى قام به (**الادارسة**) فى المغرب ، فقد كان (**محمد بن على السنوسى الخطابى الحسنى الأدريسى**) أحد زهور هذه الدولة الاسلامية القديمة التى جفت غصونها تماما ، ماعدا هذا الغصن الأخضر الذى ينبض بالحياة، والذى أخذ يدفع قواه كلها لكى يتحدث الى التاريخ من خلال زهرة تتوجه ، ولقد كانت هذه الزهرة هى ((**محمد بن على السنوسى**))

فقد ولد فى عام (١٢٠٢ هـ ـ ١٧٨٨ م) بالجزائر ، وورث هذا الجلال المعروف عن الادارسة ، والذى يمتد هو الآخر حتى يرى مهابا ، مضيئا فى قسمات على بن أبى طالب .

ولقد كان مما يميزه حقا فى أوائل حياته أنه كان دائم التفكير فى حياة المسلمين ، لامن حوله فقط ولكن فى كافة الرقعة التى يلقون ظلهم عليها ، ويمكن أن نرى البذور الحقيقية السنوسية من هذا الجواب الذى ذكره « **محمد بن على السنوسى** » لأبيه حين سأله لماذا يحمل فى نفسه عبء الفكر ؟ فما كان منه الا ان قاله له « .. أفكر فى العالم الاسلامى **فبالرغم من وجود سلاطينه وأمرائه ورؤسائه وعلمائه ، فهم لايزيدون على أن يكونوا كقطيع من الغنم الذى لاراعى له ، بكل محل من محلات الاسلام تجد المسلمين وعلماء الدين ولكنك لاتجد فى العالم الاسلامى مرشدا حقيقيا تكون غايته سوق الجميع الى هدف واحد ، ان ديننا الحنيف دين توحيد أسس على الاتحاد ولكن الخلاف والتفريق قد سادا جميع النواحى لأن العلماء والمشايخ ليست لهم غيرة دينية حتى ينشروا العلوم والمعارف ، انظروا الى أحوال السودان والصحراء تجدون أفواجا من الشعوب يعبدون الأوثان ، ويوجد فى كل مسجد من مساجد المعمورة جماعة من العلماء غير العاملين لاهم لهم غير راحة أجسادهم ، حريصين على لذاتهم ، غير قائمين بواجباتهم، لاضمائر لهم تؤنبهم على اهمالهم ارشاد هؤلاء المساكين ، وقد اتصل بنا خبر أحوال العالم الاسلامى من القوافل التى ترد على بلادنا ، اننا مغلوبون فى كل محل وان المقاطعات والخطط المعمورة تذهب من أيدى المسلمين فى كل وقت وبسرعة البرق ، فالاسلام فى حالة التدهور المخيف وهو مافكرت فيه !»**

تلك هى الخطوط الرئيسية لأفكاره ، على انه لم يقنع بدراسة العالم الاسلامى من «القوافل» التى ترد على الجزائر على حد تعبيره ، وانما نراه يقوم بمشاهدته على الطبيعة ، وقد بدأ بالجزائر ، ثم رحل الى المغرب ليدرس فى «**جامع القرويين**» بفاس ، وحين رأى الفرنسيين يغزون الجزائر حمل فى نفسه جرح بلاده ثم توجه الى مصر .

وفى مصر أقبل على الأزهر ، ودرس على علمائه ، وحين لم يجد عندهم شيئا جديدا عليه عزم على أن يقول « كلمته » فتصدى للتدريس بالأزهر وجاهر بآراء تعتبر ثورية عند علماء العصر ، واذا بالعلماء يصفونه بالتطرف والابتداع ، ثم يدخلون الى حلقته مخطئين وصارفين الناس عنه ، ومما روى فى هذا أن الشيخ (حنيش) حاول قتله بالسم ، وأن الشيخ محمد عليش حين سمع أنه يقول أن باستطاعته مخالفة الائمة خرج اليه بحربة يريد قتله .

وقد آلم هذا « محمد بن على السنوسى » ، وأحزنه أنه وجد العلماء يهادنون (محمد على) مع ان حكمه يقوم على الاستبداد ، وعلى التوجس خيفة من العلماء ، والعمل على ابعادهم من دائرة الحكم ، وقد دعاه هذا الى أن يترك مصر .

وفى الحجاز وضحت « الرؤيا » أكثر لعينيه لأنه استطاع أن يرى « عينات » من كافة المسلمين الذين يفدون الى موسم الحج ، ووجد نفسه مدفوعا الى الاحتكاك بهم ، ومعرفة الأجواء التى يعيشون فيها ، كما مكنته اقامته هناك من التعرف على مذهب (الوهابيين) ، وعلى نظرتهم للحياة ، وقد أثر فيه هذا المذهب تأثيرا كبيرا .

ثم انه لم يحصر نفسه فى منطقة بعينها ، وانما نراه يتجول حتى يصل الى اليمن ،ونراه يتزوج فى هذه الفترة من « حبشية » ، ثم نراه يلقى (البذرة الأولى) فى دعوته . وذلك باقامته **(زاوية جبل أبى قبيس)** ، وعددا آخر من الزوايا .

ذلك لأنه حدد دعوته بانها تقوم على السلام والصفاء النفسى ، وأن هذا لن يتوفر الا باقامة خط من الزوايا يلف العالم الاسلامى ، ويربط بين كافة اجزائه . وقد سارت السنوسية من بعده فى هذا الطريق ، حين جعلت من ليبيا **قاعدة لانتشارها ، ومن « جغبوب » مركزا للثقل السنوسى ، ومما يذكر ان السنوسيين لم يقفو « بالزوايا » عند حد التعبد ، وصرف النفس فى مجاهدة الهوى . ذلك لأنا نراها تعمل على رفع مستوى معيشة الناس ، وعلى انتشار الزراعة حول كل زاوية ، وعلى بيع فائض هذه الزراعة ، واستثماره فى توسيع**

رقعة الزراعة ، وفى ادخال اشجار اخرى لم تكن موجودة من قبل .

ومما يؤيد هذا أن بعض الناس سألوا «محمدا المهدى » أن يعلمهم الكيمياء فقال لهم **« ان هذه الكيمياء تحت سكة المحراث ، وانها هى كد اليمين ، وعرق الجبين ! »** ومن هنا نرى أن هذه الزوايا أصبحت « **مراكز اقتصادية** » الى جانب قيامها بالرسالة الروحية ، وأنها قد أصبحت فى آخر الأمر « **خطا دينيا** » تحدده خضرة البساتين حتى فى المناطق الصحراوية ، وأن هذا الخط قد أصبح متماسكا ومحسوسا فى المغرب، والجزائر ، وتونس ، وليبيا ، ومصر ، والحجاز، وعلى حدود اليمن ، بالاضافة الى انتشارها الكبير فى افريقية الغربية وأفريقية الوسطى، ثم تسللها بعد ذلك الى الهند والى تركيا .

ولكن هذه « الطاقة الاسلامية » كانت سلبية ، وممنوعة من احداث أى انفجار فى العالم الاسلامى ، نعم انه كان يمكن تحويلها الى « ثورة ! » ومع أن هذه الثورة كان يمكن ان تحصل للاسلام على مكاسب فى افريقية ، وان توقف امتداد النفوذ الأوربى ، الا ان القائمين عليها لم يسيروا بها الى طريق « العنف » والى « التفجير الثورى » الذى كان يمكنه القضاء على المتناقضات الكثيرة التى كان يعيش فى ظلها العالم الاسلامى .

فقد حرص السنوسيون على الوقوف بمعزل عن الأحداث ، وعن التيارات الخارجية التى كانت تتسرب الى العالم الاسلامى ، وفى ضوء هذه الحقيقة رأينا « السنوسية » لاتتحدى « الخليفة العثمانى » أو تعمل على الخروج من دائرة نفوذه .

ورأيناها لاتنتفع بالصراع الدولى فى المنطقة فحين وجدت النفوذ الغربى ينتشر على رقعة كبيرة ، من حولها وبخاصة الجزائر — لم تجابه هذا الخطر ، وانما رأيناها تفخر بان ديارها « ديار السلام » وان على المسلمين ان يهاجروا الى هذه الديار فرارا من النفوذ الأجنبى .

وقد حاولت بروسيا ان تنتفع بموقف السنوسيين من القوى الغربية التى تتوثب حولها ، فكان ان أرسلت وفدا للمفاوضة فى هذا الشأن عام ١٨٧٢ ، ولكن هذا الوفد لم يحقق مكسبا سياسيا ، كما أن ايطاليا حاولت التحالف معها عام ١٨٨١ للوقوف معاضد فرنسا ، ولكن السنوسيين رفضوا هذه المحاولة ، واشاحوا بوجههم عنها .

وقد ظهر موقفهم السلبى أكثر وضوحا فى صراع القوى الاسلامية مع القوى الأجنبية ذلك لأن تركيا حين دخلت الحرب مع روسيا وحين طلب السلطان التركى نجدتهم عام ١٨٧٧ نراهم لايعملون على نجدته .

وحين قامت الثورة العرابية فى مصر ، نرى عرابى يرسل عدة رسائل مع التاجر الليبى « الحاج فينه المكسرى » الى السنوسيين ، لمعاونتهم فى ثورته ، ولكن أحدهم رد باسمهم يقول « ..ان طريقتنا السنوسية المحمدية **التى يرأسها استاذنا السيد المهدى هى طريقة دينية علمية ، لادخل لها فى الأحوال الخارجية ، ولايصح لنا ان نعمل بما قلتم عليه ولم يأمر به خليفة المسلمين سلطاننا أيده الله، وهو المسئول عن اعلان الجهاد »**

وقد وقف السنوسيون نفس الموقف من ثورة محمد أحمد المهدى فى السودان، وقد حاولت هذه الثورة أكثر من مرة جرهم الى المعترك الحربى ، ودفعهم الى محاصرة الانجليز الذين دخلوا مصر ، بحيث تتقابل الدولتان للقضاء على الانجليز ، ولكن المهديين فى السودان لم يستطيعوا تحريكهم .

ذلك لأنهم التزموا « **الحياد** » التام فى المنطقة ، ولم يلتزموا الا بقضية (السلام) وقد وضح السيد « **محمد المهدى** » هذه السياسة بقوله « انه انما يعنى بالدعوة **الى اصلاح الدين الحنيف سلما لاحربا ! »**

وقد وقعوا فى نفس الخطأ مرة ثانية حينما أوقع الأوربيون بينهم وبين تركيا ، وحين حملوهم على ترك منطقة نفوذهم فى (الجغبوب) الى واحة (الكفرة) داخل الصحراء ، ذلك لانا نراهم يلتزمون نفس « السلبية » وسط المناطق الأفريقية ، مما

سهل على الفرنسيين احتلال امبراطورية « رابح فضل الله » وامتداد نفوذها الى مناطق « الباقرما » والى « وادى » ، و « كنم » ، ثم الى قيام الفرنسيين فى هدم زواياهم فى أكثر من مكان بافريقية ، وعدم وقوف الأتراك الى جانبهم فى صراعهم الهادى ، مع الفرنسيين ولكنهم « استيقظوا » تماما وغيروا من «خطتهم» حينما وجدوا أنفسهم مسئولين عن حماية (ليبيا) من ايطاليا ، ابتداء من عام ١٩١١ وحينما وجدوا تركيا تسلم بحق ايطاليا فى البلاد ، ووجدوا حكومة مصر تعطى الأوامر لعزيز المصرى بالعودة الى مصر ، ووجدوا الخديوى عباس حلمى الذى كان متحمسا لقضيتهم فى أول الأمر على صلة بايطاليا ،وأنه قد أخذ على عاتقه تهدئة ليبيا فى مقابل بيعه لايطاليا خط حديد مريوط ، وهكذا وقف « السنوسيون » وحدهم فى المعركة وفى نفوسهم كثير من الجروح !

ولكن الحرب العالمية غيرت وجه التاريخ فى المنطقة ، وجعلت السنوسيين يدخلون فى محالفات مع انجلترا وايطاليا ، وجعلتهم يقفون ضد الأتراك ، ولكن ايطاليا كانت من الخبث والتحايل بحيث استطاعت نقض المعاهدة، والانفراد بالبلاد ، من بعد استشهاد عمر المختار عام ١٩٣١ حتى عام ١٩٤٢

وقد دعا هذا السيد محمد ادريس المهدى السنوسى أن يبكر بالهجرة الى مصر عام ١٩٢٣ ، وحين قامت الحرب العالمية الثانية اتفق مع الانجليز على تكوين جيش سنوسى للاشتراك فى فتح ليبيا ، ثم انجلت الحرب العالمية الثانية عن انكسار الايطاليين ، وعن عودة البلاد تحت حكم السنوسية ، وكان أن غادر القاهرة « السيد محمد ادريس المهدى السنوسى » الى طبرق عام ١٩٤٤ ، ثم اعلان توليته ملكا على البلاد ، وماتزال البلادتعيش فى ظله .

من هذا نرى أن السنوسية بدأت «كطريقة» من الطرق التى كانت تغطى العالم الاسلامى فى القرن التاسع عشر ، ثم تحولت الى تيوقراطية (دولة دينية) ، ثم انصهرت فى المعارك ، ولكنها مع ذلك ظلت بعيدة عن روح الثورة التى كان يمكن ان تتحدى وتقتحم ، وتحل المتناقضات ، وتغير «التاريخ» فى المنطقة !

ولكن مايذكر لها حقا انها كانت وراء الاسلام فى غرب ووسط أفريقية ،وان لانسان حين يدقق فى قسمات الاسلام فى النيجر ، والكونغو ، والكمرون ، وتشاد ، وداهومى والسنغال ، ونيجيريا .. يجد وجه السنوسيين المبتسم بالسلام ، والمضىء بروح الاسلام :

المجاهرة بالحق

من دعائم بناء الأمم

الأستاذ محمود لطفى عبد الكريم

بالحق والعدل قامت السموات والأرض ، وبهما تميزت شرائع الله ، فما من شريعة سماوية ألا أوصت بهما ، وحثت عليهما ، وأوفر الشرائع فى هذا حظا الشريعة الاسلامية فقد زخر كتاب الله بالآيات الكريمة التى توجب التزام جانب الحق والعدل فى جميع الأحوال .

قال تعالى: « **يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون** »

وقال تعالى : « **واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى** »

وقال تعالى : « **والسماء رفعها ووضع الميزان ، ألا تطغوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان** »

وقال تعالى : « **والعصر ان الانسان لفى خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** »

ومن مقتضى هذه الأوامر أن لايخشى المرء فى الحق لومة لائم ، وأن يرفع صوته بكلمة الحق ، سواء كان ذلك لنفسه ، أو على نفسه ، ولخصمه ، أو على خصمه ، وأن لايقيم لعواطفه وزنا ، ولا يلقى لمشاعره بالا ، فى سبيل الحق والعدل .

وحتى لاينحرف المسلمون عن هذا النهج ، ولا يحيدوا عن ذلك الطريق ، فقد كرر الله تذكيرهم بوجوب الاستمساك بهاتين الخلتين، كلما عرض مايستدعى ذلك .

فمن هذا ، أن مسلما سرق درعا ـ فى عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستودعه يهوديا ، ولما رفع الأمر الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خشى بعض المسلمين أن تثبت التهمة على السارق المسلم فتقطع يده ، وفى ذلك فضيحة للمسلمين ، فأوعزوا اليه عليه السلام أن يبرىء المسلم ويأخذ اليهودى ، وكاد صلوات الله وسلامه عليه أن يوافقهم ، لما بدا له من وجاهة حجتهم ، لولا أن تداركه الله بفضله ، فأنزل عليه قوله تعالى : « **انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ، واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لايجب من كان خوانا أثيما ، يستخفون من**

الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ، هاأنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ، ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ، ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ، ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ، ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم ومايضرونك من شىء ، وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما »٠

ومن ذلك أن فريقا من اليهود حاولوا أن يستغلوا فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عاطفته الدينية ٠ فطلبوا منه أن يحكم لهم على خصومهم ، وجعلوا ذلك شرطا لأسلامهم، وبينما كان صلوات الله وسلامه عليه يفكر ويقدر ، ويوازن ويفاضل بين الأمرين ، اذ أدركته رحمة الله ، فنزل عليه جبريل بقوله تعالى : « **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وأن كثيرا من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** »

وفى كثير من الأحيان يكون الحامل لبعض الناس على مجانبة الحق خوفهم من الناس ، والتماسهم الرزق من غير الله ، غافلين عن أنه جلا جلاله هو الذى خلق الناس جميعا ، وقدر أرزاقهم ، سائلين ومسئولين وحاكمين ومحكومين ٠

دخل سفيان الثورة على الخليفة المهدى، فلم يسلم عليه بسلام الامارة ، فقال له المهدى : أظننت أنا لانقدر عليك ؟ فها قد قدرنا عليك ، فما قولك اذا حكمنا فيك بهوانا ؟ فقال له سفيان : لئن حكمت فى بهواك حكم فيك ملك قادر ، يفرق بين الحق والباطل ٠

فماذا صنع له المهدى ؟

لاشىء بالمرة ، ولو قدر الله السوء لسفيان لما أفلت منه ، سواء وقع فى قبضة المهدى ، أو لم يقع ٠

ومر عمر بن الخطاب بصبية يلعبون ، وفيهم عبد الله بن الزبير فهربوا جميعا من طريقه ، الا عبد الله ، فقال له عمر : مالك لم تهرب مع أصحابك ؟ فقال : ياأمير المؤمنين ، لم أكن على ريبة فأخافك ، ولم يكن الطريق ضيقا فأوسع لك

فماذا صنع له عمر ؟

لاشىء بالمرة ، بل لقد أعجب به ، وسر من قوله

ولم لا يسر عمروهو يرى آمة لايتحرج صبيانها من قول الحق ، ويرى أمة لاتخون الشجاعة صبيانها ٠

وبعد ـ فقد أتى علينا حين من الدهر كان الحق فيه مهضوما ، وصرح العدالة فيه منهارا٠ والنظام الطبقى هو الذى كان يسود مجتمعنا ، وكم من صاحب حق ضاع حقه ، وكم من مظلوم ذهبت صرخاته فى ضجة المحظوظين من ذوى الجاه والنفوذ ٠

ولقد ذهب ـ والحمد لله ـ هذا العهد الى غير رجعة ، وأصبح الناس فى عهد الثورة المبارك سواسية ، تظلهمعدالة صارمة ، تنصف المظلوم مهما نزلت مكانته ، من الظالم مهما علت منزلته ٠

فحرى بنا ـ وقد رد الينا اعتبارنا ، وذابت جميع الفروق بين الناس ـ أن لانخشى فىالحق لومة لائم ، سواء كان لنا أو علينا ، وسواء أغضب الناس أو أرضاهم ، فلم يعد هناك ما يخيفنا أو يهددنا فى حياتنا أو أرزاقنا ، فذلك هو السبيل الى رفعتنا ، وبناء مجتمعنا على أساس وطيد من القوة والعزة والكرامة ٠

سدد الله خطواتنا ، وحقق آمالنا

ندوة الشهر

الطاعة والحضانة

الأستاذ عبد الرحمن الشربيني

مشكلتان من مشاكل الأسرة العربيـة .. الطاعة .. والحضانة

ولابد لنا ونحن نبنى الأسرة فى مجتمعنـا الجديد أن نتناول كلا من المشكلتين بما يصلح من كيان الأسرة ، ويحفظ عليها كرامتهـا واستقرارها .

واذا كان الدين هو الأساس فى كل تشريع من تشريعاتنا ، فان الرأى فى هاتين المشكلتين لابد أن يكون لرجل الدين .. ثم للقضاء الذى له الحكم فى النهاية .

تحدث عن المشكلتين فى ندوة هذا الشهر :

١ ـ الأستاذ على الخفيف أستاذ الشريعـة الاسلامية بجامعة القاهرة سابقا .

٢ ـ الأستاذ على حسب الله أستاذ الشريعة الاسلامية بكلية دار العلوم سابقا .

٣ ـ الأستاذ محمـود على الشربينى قاضى الأحوال الشخصية بمحكمة القاهرة ..

تحدث فضيلة الأستاذ على الخفيف عـن الطاعة فقال :

ـ ان أصل الطاعة من الشريعة الاسلاميـة واجب دينى فرضه الله على جميع الزوجات : عليها أن تطيع زوجها .. ذلك واجبنا الدينى ..

يقول الله عز وجل فى محكم كتابه .

« فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا »

ويقول الرسول الكريم :

« لو كان لى أن آمر بشرا أن يسجد لبشر ، لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها »

هذا هو الأساس الدينى لوجوب طاعة الزوجة لزوجها . وهو واجب كذلك فى جميع القوانين، وأساس الأسرة وكيانها وسعادتها قائم على هذا الواجب الدينى .. تصوروا لولم تطع الزوجة زوجها ، ماذا يكون حال الأسرة ؟ لاشك أنه شقاء دائم ونزاع موصول .

هو حق للزوج .. واجب على الزوجة ..

هو واجب دينى لايتدخل القضاء فيه الا بالموعظة الحسنة ، والأمر بالاتباع .. أما ما اتخذ من وسائل قهرية عن طريق الشرطة ونحو

ذلك من وسائل ، فقد دعت اليها الحاجة وليس لها أساس من الدين ..

ان الأصل فى قيام الزوجة بهذا الواجب انما يرجع الى الوازع الدينى وخوف الله والضمير .. .. فاذا ما انعدم الوازع الدينى أو الضمير كان لابد للوصول الى الزوجة بطريقة أو بأخرى .. وقد انتهى بنا الامر الى أخذها قسرا كما يؤدى بعض الدين قسرا باجبار المدين . واذا كان هذا أمرا مقبولا بالنسبة للدين فانه لايمكن أن يكون كذلك بالنسبة لنفس لها كرامة وارادة .. وهذا هو السر فى أن ذلك الواجب لايقوم على أساس .

ان عدم قيام الزوجة بواجب الطاعة للزوج يقابله سقوط نفقتها على الزوج .. وقديكون هذا سبيلا نافعا فى بعض الصور . ولكن ماذا يكون السبيل اذا رضيت الزوجة بعدم الانفاق عليها وقبلت سقوط النفقة وظلت مصرة على المخالفة .. فالى أى مدى يمكن تركها على هذه الحال ؟

لابد ـ اذن ـ من التدخل .. فنبعث الحكمين .. حكما من أهله وحكما من أهلها ليقفا على أسباب الخلاف . فان كان من قبل الزوج طلقاها منه ، وان كان من قبل الزوجة خلعاها .. والخلع هو أن تقوم الزوجة بدفع نصيب من المال يعينه الحكمان نظير طلاقها .. فاذا لم تكن ذات ثراء فان الخلع عندئذ يكون ابراء الزوج بما عليه من نفقة أو مؤخر صداق

ويقول فضيلته عن الحضانة :

ان أحكام الحضانة أساسها المصلحة .. والذى ورد فى الحضانة عن الرسول هو قضاء فى خصومات رفعت اليه ، وكان القضاء فيها مختلفا حسب الظروف والملابسات التى اتصلت بهذه النوازع .

فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن انتهى من عمرة القضاء تبعته ابنة عمه حمزة قائلة : ياعم .. ياعم .. فالتفت اليها وأشار الى على فأخذ بيدها وقال لفاطمة : دون ابنة عمك .

وعند ذلك اختصم فيها كل من زيد وعلى وجعفر .. فعلى يقول : هى فى يدى وأنا ابن عمها .. وزيد يقول : هى ابنة أختى فى المؤاخاة .. وجعفر يقول : ان زوجتى هى خالتها فأنا أحق بها .. فقضى بها الرسول الى جعفر .. ناظر الى أن خالتها تحته ـ فكان الأساس هنا أن الخالة أحق بالحضانة .

ورفع الى الرسول حادثة أخرى .. امرأة .. تختصم بزوجها ، تشكت الى رسول الله قائلة ان ابنى هذا كان له بطنى وعاء ، وثديى سقاء ويريد أبوه أن يأخذه منى .. فقال لها رسول الله :

أنت أحق به مالم تتزوجى .

هكذا كان القضاء يختلف باختلاف الظروف .. وهكذا يجب أن يكون التقدير للقضاء حسب كل ظرف على حدة .. وان كنت أرى أن تركها لتقدير القاضى يجعل الناس فى حيرة .. والواجب أن يسن قانون يراعى فيه الحالة الغالبة لأن التشريع قيام للحالات الغالبة وليس للنادرة .. وليس مايمنع أن يكون هناك استثناء للقاضى لحد محدود .. أما أن يترك الأمر لتقدير القاضى فهذا ضرره أكثر من نفعه ..

ويقول الشيخ على حسب الله عن الطاعة :

ان الطاعة واجب للزوج على زوجته .. وما دامت واجبا فينبغى للزوجة أن تؤديها بضميرها ..

وجدير بنا أن نفرق بين وجوب الطاعة على الزوجة وبين تنفيذ هذا الواجب ومايتخذ من سبيل لتنفيذه .

وأنا لا أرى أن يكون التنفيذ لأداء مثل هذا الواجب جبريا .. ولو كنت زوجا فلا أقبل ذلك .. كيف أستطيع ان أعيش معها وقد سيقت الى بالطريق الجبرى ..؟

واذا كان الزوج الذى لم يؤد المهر أو النفقة لزوجته يحكم عليه بهما قسرا اذا قصر فى ذلك، فلا قياس بهذا الحكم على الزوجة التى تقصر

فى طاعة زوجها فيحكم عليها بتنفيذ ذلك قسرا ٠

الأساس فى الحياة الزوجية أن تكون مودة ورحمة ، كما قال العزيز العليم فى كتابه ٠٠ فاذا انعدمت هذه المودة وتلك الرحمة بين الزوجين فليغن الله كلا من سعته ٠

ويقول عن الحضانة :

ان المراد بالحضانة هو العناية بأمر الصغير ٠٠ ولا بد له منها حتى يحيا ، والمحافظة على الأنفس من التشريعات التى عنى بها الاسلام : « **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** » فحق الحياة للصغير حق مقدس ولا نزاع فيه ٠٠

فالمرحلة الأولى من حياة الطفل يجب أن يكون القائم عليه فيها صبورا عطوفا ٠٠

ومرحلة أخرى من حياته يتلقى فيها المبادىء ودروسا من الحكمة والتعقل ٠٠

والصغير فى حاجة الى كل منهما ، وتحديد السن الفاصل بين حق المرأة وحق الرجل فى حضانة الابن مسألة اجتهادية ليس فيها نص من الكتاب أو من السنة ٠

وقد اصطلح العلماء على أن تكون هذه السن سبع سنوات قد تزداد الى تسع بالنسبة للولد ، وتسع سنوات قد تزداد الى احدى عشرة سنة بالنسبة للبنت ٠٠

فاذا وجدنا أن المصلحة تدعو الى تغيير هذه السن فليس فى الشريعة مايمنعنا من ذلك ، وان كنت لا أجد سببا يدعو اليه ، لأن العلماء حينما قرروا هذه السن انما راعوا الاستعداد للمعلومات ومدى تأثير كل من المرحلتين فى حياة الصغير ٠

رأى القضاء للأستاذ القاضى محمود على الشربينى :

ليس كل زوج يلجأ الى القضاء طالبا دخول زوجته فى طاعته فى المسكن الشرعى الذى يعده لها يقصد بدعواه الحصول على حكم الطاعة ليعيش مع زوجته عيشة راضية مستقرة ، انما هناك نوع من الأزواج لايقصدون بما يعدونه لزوجاتهم من مسكن الطاعة الا مجرد الانتقام والتعذيب بما يعدونه من مسكن لايليق بالزوجة من الوجهة الصحية أو الاجتماعية ٠

واذا كان القاضى لايحكم بعلمه ، وانما يحكم على أساس مايقدم اليه من الأدلة التى منها شهادة الشهود ، فان حكم المحكمة لايصدر الا بعد اقامة الدليل على شرعية المسكن والشروط الواجب تحققها للحكم بالطاعة على أساس الاستئناس بشهادة الشهود ٠

ولأن المحكمة كثيرا مايتبين لها جنوح الشهود الى صالح الزوج دون مراعاة للحق، فان للقاضى حق الانتقال بنفسه لمعاينة مدى صلاحية مسكن الطاعة مادامت وجهته هى احقاق الحق ، والمصلحة أولا وقبل كل شىء ذلك لأنه وان كان القضاء يقوم أساسا على مبدأ الحيدة التامة أزاء دعاوى الخصوم ، الا أن الشرع قد أعطاه سلطة فى ادارة دفة الدعوى واستكمال عناصر الاقناع ، لهذا عالج المشرع من مساوىء مبدأ الحياد بان خول للقاضى سلطات تقديرية لتسيير الدعوى واستكمال الادلة ، وله أن يقرر الانتقال لمعاينة المتنازع فيه ٠

حدث أن عرضت على احدى قضايا الطاعة التى استغرق نظرها وقتا طويلا ، وفى احدى الجلسات التى كنت أنظر الدعوى من خلالها ، قررت الانتقال فورا الى بيت الطاعة لمعاينته حتى لا أدع الفرصة لمن أعد بيت الطاعة ، أن يغير من حالته التى هى عليها ٠٠ قررت ذلك لأرى بنفسى مدى صلاحية مسكن الطاعة ،دون الاعتماد على شهادة الشهود ٠

لقد شهدت عجبا ٠٠ حصيرة بالية ٠٠ سريرا فوقه مرتبة ووسادة بلا غطاء رغم أننا كنا فى فصل الشتاء ٠٠ كل هذا تضمه غرفة صغيرة ضيقة لاتدخلها شمس ٠٠ أمامها مرحاض ضيق لايسع الفرد الا بصعوبة ٠٠ لقد كنت أمام سجن وليس مسكنا للطاعة ٠٠٠ ولذلك أصدرت حكما برفض دعوى الطاعة ٠

وفى حالات كثيرة تشعر المحكمة من مناقشة الخصوم أنه لا كراهية ولا بغضاء بين الزوجين ٠٠ وان سبب الشقاق انما مرده

الأهل والأقارب ٠٠ هنا يرى القاضى استدعاء كل من الزوجين بحضور أهلهما ٠٠ وكثيرا ما أدى ذلك الى الصلح والصفاء ويخرج الزوجان من المحكمة وهما على أتم مايكونان مودة وصفاء « ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما »

أما عن الحضانة فهى حق للصغير وحق للحاضنة ، وان كان هذا على خلاف بين الفقهاء ٠٠ فبعضهم قال انها حق للحاضنة وللصغير معا ٠٠ وقد حدد القانون السن المناسبة لذلك فجعلها سبع سنوات قد تزاد الى احدى عشرة سنه بالنسبة للبنت ٠

وبمجرد انتهاء أدنى مدة للحضانة ٠٠ يتقدم العاصم للصغير يطلب ضمه اليه ٠٠ وهنا أقول ان العاصم لايتقدم فى معظم الاحوال بطلب الضم الا لكى تسقط النفقة المحكوم عليه بها للصغير ، لو كان القصد من طلب الضم هو مصلحة الصغير لكان من الأنسب أن ينتظر العاصم حتى تنقضى أقصى مدة للحضانة ٠

مثل هذا اذا ماتقدم للمحكمة طالبا ضم الصغير وعارضت الحاضنة فى ذلك ، فان المحكمة تكلف الحاضنة احضار الصغير الى المحكمة لمشاهدته ومناقشة الخصوم ، فاذا ما تبين للمحكمة أن مصلحة الصغير فى بقائه فى يد حاضنته رفضت الدعوى ٠

حدث أن نظرت دعوى بطلب ضم احدى الفتيات لوالدها بعد أن انقضت فترة الحضانة الأولى ٠٠ وعارضت الأم فأمرت باستدعاء الصغيرة لمشاهدتها ٠٠ وعندما تبين للمحكمة أن الصغيرة مصابة بمرض شلل الأطفال ، وانها أحوج ماتكون الى رعاية أمها وعطفها ٠٠ قررت المحكمة رفض الدعوى مراعاة لمصلحة الصغيرة وحدها ، وحرصا على صحتها ٠

وبعد ٠٠

فان الطاعة واجبة للزوج على زوجته من غير شك ٠٠ غير أنه اذا ما انعدمت أواصر المودة فى الحياة الزوجية فانه يجب أن يزول حكم الطاعة من الوجود ٠٠

كيف يمكن لضمير أن يستطيع ارغام زوجة على معاشرة زوجها دون رضاها !

تصوروا معى منزل الزوجية وقد جمع زوجة كارهة وزوجا مقبلا عليها هى لاتريده ولا تطيق أن تراه ٠٠ وهو يلاحقها بل يرغمها على معاشرته والبقاء معه تحت سقف واحد وفراش واحد بحكم القانون

اننى أتخيل هذا البيت وكأنه مصيدة حبس داخلها فأر وقط ٠

والحضانة هى للوليد توجيه وتربية بقدر ماهى عطف وحنان بالنسبة له ٠٠ ولاشك أن الوليد فى حاجة اليهما جميعا فى كنف المرأة والرجل كل بالقدر الذى ينفع هذا الوليد ٠

والذى نرجوه ، والدولة الآن بصدد وضع قانون الأحوال الشخصية الجديد ، أن يكون فى هذا القانون ما يمحو الأثر السيىء لتنفيذ حكم الطاعة بالطريق الجبرى ٠٠ وأن يكون فيه أيضا مايراعى مصلحة الوليد أولا وقبل كل شىء فى فترة حضانته فى كنف كل من المرأة والرجل على السواء ٠

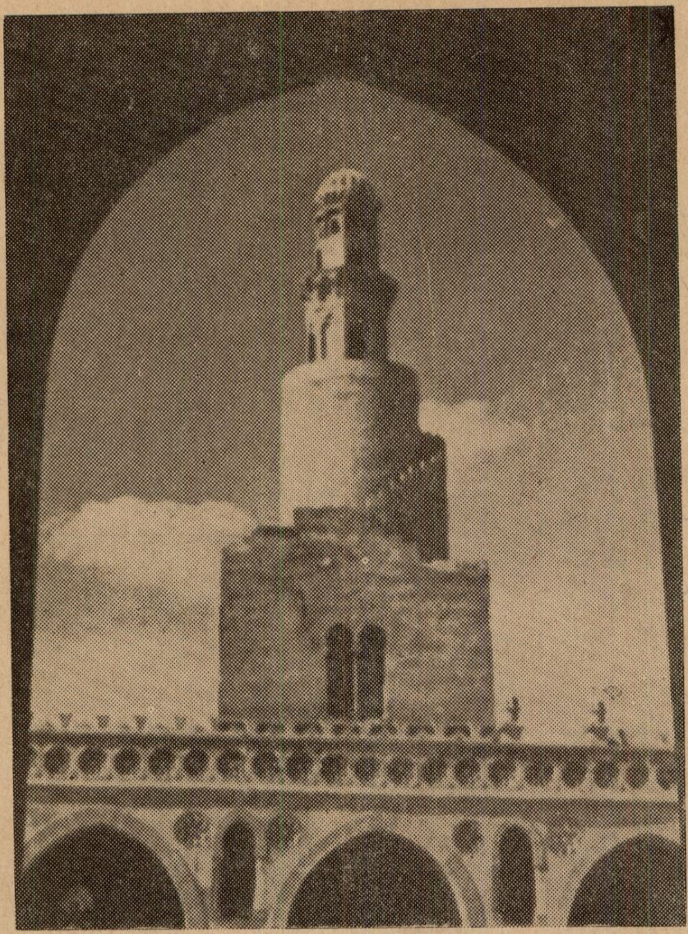

شكل «١» مئذنة جامع أحمد بن طولون

المسجد

ومقوماته المعمارية

الدكتورة سعاد ماهر

للمسجد مكانته الدينية وهو من الناحية المعمارية يعد أهم المباني التي تمتاز بها العمارة الاسلامية . وكانت المساجد في صدر الاسلام بسيطة في تخطيطها فكانت قطعة الأرض تحاط بجدران أربعة ، وقد تحاط بخندق محفور ، كما هو في مسجد الكوفة الأول ، وكانت عمد المسجد من جذوع النخل .

والمسجد هو موضع السجود ، وقال الزجاج كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد ، الا ترى أن

النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال « **جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا** » وأول مسجد بنى فى الاسلام هومسجد قباء، وكان بناؤه عندما هاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة وفى صحبته أبو بكر الصديق ، وكانا قد خرجا منها ليلا فسارا حتى وصلا الى غار فى جبل ثور ، فأمضيا فيه ثلاثة أيام ثم ركب كل منهما راحلته حتى بلغا ضاحية من ضواحى يثرب تسمى قباء على بعد ميلين من المدينة فأقاما بها أربعة أيام عند بنى عمرو بن عوف وأسس الرسول بهذه القرية مسجدا ، ويروى أن المتقدمين فى الهجرة من المسلمين هم الذين بنوا مسجد قباء • ومهما تعددت الروايات فى أمر منشىء مسجد قباء فمن الثابت أنه أول مسجد بنى فى الاسلام ، وهو الذى يطلق عليه مسجد التقوى ، على اعتبار أنه المسجد المراد بقوله تعالى « **لمسجدأسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه** »

وورد أنه مسجد المدينة فقد ذكر نور الدين السمهودى فى كتابه «الوفا بأخبار دارالمصطفى» روى أبو سعيد الخدرى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال : هومسجدى • ويروى عن الحافظ ابن حجر ، أن السر فى جوابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ دفع توهم أن ذلك مقصور على مسجد قباء • وقال الداودى وغيره ليس هذا اختلافا لأن كلا منهما أسس على التقوى •

ولما خرج الرسول من قباء يوم الجمعة وأدركته الصلاة فى بنى سالم بن عوف صلى الجمعة لأول مرة فى الاسلام ، وبعد أن فرغ من الصلاة ركب ناقته قاصدا المدينة وسارت الى دار أبى أيوب الانصارى ، فبركت فى مربد تمر ، فأمر الرسول أن يبنى فى مكان المربد الذى اشتراه بعشرة دنانير مسجد للمسلمين واشترك بنفسه فى بنائه وبنى الى جنبه مساكنه التى انتقل اليها بعد أن استغرق بناؤها سبعة شهور قضاها فى ضيافة أبى أيوب الأنصارى وخط الرسول لأصحابه الخطط فى الأرض التى وهبها لهم الأنصار • وقد أذن الرسول لفقراء المسلمين الذين ليس لهم منازل ولا عشائر أن يناموا فى المسجد ، وكان يدعو طائفة منهم ليلا لتناول الطعام ويكلف أصحابه باطعام الآخرين وقد عرف ذلك الفريق من المسلمين بأهل الصفة لاقامتهم بالمسجد على هيئة صفوف • وقد بنيت جدران المسجد النبوى الأربعة باللبن وسقف جزء منه بسعف النخيل والطين وترك الجزء الآخر مكشوفا وجعلت عمد المسجد من جذوع النخل • وكان للمسجد ثلاثة أبواب ومساحته سبعون ذراعا فى ستين ذراعا •

وكانت كلمة مسجد فى أوائل العصر الاسلامى هى المستعملة للدلالة على أمكنة العبادة الاسلامية ثم أتبع بنعت لبيان درجته فقدجاء فى دعائم الاسلام للقاضى أبى حنيفة النعمان ابن محمد بن منصور التميمى المغربى، المساجد فى الظاهر البيوت التى تجتمع الناس اليها للصلاة فيهاوهى على درجات. فقيل «**المسجد الجامع**» «**ومسجد الجماعة**» و«**المسجد الأعظم**» •

وعن رسول الله أنه قال : **ان الصلاة فى المسجد الحرام مائة ألف صلاة ، والصلاة فى مسجد المدينة عشرة آلاف صلاة ، والصلاة فى بيت المقدس ألف صلاة والصلاة فى المسجد الأعظم مائة صلاة ، والصلاة فى مسجد القبيلة خمس وعشرون صلاة والصلاة فى السوق اثنتا عشرة صلاة ، وصلاة الرجل وحده فى بيته صلاة واحدة » •• والمقصود هنا بالمسجد الأعظم كما يقول القاضى أبو حنيفةالنعمان ، هو الجامع الذى تجمع فيه الجمعة فى كل مصر ، أما مسجد القبيلة فيعنى سائر المساجد غير الجامع •**

قال هشام بن عمار ، حدثنا المغيرةبن المغيرة لماافتتح عمرالبلدان كتب الى أبى موسى وهوعلى البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد فاذا كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة ، وكتب الى سعد بن أبى وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك وكتب الى عمروبن العاص وهو على مصر بمثل ذلك وكتب الى أمراء أجناد الشام ، أن لايتبددوا الى القرى وأن ينزلوا المدائن وأن يتخذوا فى كل مدينة مسجدا واحدا ولا تتخذ القبائل مساجد فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده •

فى أوائل العصر الأموى أصبح للفظ « الجامع » معنى سياسى الى جانب المعنى الدينى اذ كان من شعارات الخلافة ذكر اسم الخليفة

فى خطبة الجمعة فى المسجد الجامع الذى يؤم فيه الخليفة المسلمين أو من ينوب عنه من الولاة أو العمال على الأقاليم . والأصل فى ذلك ان الخلفاء كانوا يتولون امامة الصلاة بأنفسهم فكانوا يختمون فروض الصلاة بالدعاء للنبى والرضى عن الصحابة ، فلما فتحوا البلاد وبعثوا اليها العمار صار الولاة يتولون امامة الصلاة فى ولاياتهم فكانوا اذا صلوا ختموا الصلاة بالدعاء للخلفاء ، وأول من فعل ذلك منهم عبد الله بن العباس ، لما تولى البصرة على عهد الامام على ، اذ وقف على منبر جامع البصرة وقال « **اللهم أنصر عليا** » واتصل العمل على ذلك فيما بعد .

وفى القرن السابع الهجرى أصبح المؤرخون يستعملون لفظ « **جامع** » للدلالة على المساجد الكبيرة أما العمائر الدينية الصغيرة فظلوا يستعملون لها لفظ « **مسجد** » . ويقول الدكتور زكى محمد حسن فى كتابه فنون الاسلام ، ولعل استعمال كلمة جامع للمساجد الكبيرة يرجع الى أن صلاة الجمعة لم تكن تقام فى البداية الا فى مسجد واحد فى المدينة هو المسجد الجامع أو مسجد الجمعة أو مسجد الجماعة أو الجامع فحسب ، ولما كثر المسلمون فى البلد الواحد أقيمت صلاة الجمعة فى أكثر من مسجد واحد فعرفوها بالمساجد الجامعة أو الجوامع ، واتسعت مساحتها لتسد حاجة المصلين ، اما أماكن العبادة الصغيرة فظلت تسمى مساجد

كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل هجرته الى المدينة يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فى صلاته فيستقبل وسط جدار الكعبة الممتد من الركن اليمانى الى الركن الجنوبى الشرقى وهو الذى فيه الحجر الأسود وبين الركنين عشرون ذراعا ، أما توجه الرسول فى الصلاة الى بيت المقدس فلم يظهر الا بعد هجرته الى المدينة ، ففى مكة كان يصلى الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة أمر باستقبال بيت المقدس فصلى اليه ستة أو سبعة عشر شهرا ، وكان يقع فى قلبه ويتوقع من ربه أن يحوله الى الكعبة لان اليهود كانوا يقولون يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا ولأنها قبلة ابراهيم عليه السلام ، وأقدم القبلتين والتوجه اليها أدعى الى اسلام العرب

فنزلت آية التحويل وهى قوله تعالى « **قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره ، وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون** »

ويروى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد نزل ضيفا فى بنى سلمة بضواحى المدينة ، فلما حان الظهر صلى بأصحابه وبعد ركعتين أمره الله سبحانه بأن يتخذ الكعبة قبلة له فاستدار اليها واستقبل الميزاب من الكعبة ، فسمى هذا المسجد الذى صلى فيه النبى مسجد القبلتين ولما صرف الرسول القبلة من بيت المقدس الى الكعبة فى شعبان سنة ٢ هـ ، اشتد استياء اليهود منه وقالوا له يامحمد ماولاك عن قبلتك التى كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه ، ارجع الى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك ، فأنزل الله تعالى هذه الآية « **سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وماكان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم** »

ومن ثم فقد أصبح المحراب من العناصر المعمارية الهامة فى المسجد ، فلما انقضى عهد الخلفاء الراشدين الذى غلب فيه على المسلمين تجنب البذخ والترف ، وجاءت الدولة الأموية التى تشبه فيها الخلفاء بالملوك والأباطرة ، كان عليهم أن يسايروا ركب الحضارة البزنطية والساسانية فشيدوا مساجد توازى فى فخامتها وعظمتها المادية زيجورات الفرس وكنائس المسيحيين . واهتموا بصفة خاصة بالمحراب فبذلوا الكثير من الجهد والمال فى زخرفته وتزيينه ، كما استخدموا المحراب المجوف وكان ذلك فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك حين أعاد بناء مسجد النبى على يدواليه

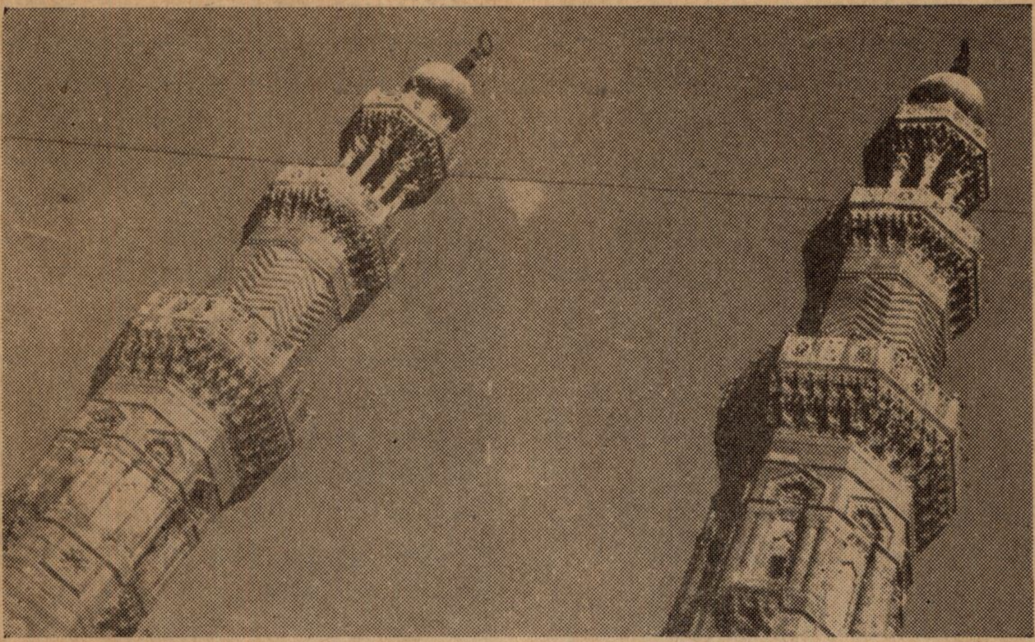

«٣» مئذنتى جامع المؤيد فوق أبراج باب زويلة

عمر بن عبد العزيز ، فقد روى أن الوليد كتب الى ملك الروم يقول : «**انا نريد أن نعمر مسجد نبينا الأعظم فأعنا فيه بعمال وفسيفساء فبعث اليه الأمبراطور بمائة عامل ومائة ألف مثقال من الذهب ومقادير كبيرة من الفسيفساء نقلت على أربعين جملا . ويقول البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان** « **وبعث اليه بمال وفسيفساء ورخام وثمانين صانعا من الروم والقبط من أهل الشام ومصر فبناه وزاد فيه** » وقد جاء فى كتاب وفاء الوفا أن القبط بنوا مقدم المسجد وبنى الروم جوانبه ومؤخره « فكان المحراب اذن فى الجزء الذى بناه القبط ، ومن المرجح أنه منقول عن الجزء المجوف فى الكنائس القبطية وهو الهيكل أو الحيفة . ولعل ذلك هو الذى دعا كثيرا من المؤلفين العرب الى استخراج حديث نسبوا فيه الى النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « **ان ظهور المحاريب التى تجعل المساجد تشبه الكنائس علامة من علامات الساعة** » وقالوا « **ان المحراب أقل أجزاء المسجد قداسة** » وقد ألف السيوطى كتابا سماه «أعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب »

وبرغم ماثار من نقاش حول المحراب لم يكتف فى عمارة بعض المساجد بمحراب واحد بل تعددت محاريبها ، ومن أهم الأمثلة لذلك فى مصر جامع أحمد بن طولون ، اذ نجد به خمسة محاريب ، واحد منها مجوف ويرجع تاريخه الى تاريخ تأسيس الجامع سنة ٢٦٥ هـ والأربعة الأخرى مسطحه وترجع الى عدة عصور ، اثنان من العصر الفاطمى ، كتب عليهما هذه العبارة « لا اله الا الله محمد رسول الله . على ولى الله » وذلك لأن الدولة الفاطمية كانت شيعية المذهب . ورابع من عمل السلطان المنصور لاجين سنة ٦٩٦ هـ وهو الذى قام بعمارة كبيرة فى الجامع . والمحراب الخامس يرجع الى منتصف القرن السابع الهجرى . والمحاريب غير المجوفة كلها من الجص الجميل الحافل بالزخارف والنقوش النباتية المحورة والهندسية الدقيقة يصاحبها أشرطة من الكتابات الكوفية المزهرة والنسخية الجميلة ، أما المحراب

المجوف فقد زخرف بالرخام الملون ورصعت طاقيته بالفسيفساء المذهبة والملونة فجاءت تحفة فنية رائعة • وقد وجد تعدد المحاريب فى المساجد فى العصور المختلفة ويرجع السبب فى ذلك لعوامل عدة أولها توالى يد الاصلاح والترميم على المساجد اذ كان من عادة المصلح أو المرمم أن يثبت ذلك ببناء محراب بالجامع يكتب عليه اسمه ويقوم ذلك مقام اللوحة التذكارية فى عصرنا الحالى ، والسبب الثانى ولعله الأهم ، وهو تعدد المذاهب ، فقد حدث عندما جاء الفواطم الى مصر أن عملوا منذ اللحظة الأولى على محاربة المذهب السنى • ونشر مذهبهم الشيعى ، وطبيعى كان المسجد أهم مكان لنشر الدعوة والمحراب أهم جزء فيه • ولم يقتصر الأمر على المذهب السنى والشيعى فحسب ، بل ان المحاريب تعددت لتعدد المذاهب السنية كذلك ، فقد ذكر ابن كثير القرشى فى كتابه البداية والنهاية ، ان الصاحب تقى الدين بن مراجل ناظر الجامع الأموى بدمشق عمل فيه محرابين للحنفية والحنابلة سنة ٧٦٤ هـ

ويفرد المقريزى فى كتابه الخطط والآثار فصلين كبيرين للمحاريب يوضح فيهما كيف كانت تحدد القبلة فى المساجد المراد انشاؤها فيقول ، ان محاريب ديار مصر التى يستقبلها المسلمون فى صلواتهم أربعة محاريب ، أحدها محراب الصحابة وهو محراب جامع عمرو ومحراب المسجد الجامع بالجيزة وبمدينة بلبيس وبالاسكندرية وقوص وأسوان وهذه المحاريب المذكورة على سمت واحد غير أن محاريب ثغر أسوان اشد تشريقا من غيرها وذلك ان أسوان مع مكة شرفها الله تعالى فى الاقليم الثانى وهى الحد الغربى من مكة بغير ميل الى الشمال ومحراب بلبس مغرب قليلا والمحراب الثانى محراب مسجد احمد بن طولون والمحراب الثالث محراب جامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر ، والمحراب الرابع محاريب المساجد التى فى قرى بلاد الساحل فانها تخالف محاريب الصحابة الا محراب منية غمر الذى بناه أبو عبد الله المأمون البطائحى وزير الخليفة الفاطمى الآمر باحكام الله ، فجعل محرابه على سمت المحاريب الصحيحة •

أما المآذن فلم يعرفها المسلمون فى عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، فقد كان بلال مولى النبى يؤذن للصلاة فوق سطح بيت عال مجاور لمسجد الرسول ، ويقال ان الدعوة الى الصلاة كانت تؤدى فى أول الأمر بقرع الأجراس ، كما هو الحال فى الكنائس ، فقد جاء فى سيرة ابن هشام أن النبى حين هاجر الى المدينة كان الناس يجتمعون الى الصلاة بغير دعوة ، فهم الرسول حين قدمها أن يتخذ بوقا كبوق اليهود الذى يدعون فيه لصلاتهم ، ثم كرهه ، فأمر باتخاذ الناقوس لكى يدعى به المسلمون للصلاة كما يفعل المسيحيون ، ولكن أخبره عبد الله ابن زيد بن ثعلبة أن طائفا طاف به ليلة منامه وزين له الدعوة الى الصلاة بالآذان • فأقره النبى على ذلك وأمر مولاه أن يؤذن داعيا الى الصلاة وقيل ان عمر بن الخطاب هو الذى قدم على الرسول – صلى الله عليه وسلم – يقترح الآذان ، ولكنه رأى بلالا يؤذن وعلم من النبى أن الوحى قد سبقه الى ذلك • أما المآذن فقد اتخذها المسلمون لأول مرة فى دمشق فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، فقد أذنوا للصلاة من أبراج المعبد الوثنى القديم الذى أقيم على أنقاضه المسجد الأموى • ومن المرجح وجود مآذن فى عهد على بن أبى طالب ، فقد روى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على أنه قال : : لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد ، الا أن يكون له عذر أو به علة ، فقيل له : **ومن جار المسجد يا أمير المؤمنين قال من سمع النداء •**

وقد اختلفت أسماء المآذن باختلاف الجهات والاماكن فسميت الصومعة أو المنارة ، بل ان بعض جهات من بلاد المغرب يطلقون على المئذنة اسم « عساس » أى مكان المراقبة مما يدل على أن المآذن لم تكن تستعمل للآذان فحسب ، بل كانت تستخدم للملاحظة فى بعض الأحيان ، وكان شكل المآذن الأولى مربعا ، وقد اختلف علماء الآثار وكذا مؤرخو الفنون فى الأصل الذى أخذت عنه المئذنة شكلها فمنهم من قال ان أصلها مأخوذ من الزيجورات وهو مكان العبادة عند الفرس ، ومنهم من قال انها أخذت من شكل منارة الاسكندرية التى ظلت باقية حتى القرن

الرابع عشر الميلادى ، وفريق ثالث قال انها جاءت من أبراج الكنائس . وقد ورد فى المقريزى ، أن معاوية بن أبى سفيان أمر مسلمة ابن مخلد الأنصارى واليه على مصر سنة ٥٣ هـ ببناء الصوامع للآذان ، فجعل مسلمه للمسجد الجامع « مسجد عمرو » أربع صوامع فى أركانه الأربعة . وكانت تلك المآذن أول مآذن تبنى فى الاسلام ، من هنا نستطيع القول أن أصل المئذنة مأخوذ من أبراج الكنائس ، وعددها عادة أربعة ، وهى أول مااتخذ للآن فى المعبد الوثنى بمدينة دمشق .

على أن شكل المآذن تطور تطورا كبيرا ، وتعتبر مدينة القاهرة من أحسن بلاد العالم الاسلامى التى يتمثل فيها مختلف الأشكال والطرز حتى أن الأجانب أطلقوا عليها اسم « المدينة ذات الألف مئذنة » وأقدم المآذن الباقية فى مصر حتى الآن مئذنة جامع أحمد بن طولون وهى تقع فى الزيادة الغربية للجامع وتتكون من قاعدة مربعة تعلوها طبقة اسطوانية وفوقها طبقة مثمنة ، ويحيط بالطبقة الأولى والثانية سلم حلزونى من الخارج ، وهى المئذنة الوحيدة فى مصر ذات السلم الخارجى وليس لها مثيل فى العالم الاسلامى الا فى مسجد سمارا ومسجد أبو دلف بالعراق . والمئذنة الثانية فى مصر من حيث التاريخ هى مئذنتا جامع الحاكم رابع خلفاء الدولة الفاطمية ، وتتكون كل منهما من مكعبين أجوفين يعلو أحدهما الآخر ، أما الطبقة العلوية فترجع الى العصر المملوكى ، وهى مستديرة الشكل فى فى احدى المئذنتين وذات شكل ثمانى فى الثانية شكل «٢» . أما مآذن العصر المملوكى فقد تطورت عن مآذن الدولة الفاطمية ، فان معظم المآذن كان من ثلاث طبقات ، الطبقة الأولى مربعة والثانية اسطوانية والثالثة مثمنة ويعلو ذلك قبة مستديرة أو مضلعة على شكل المبخرة أو على شكل الخوذة .

ومعظم المآذن مبنى من الحجر المنحوت وقد نقشت أبدانها نقوشا غائرة أو بارزة قوامها زخارف نباتية وهندسية غاية فى الدقة والابداع كما يحيط بها فى غالب الأحيان أشرطة كتابية تبين اسم منشئها أو تحتوى على آيات قرآنية وفى العصر المملوكى كسيت أبدانها من الخارج ببلاطات القيشانى الملون .

وظهرت فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر وفى القرن الخامس عشر منارات ذات رؤوس مزدوجة ، ومن أحسن الأمثلة لذلك مئذنة مسجد قانى باى الرماح بميدان صلاح الدين بالقلعة ومئذنة الغورى بالجامع الأزهر ، وتحتوى مثل هذه المآذن على سلمين فيمابين دورتيها الأولى والثانية لايرى الصاعد فى أحدهما الآخر ، وهى من النكت الفنية فى العمارة الاسلامية وللسلطان الغورى فى مسجده بالغورية مئذنة ذات أربعة رؤوس . أما فى العصر العثمانى فقد كانت المآذن ذات طبقة واحدة اسطوانية الشكل ومتعددة الأضلاع ويعلو هذه الطبقة شكل مسلة ، ومن أحسن الأمثلة لذلك مئذنة جامع محمد على بالقلعة، اذ يبلغ ارتفاع مئذنته ٨٤ مترا وبها ٢٥٦ درجة ، وهى تشبه فى طرازها مئذنة جامع السلطان أحمد بمدينة اسطنبول بتركيا

هذا وقد كان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخطب فى المسلمين فى أول الأمر وهو مستند الى جذع نخلة ، ثم اتخذ له بعد ذلك منبرا من خشب الأثل ، وقد جاء فى مسند ابن حنبل ان هذا المنبر كان مقعدا ذو ثلاث درجات ويروى أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يجلس على الدرجة العليا ويضع قدميه على الدرجة الثانية ، ولما تولى أبو بكر كان يجلس على الدرجة الثانية ويضع قدميه على الدرجة الأولى ، أما عمر فكان يجلس على الدرجة الأولى ويضع قدميه على الأرض . على أن هذا المنبر الذى جلس عليه الرسول ومن بعده أبو بكر وعمر كان يعتبر فى نظر المسلمين مقعدا فحسب ، ذلك لأنه عندما اتخذ عمرو بن العاص له منبرا بمسجده بالفسطاط كتب اليه الخليفة عمر يقول « أما بعد فقد بلغنى أنك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين أو مايكفيك أن تكون قائما والمسلمون تحت عقبك ، ، فعزمت عليك الاماكسرته « وظلت المساجد بعد ذلك بلا منابر حتى كان عصر الخليفة الأموى الوليد ابن عبد الملك ، عندما أمر واليه على مصر قرة

بن شريك العبسى باعادة بناء جامع عمــــرو بالفسطاط سنة ٩٢ هـ فأقام به المنبر فقد ورد فى الخطط للمقريزى ، عن الكندى ، أن قره بن شريك نصب المنبر الجديد فى سنة أربـــع وتسعين ونزع المنبر الذى كان فى المسجـد ، وذكر (أى الكندى) أن عمرو بن العاص كان جعله فيه فلعله بعد وفاة « عمر بن الخطاب » ويضيف المقريزى ويؤيده فى قوله ابن دقماق فى كتابه « الانتصار لواسطة عقد الامصار » « قيل هو منبر عبد العزيز بن مروان « أى المنبر القديم » وذكر أنه حمل اليــــه من بعض كنائس مصر وقيل ان زكريا بن برقنى ملك النوبة أهداه الى عبد الله بن أبى السرح وبعث معه نجاره حتى ركبه واسم هذا النجار بقطر من أهل دندرة » ثم يعود المقريزى فيقول عن الكندى أيضا ، لايعرف منبر أقدم منه يعنى منبر قره بن شريك بعد منبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ • ولعله يعنى بهذه الرواية الأخيرة المنابر التى صنعها المسلمون خصيصا للمسجد مستبعدا تلك التى أخذت من الكنائس أو المهداه من ملوك مسيحيين • ويقول المقريزى «ان الخليفة المهدى أمر سنة احدى وستين ومائة بتقصير المنابر فجعلت على مقدار منبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم أعيدت بعد ذلك « أما فى قرى مصر فقد كان يخطب الخطيب مستندا على العصا ويقول المقريزى « **الى أن ولى عبد الملك بن موسى بن نصير اللخمى مصر من قبل الخليفة مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية ، فأمر باتخاذ المنابر فى القرى وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة »**

ويرجح علماء الآثار الاسلامية أن شـــــكل المنابر ،قد أخذ من المنابر المسيحية ، فقد عثر على منبر حجرى بدير الآنبا أرميا بسقارة يرجع الى القرن السادس الميلادى ، وهذا المنبر يشبه الى حد كبير المنابر الاسلامية ، وهو محفوظ بالمتحف القبطى بالقاهرة • على أن شكل المنبر الاسلامى لم يدخل عليه تغير جوهرى يذكر ، بل ظل كما هو اللهم الا من حيث المادة المصنوع

شكل «٢» مئذنة جامع الحاكم

منها ، فمعظم المنابر مصنوع من الخشب ويندر أن نجد منبرا حجريا أو من الرخام • وبتقدم الفن الاسلامى وازدهاره تقدمت طريقة صناعة المنابر ، فقد نقشت جوانب المنبر وكذا بابه بزخارف محفورة فى الخشب حفرا بارزا أو غائرا وقوام هذه الرسوم نقوش نباتية غاية فى الدقة والابداع ، وفى القرن الســـــادس الهجرى تقدم فن زخرفة الأخشاب فأصبحت تنقش وحدات صغيرة من الخشب ثم تجمع هذه الوحدات على شكل نجمة عرفت « بالأطباق النجمية » ومن مجموع هذه الأطباق النجمية صنع المنبر ، فجاء فى النهاية تحفة فنية رائعة •• ولم يكتف بذلك بل طعم خشـــب المنبر بالابنوس والعاج والصدف حتى أصبحت المنابر ثروة مادية الى جانب قيمتها الفنية والدينية •

اخبار سريعة

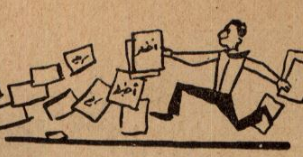

الوحدة العربية آتية

صرح الرئيس عبد الله السلال بأن الوحدة العربية لا بد آتية ، وأن الدعامة الأولى لهذه الوحدة هى مبادىء وشخصية الرئيس جمال عبد الناصر وجيش الجمهورية العربية وشعبها الحر .

الرئيس يحضر اجتماعات ميثاق الدار البيضاء بمراكش

يعقد فى الأسبوع الأول من شهر مايو المقبل اجتماع اللجنة السياسية لدول ميثاق الدار البيضاء بمدينة مراكش .

وقد صرح تهامى الوزانى سكرتير عام مؤتمر دول ميثاق الدار البيضاء بأن السيد الرئيس جمال عبد الناصر أعرب عن موافقته على حضور هذا الاجتماع .

سفيرنا فى لندن يحاضر عن الدبلوماسية فى الاسلام

ألقى السيد محمد عوض القونى سفير الجمهورية العربية المتحدة بانجلترا محاضرة عن الدبلوماسية فى الاسلام وذلك فى المركز الثقافى الاسلامى بلندن .

وقال السفير : ان النبى سيدنا محمدا عليه السلام كان يؤمن بمبدأ المفاوضات السلمية والتعايش ..

كما قال ان من شأن قواعد السلوك الانسانى التى وضعها الاسلام ، أن ترفع مستوى الدبلوماسية ، وقد وضع الاسلام المبدأ القائل بأن الناس جميعا متساوون .

١٥٠ ألف مسلم فى انجلترا

يبلغ عدد المسلمين فى انجلترا ١٥٠ ألف مسلم .. صرح بذلك السيد محمد عوض القونى سفير الجمهورية العربية المتحدة بلندن .

الشافعى يزور الشيخ شلتوت فى منزله

صرح مصدر مسئول بأن الزيارة التى قام بها السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرئاسة الى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت فى منزله بمناسبة شهر رمضان المبارك كان لها أطيب الأثر ..

كتب دينية للطلاب المسلمين فى اليابان

تلقى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية رسالة من الطلاب المسلمين باليابان تتضمن طلب مجموعة من الكتب .

وقد تقرر ارسال مجموعة من الكتب الدينية بالعربية والانجليزية لهؤلاء الطلاب .

اقامة مسجد كبير فى جوهانسبرج

تلقت الجهات المسئولة بالقاهرة رسالة من جمعية المساجد الحميدة فى جوهانسبرج بجنوب افريقيا ..

تتضمن الرسالة صورا ورسما تفصيليا للاستعانة به فى اقامة مسجد كبير فى جوهانسبرج على نمط المساجد الكبرى فى الجمهورية العربية المتحدة ..

مسابقة دولية فى تلاوة القرآن

أقيمت مسابقة دولية فى تلاوة القرآن الكريم بالملايو فى ١٠ فبراير الماضى .

أشرف على المسابقة تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء الملايو ،واشترك فيها قراء من الجمهورية العربية وباكستان والهند والفلبين وسنغافورة وبرونى وبورينو وساراواك ..

قصة العدد

الأم الرءوم

الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله

كان ميلادها سابقا لميلادى ٠٠ ليس فقط ٠٠ بل سابقا لميلاد أبى ٠ وقيل ان جدى رآها وهو صغير ، وسمع شقشقة العصافير فوق أغصانها فى زمن لم يكن الناس فيه كثيرين ولا مطالب الحياة مرهفة ولا كثيرة ٠

كانت احدى أشجار السنط ٠٠ وحيدة على باب الحارة وعلى مقربة منها فضاء واسع وبحيرة راكدة الماء ٠٠ تظلل أغصانها الدور والطريق وان زعموا أن الشيخوخة قدأدركتها ، وكنا نرى ذوائب فروعها على بعدعدة كيلومترات لارتفاعها ٠ أما جذعها فقد كان فى الحقيقة هو موطن السر والسحر والجاذبية ٠٠ هو الذى حببنا فيها ونحن اطفال ، وجعلنا ندور حولها باستمرار كأنها أم لكل طفل فى الحارة ٠٠ كان جذعها ضخما كثير التعاريج فيه مخابىء وأخاديد وفجوات وصنعت منه الطبيعة مقاعد صغيرة تعجب الأطفال ٠ وفى الفجوات التى نجمت بينه وبين الأرض كان السحر والسر والجاذبية ٠٠ فمنه ينبعث نقيق الضفادع فى الليالى المقمرة ونحن نلعب على مقربة من أمنا الرءوم ٠٠ **هذه الشجرة ٠**

وقد نتخيل أن دجاجة وضعت بيضها فى احدى فجواته فنجد فى البحث عنه أو أن ثعبانا لجأ اليه فنملأ الفجوة بالماء أو نشعل عند بابها النار ٠

وحفرنا على الجذع أسماءنا بالمساميروجمعنا منه الصمغ للحاجات المدرسية وعلق المجاذيب فيه المصابيح فى مولد ولى الله ساكن القرية وسمعنا تحتها الأذكار ٠

وعلق الجزار فيها ذبيحة يوم العيد ٠ وعلى الفرع المتطامن غير العالى ٠٠ كنا نصعد ونحن آمنون ٠٠ لنشد فيه حبال المراجيح ، وفى فصل الخريف حين يرتفع ماء البركة قليلا بفعل الفيضان تتحول تلك البقعة الى شىء ساحر فتفرش الأرض الندية أزهارها الصفراء التى تسمى زهرة الفتنة ٠٠ ويهيم تحتها نوع من الفراش كنا نطارده ونصيده ٠

وفى الليل تنعقد جنب جذعها حلقة الصبيان ليتحدثوا عن الأعياد أو الابطال أو الشياطين ٠ أو ليخوضوا فى تاريخ هذه الشجرة وكل منهم يزعم أن جده هو الذى زرعها ٠

وكانت على مقربة من دارنا ويخيل الى أننى أراها اكثر مما يراهـــا غيرى ليس بعينى من النوافذ العليا . بل بقلبى وان أغمضت عينى . !

كتبت على جذعهـــا أول حرف تعلمته فى المدرسة .. ثم نقشت عليه اسمى . وعندما كان ينشب الخلاف بينى وبين أحد فى الدار كنت ألجأ اليها بدموعى . ولما كبرت ورحلت عن القرية لأتعلم فى المدينة أحسست وأنـــا أفارق وطنى الصغير أنها رمز لكل شىء فيه منذ لحظة الميلاد .. حتى تلك اللحظة فلما غابت عنى ذوائب فروعها كففت عن التلفت نحـــو قريتى .

ثم رأيت فى المدينة أشياء جديدة بهرت عينى حقيقة وسحرت لبى . ولما رأيت الهرم الأكبر شعرت باحساس غلام فى الثالثة عشرة من العمر أنه حقيقة شىء ضخم .. مثل .. مثل تلك الشجرة التى تركتها فى وطنى على باب الحارة وفروعها على مقربة من الدار . لكنها كانت تمتاز عنه بأنها أكثر حنوا وان كان هو أكثـــر جبروتا وقوة .

وكانت سنواتى الدراسية تمر .. وأغيب عن القرية وأعود فأجدها كما هى .. كأنهـــا فى انتظارى . وجيل جديد من الأولاد لم يشب بعد عن الطوق يفعل نفس ماكنت أفعله مع صبيان جيلى . يعلقون المراجيح فى الفروع المتطامنة .. ويوقدون النار دفاعا عن فجواتها من دخول الثعابين ويستمعون الى «سمفونيات» الضفادع فى الليالى المقمرة .

وكنت أحيانا أذهب لأفتش على جذعها عن الأثر الذى رسمته عليه بالمسمار . غير أن أغصانها كلما كبرت كانت توحى الى بأفكار جديدة .. فكنت عندما أسمع أزيزها فى الليل وأنا فى احدى العطلات أتخيل أنها تنظم شعرا .. وكدت أشعر أن روحا غريبة تتقمصها بحيث تبدو وكأنها شىء حى .

وفى عطلة الصيف كنت أجلس متكئا على جذعها وفى يدى كتاب أدب أو ديوان شعر ، وعلى الجانب المقابل لى بحيث لا أراه قد استلقى فلاح عجوز غارقا فى النوم وكأنه يحلم بذكريات طفولته تحتها .. بالتالى ..

***

وفى سنوات الحرب الثانيـــة لم ينـــج الريف من الخراب .. كنت أيامها شابا فى مقتبل الحياة قد فرغت توا من اتمام دراستى وبدأت أتأهب .. ل .. لأعيش !

وكانت المدن الكبيرة تعيش تحت سلطان الظلام طوال تلك السنوات وكنت فى أجازتى الطويلة والقصيرة ألجأ الى الريف لأن ظلامه ليس بسبب اطفاء الأنوار بل لعدم اضاءتهـــا .. كان طبيعيا ان لم يبدده القمر .

وكنت أجتاز الحقول بعد نزولى من قطار الظهر فى شهر يوليه والشمس برتقـــالية حمراء .. وليس أحد بانتظارى وليس معى متاع .. فراعنى أن أجد معالم الطريق متغيرة .. رأيته مثل طائر نتفوا كل ريشه فوقف عاريا مطرقا مرتعشا ..

كانت الترعة ممدودة على الحقول الخالية بعد حصاد القمح وكأنها شريان فى جسم ناحل .. والمهم .. المهم جدا .. أنه لم يكن على شطها شجرة واحدة لا على اليمين ولا على اليسار . وكدت لا أعرف البقعة .. كأنها حسناء جزوا شعرها . لكننى أدركت السبب .. الحرب .. الوقود .. النار .. النار التى تريد شيئا تأكله .. وتمتمت وأنا أمسح عرقا متربـــا بمنديل أبيض من على جبينى : النار يقذفون لها بالبشر والشجر فى هذه الأيام .

وسكتت أفكارى لحظة وأنا أحس حرارة التراب على الطريق ثم خفق قلبى فجأة لأننى وصلت الى القنطرة التى يجب أن أرى من عندها ذوائب الشجرة التى أحبها ..

سألت نفسى : هل باعوها ؟ .. هـــل قطعوها ؟

وضحكت لأنه خيل الى فجأة اننى طفـــل يستميت في الدفاع عن قطعة من الورق الملون

.. لكن خوفى زال تماما حين لاحت لعينى ذوائبها الباسقة تعلو فروع النخل .

وفى ساعة القيلولة كنت متكئا على جذعها وفى يدى صحيفة الصباح أقرأ أخبارا عن الحرب ويناقشنى فيها فلاح عجوز يوازن بين هذه الأحداث وأحداث الحرب الأولى .

وشقشق فوق رأسى عصفور فرفعت رأسى الى أعلى ورأيت شبكة الأغصان الخضراء وقد تخللتها زرقة سماء صيفية رائقة لكننى خفضت نظرتى لأن الفلاح الذى بجوارى وجه الى سؤالا طابعه يحمل القلق .

– هل تعلم ؟

– بماذا ؟

– بماذا ؟ ألم تعلم حتى الآن ؟

– لا ..

– ألم تر طريق المحطة ؟ هل رأيت عليه شجرة واحدة .

– صحيح . لكن .. ماذا تعنى ..

فتنهد واعتدل فى جلسته هاما بالانصراف وأشار الى الشجرة وقال :

– جاء دورها .

ونفض جلبابه من آثار التراب وتركنى ومشى ..

***

وبقيت وحدى جالسا أفكر .. أحسست بحزن عميق لكنه متصف بالسذاجة أحسست كأن عدوانا سيقع على وطنى . ورأيتنى صبيا من جديد يوقد النار على باب فجوات الجذع ليدفع الثعابين عن الدخول اليها .

وهبت نسمة عزيزة العبور فازت بها الأغصان ..

سمعت حفيفها كأنه وداع لكن مالبثت أن هبطت الى عالم الواقع لأسأل نفسى :

– من الذى يملكها ؟

وعرفت الجواب .. انها ليس ملك أحد معين . ان كل سكان الحارة يدعون ملكيتها

.. اذن فلن تباع .. سيدب الخلاف بينهم الا اذا اتفقوا على قطعها

وسافرت بعد أسبوعين .

وكان الوقت ليلا ليلة رحيلى . فاجتزت تحتها شبكة من ضوء القمر وسمعت فوق أغصانها حلم أحد الطيور وملأت أنفى رائحة أزهار الفتنة . وتذكرت الحرب .

ومكثت فى المدينة ثلاثة شهور ثم عدت فى أجازة قصيرة من نفس الطريق .

وعند القنطرة .. خفق قلبى ..

رفعت رأسى لأفتش عن أول معلم من معالم وطنى .. فلم أجد ذوائب الأغصان . وكانت السماء مكشوفة هناك كأنما رقعة الفضاء قد اتسعت . وأحسست أننى سأتوه . سأتحول الى قرية أخرى لأبحث عن دارنا . والشمس تنحدر نحو المغيب لكننى قلت كأنما لأعزى نفسى :

النار .. انهم يرمون لها بالبشر والشجر وليس الشجر أغلى من البشر . وتنهدت وأنا أعبر قنطرة أخرى وأنظر الى شجرة صغيرة يسقيها فلاح على رأس حقل .

وفى الليل عندما كان القمر يتلألأ ليدل الطائرات المغيرة على الأهداف فى العواصم .. كان السكون يشمل الريف ولم يكن هناك أغصان ينفذ من بينها ليلقى شبكة من النور على البقعة المعهودة . وكان هناك فجوة كبيرة مكان الجذع حفروها ليأخذوه سليما ثم تركوها بلا ردم لأنها ذهبت منذ أسبوع . وكانت مياه الفيضان قد ارتفعت فملأ الرشح موضع الشجرة

جلست على حافته أستمع الى نقيق الضفادع وأرى صورة القمر وقد انعكست فيه كأنه ماء بحر وعلى هذه المرآة الصغيرة طافت ذكريات أطفال ورجال حتى أفقت على صوت الفلاح الذى كان يحدثنى فى المرة السابقة وهو يقول :

– باعوها ياسيدى .. باعوها .. ليتهم يتفقون على كل شىء بسهولة كما اتفقوا على قطع الشجر وقتل البشر ..

النور المحمدى

الشاعر محمد محمد الساعى

(موكب النور)

نور بمكـــــة قـد ظهر من بيت آمنـــــة انتشر
وســما فأشـــرقت السمـــا والأرض وانشـــق القمـــر
نـــور الحبيب المصـــطفى طه المصـــفى من مضـــر
نـــور النبى محمـــد فـــاق الدرارى والـدرر
من نـــور أحمـــد أشـــرقت شـمس الحقيقـــة والفِكـــر

(مولده الشريف)

ولد الهـدى فى عـــام فيـــل ليـــلة الثـــانى عشر
فى ليـــلة غـــراء من شهـــر الربيـــع كما اشتهـــر
ولد الهـدى والظلم كان له التفـــوق والظفـــر
كسرى وقيصـــر أوغـــلا فى الظلـم واحتقـــرا البشـر
فالنـــاس فى نظريهمـــا مثـــل الجمـــاد أو البقـــر
والنـــاس قـد سئمـــوا حيـــا ة دونهـــا وخـــز الإبر
لمـــا بدا نـــور الهـــدى قال الدجـــى : أين المفـــر؟
غاضت بحيـــرة ســـاوة مـــذ كوكب الدنيـــا ظهـــر
وقصـــور بصـــرى أشـــرقت بالنـــور فى وقت الســـحر
واهتـــز إيوان ومـــاد القصـــر والظلم انحســـر
هتفت لمولده الأعـــاجم والحجـــارة والشجـــر
كل يبشـــر بعضـــه بعضـــا بمولود أغـــر
فســـل الغـزالة ما جرى وحنين جـــذع والحجـــر

والرمـــل حين مشى عليـــه فـــلا دليل ولا أثر
ووقتـــه من نار الهجير سحـــابة عند السفر

(أخلاقه الكريمة)

شهدت له الدنيـا بأخـــلاق كرام كالـــدرر
بكـرامة بشـــهامة بأمـــانة منـذ الصغر
بسياســـة بكياســـة بعـدالة جذبت عمـر
ما سف يومـًا ما هفـــا ما خـان عهـدا ما غدر
لم يجتمع والجـــاهليـــة فى مجـون أو سمر
بحصيف رأى كـان يحـــكم فى الأُمـور بلا قصـر
لم تلهـه الأُولى عن الأُخـرى كما هـو فى الأَثر

(مدرسة الغار)

بالغـــار علمـــه الذى أغنـــاه وانتشـر الخبر
فعـلى يدى جبـريل وحـى الله قـد حفظ السـور
أَضفى بهـا نـــورا على أتبـــاعه فى كـل بر
المســلمين العـــامليـــن المؤمنين ومن صبـر
الراكعـــين الســاجديــن الحـــامدين ومن ذكر
المخرجـــين زكاتهـم للبائسين أُولى الضـــرر
من طـاف منهم ســاعيا من حج بيتـــا واعتمـر
من زار قبـــر محمد ودعـــا وناجى فى خفـر
وبكى عـــلى ما كان منـه من الصغـائر والكبـر
من حـاربوا من جـاهدوا لله فى بـرد وحـــر
فاولـئكم مـــن دون خلـــق الله هم خيـر البشـر
ويقـــال للعـــاصين يوم الحشـر : كـــلا لا وزر

(الإِسراءُ والمعراج)

سبحـــان من أَسـرى به ليـــلا كلمح بالبصـر

للمسجـــد الأَقصى مضى ورأى العجـائب والعبـر
ورأَى هنـاك جنـة المـأْوى وثم رأى سقـر
ورأى كذلك حـال من لله تـاب من البطـر

* * *

للسـدرة العليـا سمـا والله يرفع من شـكر
من حضرة المـولى دنـا ورأى وما زاغ البصـر
سـأَلوا أبا بكر مـدى تصـديقه هـذا الخبـر
ظنـوه قـد يأتى بآر اء وَأَقـوال أُخـر
فأَجـاب إنى واثــق من قـول أَستاذ البشـر
ياقومنـا هـو صـادق من لم يصـدقه كفـر

(حادث الهجرة)

بالليـل طـال وقوفهـم والعـين ترمى بالشـرر
كل بدا متـأهبـا والسيف فى يده شهـر
كى يقتـلوه ويطفئوا نورا تلألأ كالقمـر
فتـلا عليهم من كـلام الله مـا خطف البصـر
وحثـا التـراب على الرءوس فما استقـام لهم نظـر
لم يغـن عنهـم جمعهـم كـلا ولا نفـع الحـذر
والغـار يشـهد أنـه رمـز لآمـال البشـر
ومضى لِيثـرب حيث شـاع الدين ثمـة وانتشـر

(وقعة بدر الكبرى)

فى بدر الكبـرى جـرى ما حدثت عنـه السـور
جـاءت ملائكة السمـا طوعًا لأَمـر قـد صـدر
والمشـركون تسـاقطوا قتـلى كأَوراق الشجـر
إن القليب قـد امتـلا برميمهم وكـذا الحفـر

وأَتى لمكـــة فاتحـــا وبحمد ناصره جهـــر
واللات والعـــزى وغيرهمـــــا تـــداعى وانكســـر
ظنـــوه منتقمـــا لمـــا فعلـــوا به منـــذ اشتهر
لكن عفـــا عنهم وذا شأن الكريم إذا اقتـــدر

(فضل الرسول)

هو رحمـــة للعـــالميـــــن وآخـــذ بيـــد البشـــر
هـــو نعمـــة وهـــداية هـــو آيـــة لمن اعتبـــر
عطـــرت به الدنيـــا فزهر الحسن فى الكون ازدهـــر
كالغيث جـــاد على البـــريَّـــة بالخصـــوبة والثمـــر
وأَتى بخيـــر رســـــالة فيهـــا المنى فيهـــا الوطر
فيهـــا الرجـــا فيهـــا العلا فيهـــا النعيم المدخـــر
فيهـــا النجـــاة من الردى فيها أَمان من خطـــر

(أسف ورجاء)

أَســفى على قـــوم لهـــم فيما اشتهـــوْا كرٌّ وفـــر
تركـــوا الحيـــاء فما لهم من بعـــده إلَّا ســـقر
بل ضيعـــوا ركن الصـــلاة فـــلا ظهـــور ولا عُصـــر

***

إن الطـــريق طـــويلة والزاد فيهـــــا مفتقـــر
فتـــزودوا قبـــل الرحيـــل كما يُجهـــز للسفـــر
وتـــآلفـــــوا وتحببـــــوا بالحب تكتمـــل الصـــور
وتصـــدقوا إن التصـــدق قـــد يُطـــوِّل فى العمـــر
يجتث أَســـباب التبا غض بين أَشـــتات الاســـر
ويزيل أَســـباب الجفـــاءِ فـــلا جفـــاءَ ولا أَثر
وتعـــــاونوا إن التعـــا ون فيـــه خيـــر للبشـــر

عشرون ألفاً
من المسلمين
يحتفلون بذكرى الزعيم
لومومبا

احتفل المجلس الأعلى للشئون الاسلامية مساء يوم الاثنين الموافق ٤ فبراير سنة ١٩٦٣ بذكرى زعيم الكونغو باتريس لومومبا .. فأقام سرادقا ضخما اتسع لعشرين ألفا من ممثلى الهيئات الاسلامية والاجنبية وسفراء الدول الافريقية ورجال السلك الدبلوماسي وكبار المشتغلين بالقضايا الوطنية فى البلاد العربية والافريقية .

وحضر المؤتمر كل من زوجة الزعيم الراحل وأولاده الصغار حيث استقبلهم الحاضرون أروع استقبال .

لن نترك الاستعمار يمتص دماءنا

لن نشعر بخوف .. مادام الرئيس جمال عبد الناصر يقف بجانبنا .

ذكرى لومومبا .. هي ذكرى لجميع الأبطال الذين عملوا على تحرير بلادهم

جانب من الحفل يضم رجال السلك الدبلوماسي

الأمم المتحدة مسئولة عن دم لومومبا

لن تخمد شعلة
أضاءها جمال عبد الناصر

إن باتريس لومومبا لم يمت
إنه حي على مقعد الشهداء

جانب آخر يضم مبعوثات العالم الاسلامى

القيت فى المؤتمر كلمات لمندوبين عن كل من الجمهورية العربية ، الأزهر ، الكونغو ، زنجبار والهيئات النسائية ثم اختتم بكلمة للاستاذ عبد العزيز اسحق مستشار الشئون الأفريقية بوزارة الخارجية ..

قال حسن رمضان مندوب الكونغـــو

« لقد عقدنا العزم عـــلى أن نسير فى نفس الطريق الذى رسمه لنا زعيمنا لومومبا ولـن نترك الاستعمار يمتص دماءنا .. ولن نشعر بخوف من الاستعمار مادام الرئيس جمال عبد الناصر يقف بجانبنا .

وقالت عائشة الشيخ مندوبة زنجبـــار

« ان الاحتفال بذكرى هذا البطل احتفـــال بذكرى جميع الأبطال الذين عملوا على تحرير بلادهم .

وتحدث فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى عميد كلية الشريعة ومندوب الأزهر « عن فلسفة الاخاء وتكريم الجهاد فى معنى الاحتفال بذكرى الشهيد الراحل .

اما الدكتورة سعاد ماهر مندوبة الهيئات النسائية ، فتحدثت عن الذكرى ومدى صلتها بالحياة ، كما سردت الجانب الوطنى فى حياة البطل الشهير وكيف انتهت حياته بمأساة على يد الأمم المتحدة ..

وقال الأســـتاذ عبد العزيز اسحاق ، انه سمع لومومبا وهو يقول : لما أن نهرى النيل والكونغو ينبعان من منبع واحد فى جبال القمر ، فان سياســـتنا كذلك موحـــدة مع سياسة الجمهورية العربية المتحدة ملخصـــة فى الحرية والحياد الايجابى والوحـــدة الأفريقية ..

وكان هذا المؤتمر قد بدأ بكلمة ضافيـــة للاستاذ محمد توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة

السلام عليكم ورحمة الله

جانب آخر من الحفل يردد هتافات الحرية

نجتمع الليلة ونحن فى رحاب شهر رمضان الكريم ، ورمضان ـ أيها الأخوة ـ شهر تسمو فيه النفوس ، وتشرق فيه الروح « فلا دنيا تشغل البال ، ولا هوى تهفو اليه الجوارح ـ ولكنه نور يضىء الطريق الى رحاب الرحمن الرحيم .. نور يكشف للمحبين والعاشقين معراجهم الى وجه الله الكريم ـ نور يسطر على صفحات السماء والأرض . ان لا اله الا الله والله أكبر .

أيها الأخوة .

شهر رمضان . شهر الروح الأمين . شهر القرآن الكريم ـ شهر تتنزل فيه الروح والملائكة فرض فيه الصيام ـ لكى يتطهر الجسم وتسمو النفس وتشرق الروح حتى يكون الانسان أهلا لتلقى الأمر العظيم .

شهر ، رمضان . شهر الصبر ـ شهر الجهاد ـ الجهاد ، بأسمى معانيه ، جهاد النفس ـ جهاد الهوى ، جهاد الدنيا وزينتها ، جهاد ، يكتب لصاحبه المجد والخلود .

ايها الأخوة .

ان الرجال الذين حملوا اعلام الجهاد (وهم قليل هم الذين سطروا تاريخ البشرية ان الرجال الذين رفعوا أعلام الصبر كانوا الأضواء التى لمعت فى تاريخ الأمم ، وأيقظت الشعوب ـ ودفعت بها الى ميادين العزة والكرامة .

ان الرجال الذين اكتسوا برداء الجهاد وكان غذاؤهم مرارة الصبر ـ وكان عزاؤهم دمعات الرجاء .

هؤلاء الرجال ايها الأخوة هم النور الذى اضاء الطريق وهم النار التى أحرقت اعداء الحرية والحياة .

ايها الأخوة .

للجهاد والصبر رواد قدموا الكثير من أجل شعوبهم ـ وللجهاد والصبر أبطال قدموا دماءهم زكاة لحرية أوطانهم واننا نجتمع الليلة لنحتفل بذكرى رائد من رواد الصبر وبطل من أبطال الجهاد ـ كان شجاعا قدم حبات العرق وحبات الدموع ليسعد أمته فلما

السفراء ورجال السلك الدبلوماسى يستقبلون حرم الزعيم الافريقى الراحل باتريس لومومبا وأولاده ..

طلبت المزيد كان سخيا كريما فقدم قطرات الدم الغالى وجاد بالنفس الذكية من أجل الارض الطيبة .

أيها الأخوة

نجتمع الليلة ، لنحتفل بالنور الذى أضاء على أرض أفريقيا ، نور « لن تخمد اضواؤه أبدا ولو كره المستعمرون ، نور سيظل يضىء طريق الحرية .

نور تتجه اليه مشاعل الأحرار فى كل مكان ، نور سيظل يسطع ويسطع ـ حتى يملأ سماء أفريقيا كلها ، نور سيظل يشرق ويشرق حتى تتحرر القارة السمراء ، نور يسميه التاريخ : شهيد الحرية باتريس لومومبا .

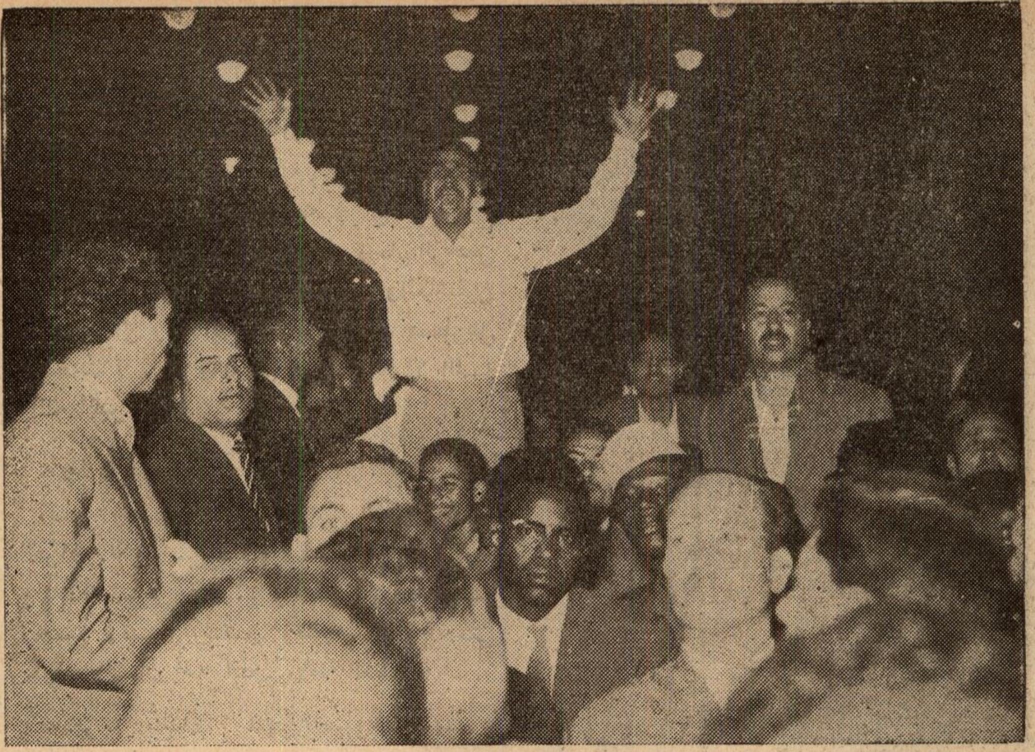

جانب من المؤتمر يحيى ذكرى البطل الشهيد

أيها الأخوة .

ان باتريس لومومبا لم يمت ـ انه حى فى السماء على مقعد الشهداء ـ حى فى الارض قد أخذ مكانه من الأضواء .

ان قطرات الدم التى أراقها لومومبا من أجل أمته ـ ((وكان فى استطاعته ان يلين ، ولكنه كان أكبر من أن يلين)) ـ قطرات الدم هذه ستظل تسرى فى الأرض من بلد الى بلد . ومن شعب الى شعب ، وان تهدأ ولن تنام ، حتى تملأ الأرض صيحة المارد الأسمر ، الله أكبر وعاشت أفريقيا الحرة

أيها الأخوة

ان عيد افريقيا قريب ، عيد حريتها ، عيد كرامتها . لقد صحا الرجل الأسمر ولن يملك الاستعمار البغيض الا ان يرحل فاليوم نسمع طبول الحرية تدق فى كل مكان . واليوم نرى أعلام الكرامة تعلو فوق كل ميدان ، واليوم نشهد موكب الأبطال .

نشهد موكب الأبطال يزحف زحفه المقدس نحو العزة والمجد .

أيها الأخوة فليسجل التاريخ ـ ولتكتب البشرية ـ أن شعلة مقدسة . قد أضاءت فى ليلة من ليالى العمر ـ على أرض مصر ـ امتد نورها الى كل حائر ومظلوم ـ وامتدت نارها الى كل معتد أثيم

أيها الاخوة ان شعلة الحرية ، شعلة غالية عزيزة ـ سندها أيدى الأقوياء ، ووقودها دماء الشهداء .

وان شعلة افريقيا أوقدتها يد مؤمنة قوية وغذتها دماء طاهرة زكية .

ان شعلة افريقيا تزهو على كل شعلة ـ اضاءها بطل ، وهوى من اجلها شهيد .

أيها الأخوة .

لن تخمد أبدا ولن تطفأ أبدا . شعلة أضاءها جمال عبد الناصر ـ وضحى من أجلها باتريس لومومبا .

أيها الاخوة ..

عاشت أفريقيا ـ وعاش موكب الأبطال ـ وعاشت شعلة الحرية والسلام

والسلام عليكم ورحمة الله

شهيد الحرية

رثاء

الشاعر عبد الله شمس الدين

ألقيت هذه القصيدة فى المؤتمر الشعبى الكبير الذى أقامه « المجلس الأعلى للشئون الاسلامية » احتفالا بذكرى شهيد الحرية الزعيم الافريقى « باتريس لومومبا » خلال شهر فبراير سنة ١٩٦٣ م .

هديرُ الحق زلزالٌ ورعْدُ ... وزحفٌ لا يُسَدُّ ولا يُحَدُّ
يدوىّ صارخا ... فيقوم ميتٌ ... على أصدائه ... ويخرُّ لحْدُ
نداءٌ من قضاء الله يسرى ... وليس لحكمه أبدا مردُّ
نداءٌ رجَّ إفريقيا ... فَهبَّتْ ... وكلُّ عيونها شررٌ وحِقْدُ
تمزِّق باللَّظى كَفَنَ الليالى ... وقد ركلتْ سنينًا لا تُعَدُّ
إلى فجر الحياة إلى مناها ... لحريَّاتها تعدو وتعدو
إلى أيَّامِها انطلقتْ لهيبًا ... ومنْها هوْلُ عزمتها أشَدُّ

* * *

وللأحرار ميقاتٌ عليه   يُجَمِّعُهم بظل الحق عَهْد

وهم رغم التنائى فى إخاءٍ   وكلٌّ أخ لإخْوتِهِ يُشَد

على صدق المبادى قد تآخوْا   وهم للحق أَلويةٌ وجُنْدْ

رسالتُهم مساواةٌ وعدْلٌ   فليس هناك مملوكٌ وعَبْدُ

وكلٌّ فى الحياةِ له حقوقٌ   يروح مُكَرَّمًا فيها ويَغْدُو

ولا تفريق بيْنَ الناس لوْنًا   إذا ما ابيضَّ أَوْ ما اسْوَدَّ جِلْدُ

يجمِّعهم إخاءٌ من قديم   لآدم كلُّهم ... والكلُّ نِد

أخى فى كلِّ «أفريقْيا» سلاما   يغنِّيك المحبَّةَ وهو يشدو

أُطالع فيك «لومومبا» نضالًا   وبأْسًا فى الزعازع لا يُهَدُّ

ولومومبا حكايةُ كل بعث   بكلِّ مكافح سيظلُّ يبدو

سيحيا رغم أنفك يا «تشومبى»   ضياءً كل يوم يستجدُّ

ويا قابيلَ أفريقيا : ترقَّبْ   قِصاصًا لا يصونك منه كيْدُ

لعَقْتَ حذاء الاستعمار ذُلًّا   وخُنْتَ مُواطنيك وأَنْت وغْدُ

ومن يَخُن البلاد وإن تمادى   فليس له من التنكيل بُدُّ

وكلُّ مناضل حُرٍّ سيبقى   يُحَيِّى ذكْرَهُ شرفٌ ومَجْدُ

سيحْيا غنوةً بفم الليالى   يردِّدها مع الأَمجاد خُلْدُ

وباسم «جمال» مُلْهِم كُلِّ حُرٍّ   مع الحرِّية الشَّمَّاءِ أَشْدو

لكلِّ طريق مَجْد قام يدعو   ويدفع كل سبَّاق ويحدو

طوى صفحات الاستعمار طيًّا   وزلزل كلَّ طاغ يستبدُّ

أسرار حركة النضال العربي

وثورة العراق كما رواها

رجال العرب الأحرار

في مساء يوم ١٤ فبراير الموافق ١٩ من رمضان اجتمع عشرون ألفا يمثلون مختلف الهيئات والجامعات ومندوبو ٧٠ شعبا اسلاميا ، لتأييد ثورة العراق وليعلنوا ايمانهم بالقومية العربية والوحدة وذلك فى المؤتمر الضخم الذى عقده المجلس الاعلى للشئون الاسلامية والذى تحدث فيه حشد كبير من رجالات العرب الاحرار .

تحقيق صحفي قام به عبد العظيم ملوك

• مهرجانكم الكبير يدل على أن القومية العربية أصبحت حقيقة حية خالدة خلود الدهر

• الزعيم عبد الناصر الرائد الأول للقومية العربية

• قاسم سرق الثورة من أصحابها الشرعيين

• قوانين يوليو الاشتراكية فتحت آفاقاً جديدة أمام القوى التقدمية فى الوطن العربى

فائق السامرائى

توالى الخطبـاء للتعبير عما يعتمـل فى صدورهم من ثورة تنتظر ساعة الانطلاق .

وتحدث فيه عن الجمهورية العربية اليمنية السيد محمد أحمد هاجى بكلمة قال فيها :

ان ثورة الشعب العربى فى العراق امتداد لحركة القومية العربية وامتداد لحركة الزحف المقـدس من أجل التحرر والوحدة العربيـة الشاملة . وان شعبنا العربى فى اليمن الذى يواجه مؤامرات ضاربة من الرجعية والاستعمار ليفرح أشد الفرح بهذه الثورة المباركة ويعتز بها اعتزازا كبيرا لأنها ثورته ولأنها ثورة الأمة العربية جمعاء لذلك فاننا اذ نحتفل الليلـة بقيام الثورة العراقية انما نحتفل بنصر جديد، ونحتفل بزحف مقدس جديد .

وكما هبت الجمهـورية العربيـة المتحـدة الشقيقة لمناصرة الثورة العربية فى اليمن، وكما هب السيد الرئيس جمال عبد الناصر لمناصرة دولتنا فى اليمن منذ أول وهلة لقيامهـا يهب اليوم لمناصرة الشعب العراقى فى العراق ذلك لأن الأمة العربية مثل الجسد الواحـد اذا اشتكى منه عضو تداعى له جميع الجسـد بالسهر والحمى .

الجنوب العربى :

وتحدث عن الجنوب العربى السلطان على عبد الكريم بكلمة قال فيها :

« ان ثورة شعب العراق على حكم الطاغية ليس غريبا ولكن الغريب أن يرزح حـكمه أكثر من أربع سنوات ، وفى صباح الجمعة الرابع عشر من رمضان كان شعب العراق فى موعد مع القدر ، وكان طاغية العـراق على موعد مع قدره المحتوم ، وكان من الغريب أن يسرق ثورة ١٤ تموز وينحرف بها عن أهدافها ويسير بها فى طريق الظلام ويحولهـا الى مكسب شخصى لنفسه وذلك هو الغريب أيها الأخوة .

أما اليوم وقد ثار شعب العـراق وصحح الأحرار الأوضاع وعادت اليه ثورة ١٤ تموز فاننا نتطلع الى تضامن عربى أوثق ، ونتطلع الى الثورة الرابعة بعد ثورة مصر وثورة الجزائر وثورة اليمن .. الى ثورة العراق .

نتطلع الى هذه الأربع قدرات لتكون لبنات الوحدة العربية ولنصرة القومية العربية بما يحقق وحدة الأمة العربية ويرفع من شأنها ويحرر كل قطر من أقطارها ، فلقـد كفانا انتكاسا وخيانة ، وان الجهود التى نبذلها فى

• من حق الحرية علينا أن نتجه بالتهنئة
إلى العراق العظيم شعباً وجيشاً ، ومن
حق الحرية علينا أن نتجه بالتهنئة إلى رائد
الحرية وأمل الأحرار فى كل مكان إلى
جمال عبد الناصر ... إلى البطل الذى
عشق الحرية فوهبها العمر والشباب .
أطلق نداءها وعاش لها فعاشت به
وحمل رايتها وعز بها فعزت به

محمد توفيق عويضة

حرب بعضنا ببعض أولى أن نوجهها ضد المستعمر .

لا بد أن نحقق ارادتنا فى الحرية والوحدة والعدالة والديمقراطية والاشتراكية .

الأردن :

ثم تحدث اللواء على أبو نوار عن أحرار الأردن بكلمة قال فيها :

فى هذا اليوم المجيد من الشهر المبارك ترتفع الوية الكرامة وأعلام العزة خفاقة فى سماء العراق بعد ردح طويل من الزمن لم تكد ثورة الرابع عشر من تموز تحمل الى أمتنا فرصة غامرة بالنصر والزهو وارتفاع شأنها حتى جاءها ذلك الطاغية الحقود الذى دجل وانحرف بأمجد ثورة فى أعظم امة ..

تلك الثورة التى علقنا عليها الآمال العظام قامت لتلتقى بثورة الأحرار فى مصر العظيمة وثورة الجزائر الكبيرة .. حيث التقت ألوية النصر لكى تزحف هذه الأمة الى أرض الوطن السليب فى فلسطين الحبيبة بأبطالها ، بمناضليها، بمكافحيها، بأصحاب القلم والفكر فيها صفا واحدا ، شعبا واحدا ، وجيشا جبارا يحطم المغتصبين لارض فلسطين ، لم تكد هذه الأمة تفرح وتسعد حتى انقض عليها العميل الخائن الذى خلف سيده نورى السعيد بوجه مضلل لكى يذهب بشعبها وأمانى أمتنا فى العراق لتخدم مخططات الاستعمار والشيوعية وتقضى على أكبر أمل من آمال أمتنا العربية فى قطر من اعظم أقطارها فى شعب العراق البطل المناضل .

ومن هنا ننادى من هذا المؤتمر كل الثورات الأربع قادتها ومجاهديها ، الذين آمنوا بهذه الأمة بأن يلتفوا على صعيد واحد وعلى منهج واحد لتحرير هذه الأمة ويعملوا بمخطط واحد وبقلب واحد وبأقدام ثابتة لوحدة واحدة ولتنظيم هذه الأمة التى تشوهت منذ أن عرف الاستعمار طريقه اليها ..

دعونا ننادى قادتنا فى مصر ، العراق ، الجزائر ، اليمن لكى يضم الجميع مؤتمر واحد كى يحقق الثورة العربية الكبرى ويعمل لخلاصها وتحقيق اشتراكيتها .

- وحدة النضال العربي هي وحدها سبيلنا لتحقيق الانتصارات في كل معاركنا التي نخوضها.
- إن شرف الأمة العربية وكرامتها مرتبط بكرامة فلسطين.

جمال عبد الناصر

العراق :

وعن العراق تحدث السيد فائق السمرائي بكلمة قال فيها :

هذا المهرجان الذى ان دل على شيء فانه ليدل أبلغ الدلالة على أن القومية العربية قد أصبحت حقيقة حية خالدة خلود الدهر آبدة أبدية الأزل . يؤمن بها العرب من أعمق الأعماق ، من أقصى سواحل المحيط الهادر الى ادنى شطئان الخليج الثائر ..

عندما انطلقت القومية العربية صعداً الى أجواز الفضاء بزعامة رائدها الأول جمال عبد الناصر حشد الاستعمار كل قواه وامكانياته ليتخذ من العراق موطىء قدم ينطلق منه لطعنة القومية العربية والقعود بها عن زحفها المقدس ، فأقام حلف بغداد ودبر المؤامرات تلو المؤامرات وألقى بثقله على العراق ولو كانت المعركة هى معركة نورى السعيد وعبد الاله لما كان هنا شيء من تقويض هذا النظام ولكنها كانت معركة القومية العربية مع الاستعمار تمثلت فى قلعته الحصينة لذلك استطال عهد النصر الذى كان ينتظره الجميع فى الرابع عشر من تموز ..

ولكن الاستعمار سرعان ما أعاد تنظيم صفوفه عندما سرق قاسم الثورة من أصحابها الشرعيين وحدث الانحراف القاسمى .

غير أن الجيش الباسل الذى قاد ثورة الرابع عشر من تموز كان يشعر فى قرارة نفسه أن على عاتقه يقع عبء تصحيح الأوضاع

جانب من مبعوثات العالم الاسلامى يؤيدن انتصار ثورة العراق

● قامت ثورة العراق لتلتقى بثورة مصر .. والجزائر .. واليمن لكى تزحف إلى أرض الوطن السليب فى فلسطين .

اللواء علی أبو نوار

وكان الشعب يقف وراء جيشه فكانت ثورة الشواف ثم محاولة اغتيال قاسم ثم محاولات غير متكررة حتى جاءت ثورة الرابع عشر من رمضان واذا العراق يعود كما كان مشرقا وضاء عاد مؤمنا بعروبته وباشتراكيته البناءة ، وعاد ليواكب الركب العربى المتحرر لتحقيق أهداف النضال العربى التى آمنت بها الأمة العربية

جانب آخر يضم مبعوثى العالم الاسلامى

والتى عبر عنها الميثاق الذى رسمه جمال عبد الناصر تعبيرا صادقا .

ان الثورة الاشتراكية التى فجرتها ثورة يوليو فى الجمهورية العربية المتحدة قد فتحت أمام القوى التقدمية فى الوطن العربى آفاقا جديدة ومفاهيم جديدة . ولن تستطيع قوة فى الأرض مهما بلغت من الجبروت أن تقف أمام زحفها المقدس ونهاية قاسم خير عبرة وأصدق درس لمن تحدثه نفسه أن يقف أمام هذه الأمة وهى فى زحفها المقدس نحو أهدافها .

فلسطين :

وتحدث السيد كمال ناصر (النائب الأردنى السابق) عن فلسطين بكلمة قال فيها :

ان الثورة العراقية فى حد ذاتها ثار كبير لانتكاسة الانفصالية فى الجمهورية العربية المتحدة .

ان وحدة النضال العربى هى وحدها سبيلنا لتحقيق الانتصارات فى كل معاركنا التى نخوضها .

- على أبناء الأمة العربية أن يعوا دسائس الاستعمار والخونة.
- على قادة الأمة العربية أن يندفعوا فى معركة البناء .
- يجب أن نعيد تاريخنا فى الإسهام مع العالم لبناء حضارة الإنسانية المبنية على الرخاء الإنسانى

يوسف الرويسى

والیوم نرفع أصواتا جريئة تطالب القادة العرب ان يحتضنوا ثورة العراق التى جاءت لتثأر للنكسة ٠

ان ثورة مصر بقائدها جمال مدعوة باسم آلام هذا الشعب ومصلحته أن يتجاوب مع ثورة العراق أكثر مما فعلت وانى على علم بأن الجمهورية العربية المتحدة كانت على استعداد للمساعدة من أول وهلة .

ان شرف الأمة العربية وكرامتها مرتبطة ارتباطا جذريا بكرامة فلسطين ٠

ان خطر اسرائيل يزداد كل يوم ومن ورائها الاستعمار ٠

ان الحل الوحيد هو تطويق اسرائيل ثم من واجب الشعب الفلسطينى أن يتسلح ، ومن واجب الشعب العربى أن ينظم قواته الصاعدة٠

تونس :

وعن تونس تحدث السيد يوسف الرويسى بكلما جاء فيها :

على أبناء الأمة العربية أن يعوا دسائس الاستعمار والخونة ويندفعوا فى معركة البناء لأن أمامهم جهودا كبيرة هى تحقيق سعادة الأمة العربية فى الوحدة والاشتراكية لتعيد تاريخنا فى الاسهام مع العالم لبناء حضارة الانسانية المبنية على الاخاء الانسانى ٠

العراق :

وتحدث السيد عبد المنعم السيد القائم بأعمال العراق بكلمة قال فيها :

جانب آخر من الحفل يؤيد نجاح نضال الابطال

- إن الظلم لا يدوم وإنه إن دام دمر .
- ثورتنا عربية ... اشتراكية ... ديمقراطية ... تحررية ... وحدوية .
- يد الله مع الجماعة .

عبد المنعم السيد

ان فى ثورة العراق معان ثلاثة يأخذ بعضها برقاب بعض أولها أن الظلم لا يدوم وانه ان دام دمر ، وثانيها : أن الحريات الديمقراطية ضرورة تقتضيها سنة الحياة وانسانية الانسانية ، وثالثها : ان الحكم الفردى يقوم على أسس واهية متداعية وأن حكم الجماعة هو أصلح النظم السياسية وأبقاها ٠

وأخيرا فان فى ثورة العراق معنى : أن يد الله مع الجماعة ٠٠ فليعتبر بتجربة العراق أولو الأبصار ٠

ان ثورتنا عربية ٠٠ نريد منها أن نحقق كوننا خير أمة أخرجت للناس ٠

ان ثورتنا اشتراكية تحقيقا لمبدأ (وان ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى) ٠

ان ثورتنا ديمقراطية ٠٠ تؤمن بأن (أمرهم شورى بينهم) ٠

ان ثورتنا تحررية ٠٠ تكفر باستعباد الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ٠

ان ثورتنا وحدوية ٠٠ تستمد ذلك من عمل محمد العظيم الذى جمع أمتنا على الحق فأقر بواحدانية الله وبوحدة العرب ٠

وكان قد تحدث عن الجمهورية العربية المتحدة السيد الأستاذ محمد توفيق عويضه سكرتير عام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بكلمة قال فيها :

أيها الأخوة :

ان العالم كله فى حاجة الى نور قرآنكم ــ وهدى بيانكم ٠

ان العالم ــ الذى يتخبط اليوم فى غياهب المادة والظلام ــ فى حاجة الى مشاعلكم والمشاعل أيها الأخوة لا يحملها الا أيدى الأحرار

ألا فلتنطلق صيحة الحرية من كل قلب

ولتعل راية الحق فوق كل أرض

فقد آن الأوان وتأهب ركب النور والعرفان على الأحرار ان يتجمعوا فى كل مكان ٠

وعلى الأبطال ان يحطموا أصنام الظلم والطغيان فسطور التاريخ قد وقفت على عتبات

• الرئيس جمال عبد الناصر آزر ثورة اليمن من أول وهلة .
• ثورة العراق امتداد لحركة الزحف المقدس من أجل الحرية والوحدة العربية الشاملة

أحمد محمد هاجد

أوطانكم لتسجل أعظم قصة من قصص الزمان — قصة أمة مجيدة — روتها دماء شهيدة .

قصة أمة — قامت تمزق ستور الظلام — قامت تنشر راية السلام .

أمة اهتدت بهدى القرآن واستوى على عرشها الرحمن .

أيها الأخوة :

من حق الحرية علينا ان نتجه بالتهنئة الى العراق العظيم شعبا وجيشا . ومن حق الحرية علينا ان نتجه بالتهنئة الى رائد الحرية وأمل الأحرار فى كل مكان — الى جمال عبد الناصر — الى البطل الذى عشق الحرية فوهبها العمر والشباب .

أطلق نداءها — وعاش لها فعاشت به

وحمل رايتها — وعز بها فعزت به

أيها الأخوة :

ألا فلنتجه الى نور السموات والأرض الى رب العرش العظيم نسأله بحق هذه الليلة الكريمة من ليالى رمضان — أن يعم نور الحرية أرض افريقيا وآسيا وربوع العرب .

وكما احتفلنا الليلة بعيد العراق الحبيب نسأله تعالى أن نحتفل غدا — بعيد سوريا — وعيد الاردن وعيد الحجاز يوم تبيد أصنام الطغاة ويزحف ركب الحياة وتسمع الدنيا نداءنا .

الله أكبر الله أكبر ولا اله الا الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قرارات المؤتمر

ثم تلا السيد محمد توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية قرارات المؤتمر الآتية :

ان المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بكل هيئاته وأعضائه ، ومبعوثى العالم الاسلامى والأحرار العرب ومختلف الهيئات والطوائف المهنية المجتمعين فى هذا المؤتمر يعلنون ..

أولا : أن الميثاق الذى جاء به سيادة الرئيس جمال عبد الناصر انما هو صفحة فخار قائمة على العدل والحرية والمساواة

• شارك قاسم العراق الله فى صفة من صفاته فكفر وطغى .

• لا بد أن نحقق إرادتنا فى الحرية والعدالة والوحدة والديمقراطية

الاستاذ علي عبد الكريم

والديموقراطية السليمة التى تعود على الانسانية جمعاء بالخير والرخاء والسلام ٠

ثانيا : التأييد الكامل للثورة العربية العراقية الحرة المنبعثة من ضمير الشعب العراقى الأبى التى أطاحت بقوى الشر والطغيان ٠

جانب من شباب الجمهورية العربية يردد هتافات الفرحة بانتصار ثورة الاحرار

ثالثا : صيانة لعزة المسلمين وقوتهم وحفظا على حرية الأماكن المقدسة يناشد المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بكل هيئاته وأعضائه ومبعوثى العالم الاسلامى والأحرار العرب ومختلف الهيئات والطوائف المهنية المجتمعة فى هذا المؤتمر المسلمين فى بقاع العالم العمل المتواصل لوضع الأماكن المقدسة تحت ادارة اسلامية حتى يتمكن كل مسلم من أداء واجبه الدينى ٠

رابعا : استنكار مؤامرات الرجعية وأذناب الاستعمار ضد الثورة العربية فى اليمن التى أعادت للشعب كرامته وحريته ودكت حصون الامامة الفاسدة ــ واننا ننذر حسين وسعود وفيصل والرجعية فى الاقليم السورى بأن انتفاضة الشعب العربى ستلقنهم درسا قاسيا ٠ « ان الله ليمهل الظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » ٠

خامسا : الصهيونية نزعة باطلة ٠٠ نزعة قائمة على السلب والنهب والاحتكار ٠٠ نزعة قائمة على الاغتصاب ٠٠ والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية بكل هيئاته وأعضائه ومبعوثى العالم الاسلامى والأحرار العرب

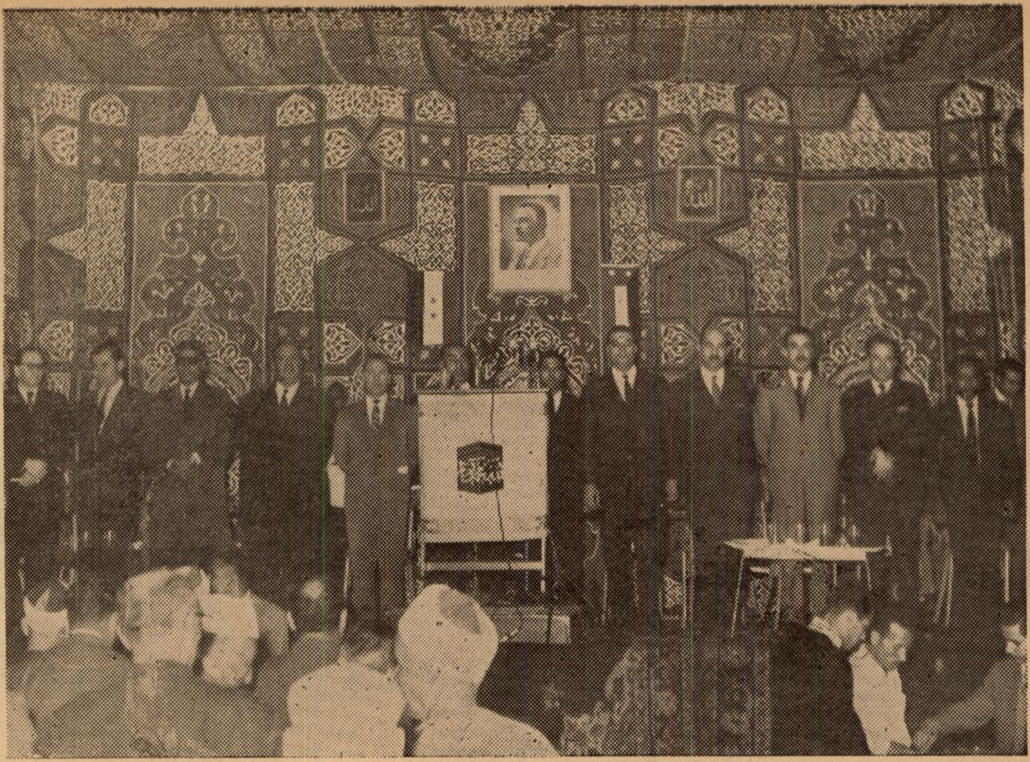

السادة زعماء العرب الاحرار الذين حضروا المؤتمر الشعبى ، وهم من اليمين الى اليسار السيد يوسف الرويسى ، والسيد جادو عز الدين ، والسلطان على عبد الكريم ، والسيد فائق السمرائى ، والسيد الدكتور عبد المنعم السيد القائم باعمال سفارة العراق ، والسيدعبد الله شمس الدين ، والسيد محمد توفيق عويضة ، والسيد حسن صبرى الخولى ، والسيد اللواء على ابو نوار والسيد كمال ناصر النائب الاردنى السابق ، والسيد احمد محمد هاجى الملحق الثقافى بسفارة الجمهورية العربية اليمنية .

ومختلف الهيئات والطوائف المهنية المجتمعين فى هذا المؤتمر يناشدون الانسانية فى كل مكان أن توجه كل طاقاتها لتخليص العالم من شرها وبلائها واعادة فلسطين السليبة الى أبنائها الشرعيين .

سادسا : سلام لا استسلام ..

كما يعلنون فى قوة وعزم أكيدين .. أن هذا الشعار الذى حمل لواءه سيادة الرئيس جمال عبد الناصر هو دستورنا الذى لا نحيد عنه والذى سنعمل به لتحرير بلادنا والسير بها نحو التقدم والرقى .

واختتم المؤتمر شباب العالم الاسلامى بنشيد الزحف المقدس .

العيد في الإسلام

تحقيق قام به

عبد الفتاح راضي — وبدرت نوال

- الأعياد القومية تمجد معانى العزة والكرامة الوطنية والتغلب على الاستعمار والقضاء على الظلم
- العيد وقفة روحية فى طريق الحياة يتخلص فيها الإنسان من مقتضيات الصراع المادى
- العيد الديني يرضى نزعة الإيمان والعيد الوطنى يرمز إلى حب الوطن واحترام مقدساته

كلمة عيد لم ترد فى القرآن الكريم الا مرة واحدة فى قصة عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ مع الحواريين لما طلبوا منه ان ينزل عليهم مائدة من السماء وكانت نهاية الحوار أن خاطب عيسى ربه بقوله : « **اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا ..** »

فلنا ـ نحن المسلمين ـ عيدان اسلاميان عنى رسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ببيانهما وتوضيح معالمهما ، عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : « **قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فى الجاهلية فقال : « ان الله تبارك وتعالى قد أبدلكم بهما خيرا منهما : يوم الفطر . ويوم النحر** » . وواضح من هذا الحديث أن الرسول لم يحدد لأمته أعيادها الا بعد أن انتقل للمدينة وبعد أن كان هناك صوم وحج .

صوم تكون نهايته يوم الفطر عيدا . وحج يكون يوم النحر فيه عيدا آخر بعد الوقوف بعرفة ، وكان لأهل المدينة قبل أن يحل الاسلام بديارهم عيدان يلعبون فيهما ويفرحون ، وكان من الطبيعى أن يظل الذين دخلوا فى الاسلام على صلة بأعيادهم القديمة ، يرفهون عن أنفسهم وكانت أعيادهم تتصل بمظاهر الطبيعة وهما كما قيل : يوما النيروز والمهرجان .

ولذلك حرص الرسول على أن يلغى فى مجتمعه الجديد الاحتفال بالأعياد القديمة ولم يترك مجتمعه بدون أعياد بل سد الفراغ بعيدين جديدين يتصلان أوثق اتصال بحياة المسلم الروحية وفرائضه التى يتقرب بها الى الله .

فأولهما عيد الفطر وهو يعقب عبادة من خير العبادات الاسلامية فى دلالتها بعد صوم رمضان . شهر العبادة الذى يجعل التضامن الاجتماعى والتكافل الاشتراكى بين أفراد الأمة غنيهم وفقيرهم حيث يشارك كل منهم اخاه بجوعه وعطشه . فى احساس خالص لوجه الله الكريم . احساس عملى يجعل الغنى يذكر الفقير حين يشعر بالجوع وهو صائم فتدفعه عاطفة الأخوة فى الدين ، والأخوة فى العبادة الى بره والعطف عليه فكان من الحكمة الالهية بعد الجهاد والحرمان طوال هذا الشهر أن يكون أول يوم يتحلل فيه الانسان من هذا النظام . يوم عيد ، يفرح فيه مع اخوانه ، يتبادلون التهانى والفرحة بتمام نعمة الله عليهم وتوفيقهلم لأداءواجباتهم نحوهسبحانه وتعالى . ويفتتحون هذا اليوم باجتماع عام يعبدون الله فيه ويستمعون الى من يذكرهم بنعم الله عليهم .

ومن حكمة الشارع لكى تكون الفرحة عامة شاملة ، تدخل كل بيت ، وكل قلب ، أنه أمر باخراج زكاة الفطر . فليس العيد عيدا تعبديا بقدر ما هو يحتم التكافل الاجتماعى فى ذلك اليوم واذا لاحظنا أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول فى ذلك : « اكفوهم ذل السؤال فى ذلك اليوم » فانه يريد بذلك أن يحقق الكرامة لطائفة من المسلمين ، كانت تشعر بالحرمان طيلة أيام السنة ، وهو يريد لهم اليوم أن يتفرغوا لمرح العيد .

والثانى عيد الأضحى ، ويأتى عقب أداء ركن من أركان الاسلام الخمسة ، فبعد أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها الى المزدلفة فمنى حيث يأخذون فى اتمام مناسك الحج يهل اليوم السعيد يفرح فيه الحجاج والمسلمون جميعا ، بما وفقهم الله اليه ، من أداء معظم شعائر الحج وبما يؤملون من فضل الله ، ومغفرته واذا كان من تمام قبول الأضحية أن تقسم أثلاثا . قسم لصاحب الأضحية ، وقسم للهدايا ، وقسم للصدقة ، **فان ذلك أعظم معانى الاشتراك بين طوائف الأمة ،يهوى كل أخاه مما عنده ، حتى يحقق التماثل والتكافل وبذلك تصبح الأمة يومئذ أسرة واحدة فى بيوتها ، وقد كانت وقت صلاة العيد أسرة واحدة فى المسجد أفواجا يذهبون . ينطلق من حناجرهم النشيد الأكبر : « الله أكبر الله اكبر ولله الحمد »** تموج بهم الطرقات الى المصلى مؤكدين العزم على نصرة الحق صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه .

فمتى شرع للمسلمين عيد ؟

وما فائدة هذه الأعياد من الناحية الدينية والاجتماعية ؟

وهل كان لأهل المدينة قبل أن يحـل الاسلام بديارهم عيد ؟

وما هى المعانى التى يحملها العيد بالنسبة للمسلمين ؟

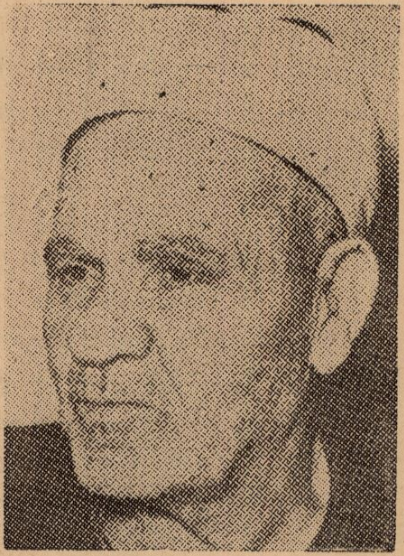

قال فضيلة الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهـر : للمسلمين عيدان : عيد الأضحى ويعرف بالعيد الأكبر ، وعيد الفطر ويسمى بالعيد الأصغر ٠

فعيد الفطر يذكر بهذه النعمة العظمى التى كانت أساسا لبناء دولة الانسانية الموحدة ٠ دولة التحاكم الى الرحم الواحـدة ٠ دولة العناء الروحى والاستقامة القلبية٠ دولة الحق والعدل ، دولة العلم والحكمة ، دولة التعمير والبناء ، دولة الرشاد والهدى ، دولة النعيم فى الدنيا والآخرة ٠

وليوم الفطر اعتبارات أخرى تلازمه باعتبار وضعه الزمنى فى كل عام فهو اليـوم الأول بعد انتهاء شهر رمضان الذى تعود فيه الى المسلم حريته الشخصية ، فى طعامه وشرابه ، بعد أن ترك ذلك استجابة لأمر الله بالصيام ، ولولا أن المؤمن يعتقد بأن سلب الحـريـة الشخصية كان بأمر الله ، وان عودتها اليـه بالافطار بأمر الله من الكمال الانسانى ، لمـا رضيت نفسه بسلب هذه الحرية فى مأكلـه ومشربه شهرا كاملا ٠ **وهذا مما يدل على أن الحرية مطلب عزيز ، لا يضحى به الا فى سبيل ما هو أعـز منه ، وذلك الشيء الذى يضحى**

المسلم من أجله بحريته ، انما هو رضوان الله ومغفرته ٠

ـ هل تعتبر مظاهر الاحتفال بالعيد مقياسا لنضج الأمة ووعيها ؟

ـ كثيرا ما توجد الأعياد نتيجـة أحداث اجتماعية ظاهرة فى حياة الأمم والمجتمـعات الكبيرة ٠ من ذلك مثلا ما تعارفت عليه الأمم بالاحتفال بأعياد الحرية بعد الاستعباد مثلا ، وأعياد الدستور بعد الاستبـداد ، وأعيـاد الاستقلال بعد الاحتلال ٠ هذه الأعياد كلها كانت وليدة للظروف القوميـة والوطنية للشعوب التى تحتفل بمثل هذه الأعياد وهو دليل على نضج الأمم ورقيها وتقدمها ٠

ـ متى شرع للمسلمين عيد ؟

ـ جاء الاسلام والعرب يحتفلون بأعياد كانت لهم فى الجاهلية ، فأباح لهم اتخاذ العيد تحصيلا لمزاياه القومية ، والاجتماعية والدينية ، وألغى من هذه الأعياد ماكان منها وثيق الصلة بالجاهلية الوثنية ، **ثم عين لهم بعد ذلك يومين ارتبط بهما فى تاريخ الاسلام بل فى تاريخ البشرية عامة ما جعلها غرة فى جبين الدهر كله هذان اليومان هما : يوم الأضحى ويوم الفطر •**

ـ ما الفرق بين الأعياد الدينية والأعياد القومية ؟

ـ الأعياد الدينية هى ماتعارف عليها الناس وأقرتها عقائدهم سواء كانت هذه العقائد سماوية أم بشرية ، أما الأعياد القومية ، فهى التى تحتفل بها الأمم فى مناسبات خاصة بجهادها وحريتها وحضارتها وتقدمها ، كأعياد الاستقلال والدستور والمشروعات العمرانية •

وقال فضيلة الأستاذ محمد محمد المدنى عميد كلية الشريعة :

للمسلمين عيدان • أحدهما عيد الفطر • والآخر عيد الأضحى ولكل منهما معنى يحمله وذلك أن كلا منهما يأتى عقب أداء فريضة غالية ، فعيد الفطر يأتى بعد فريضة الصوم المبارك ، ولاشك أن أداء المسلم لهذه الفريضة أداء صحيحا فيه سمو به ، وتهذيب لنفسه وأشعار له بأنه قد انتصر على نفسه ، وعاداته وشهواته شهرا كاملا ، وأصبح بذلك ذامران خلقى على الوقوف موقف الثبات فى كل ما يعترضه ممانهاه الله عنه ، ولايتفق ومعالى الأمور •• ولا شك أن هذا الانتصار على النفس والوصول الى تحقيق عبادة رئيسية كهذه العبادة أمر يستحق الفرح به والاحتفال من أجله •

فاذا كان ذلك الانتصار جماعيا بين جميع المسلمين ، وجب أن يكون الفرح مشتركا • ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ **« للصائم فرحتان : فرحة عند فطره • وفرحة عند لقاء ربه »** ففى كل يوم له فرحة جزئية لفطر ذلك اليوم وبعد انقضاء الشهر كله **تتحقق له فرحة تامة يشعر بها كل منا حين** ينتهى شهر رمضان وقد صامه وأدى حق الله بصيامه •

ومن هنا جعل العيد كمظهر من مظاهر هذه الفرحة الجماعية ، يجمع بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها فى ذلك اليوم على مائدة الله • فكل الناس يومئذ موسع عليه حتى الفقراء ، فقد حث الله الأغنياء والقادرين على أن يخرجوا قبل ذلك اليوم زكاة فطرهم لكى لا يبقى فى ذلك اليوم فقيرا يشغله فقره عن المشاركة فى الفرحة •

أما العيد الثانى فيأتى عقب اتمام فريضة الحج بعد الوقوف بعرفة • ولاشك أن اداء فريضة الحج أمر يهز مشاعر المسلمين جميعا من أداها منهم فى ذلك العام ، ومن أداها قبله ومن لم يؤدها بعد • فالجميع يشعرون بفرحة كبرى ، ويدركون نعمة الله تعالى فى ذلك اليوم الذى أمر فيه بذبح الأضاحى ليكون يوم خير وبر يعم الناس جميعا •

ومن الواضح أن كلا من هذين العيدين فيه معنى من معانى الاشتراكية الرحيمة البارة ، حيث نجد فى العيد الأول زكاة الفطر ، وفى العيد الثانى سنة الأضاحى • وفى كل منهما توسعة على الفقراء والمساكين ومشاركة فى نعمة الله بحيث لايستقل بها غنى دون فقير

ـ هل الأعياد ضرورة اجتماعية قبل أن تكون سنة دينية ؟

ـ الواقع أن ما يأتى به الاسلام ويجعله سنة من سننه ، انما يلاحظ فيه فطرة الناس وسننهم الاجتماعية وما ينبغى أن يكونوا عليه ويحرص على أن تكون لهم أيام يتبادلون فيها السرور والفرح ، وألوان البر والخير والصلة، لأن المجتمعات تحتاج بين الحين والحين الى هذا التبادل •

تحتاج الى حادث مفرح يهزها ويوائم بين أفرادها ويكون فرصة لالتقاء الاخوان المتحابين ، والتواصل بين المتقاطعين ، ونشر صورة من التسامح والمحبة بين الناس • **ولذلك فان الأعياد من وجهة نظر الاسلام ما أريد بها الا تحقيق هذا المعنى الضرورى للناس • والميزة التى يمتاز بها التشريع الاسلامى أنه تشريع يتمشى مع الطبيعة والفطرة ويحقق للناس ماترنو اليه قلوبهم • فليس**

هناك من تشريع الا ويكمن وراءه سر من أسرار العلاج الاجتماعي والنفسي وسبحان العليم الحكيم .

– هل لكل أمة أعياد رسمها لها دينها وأعياد منبعثة من تاريخها وأحداثها ؟ وما الفرق بينهم ؟

– الأعياد الدينية في الاسلام هي عيد الفطر وعيد الأضحى . ولكن هناك أياما أخرى اعترف بها الاسلام واستحب تمجيد ذكراها، **كيوم عاشوراء ، ويوم ذكرى بدر وليلة الاسراء والمعراج** ونحو ذلك بما جرى المسلمون على احيائه وتذكره تحقيقا لما يدل عليه مثل قوله تعالى في حادث الهجرة : « **واذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو**

يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

وقوله تعالى : **« الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا »**

وقوله تعالى في التذكير بغزوة بدر « **واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم » « اذ تستغيثون لكم فاستجاب لكم »** والى غير ذلك من الآيات التي تبدأ بكلمة « اذ » – وتقديرها كما يقول المفسرون – واذكروا اذ حدث كذا وكذا ..

واذن فالذكريات التاريخية ، مطلوب في الاسلام أن تمجد وتذكر ، ويعتبر بما فيها من عبرة ومن هنا نستطيع أن نقرر أن الأعياد القومية اذا كانت تمجد معاني يقرها الاسلام كمعاني العزة والكرامة الوطنية والتغلب على الاستعمار وقهر الطغيان والقضاء على الظلم ، ونحو ذلك فانها تكون جديرة بان تذكر وتمجد .

وقال فضيلة الأستاذ محمد فرج السنهوري:

لم يكن للمسلمين عيد الى ما بعد الهجرة وسن لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من وحي ربه عيدين هما : عيد الفطر وعيد الأضحى .

أما عيد الفطر فانه يقع في أعقاب ركن من أركان الاسلام الهامة وهو صيام رمضان وبهذا تكون فرحته الدنيوية بأن اقدرهم الله على أداء هذه الفريضة .

فشرع عيد الفطر عقب الفراغ من اداء هذه الفريضة ليكون عيد فرحة وعيد شكر وهذا الشكر يكون باداء صلاة العيد وباخراج زكاة الفطر المتوسعة على المحتاجين والبائسين في ذلك اليوم ويسن لهم فيه لبس الجديد فهو عيد عبادة قوامها الفرحة والشكر .

وأما عيد الأضحى فانه كذلك يقع عقب أداء ركن آخر من أركان الدين هو فريضة الحج والحجاج وفود الى بيت الله الحرام واقامة هذه الفريضة واجبة على المسلمين جميعا بحيث أن غير القادر يحث القادر على القيام بها ونفعها عائد على جميع المسلمين .

ولذلك لم يكن العيد قاصرا على من أدوا فريضة الحج بل كان عيدا عاما يشمل من حج ومن لم يحج .

وهو عيد فيه فرح وعبادة وشكر . هذه هى قوام العيدين العظيمين للمسلمين لتهذيب النفوس وتطهيرها وسن لنا عيدا أسبوعيا هو عيد يوم الجمعة ليستمعوا فيه الى الموعظة الحسنة ما يقرب من آثار العيدين عيد الفطر وعيد النحر .

أما بعض المواسم الدينية الأخرى فهى طارئةعلى الاسلام ولم تكن معروفة فى عهده عليه السلام فى عهد السلف كمواسم رجب وشعبان وعاشوراء ومولد النبى .

هذه كلها مما استحدثها المسلمون ـ وأكثرها وان كان من مستحدثات الأمور الا انه من باب البدعة الحسنة وخاصة الاحتفال بمولد النبى الكريم وبرأس السنة الهجرية واتخاذهما عيدا لما فيهما من أعظم معانى الذكرى والأثر فى النفوس .

وهناك أعياد اصطبغت بالصبغة الدينية ، وهى أعياد محلية أو اقليمية ، **كأعياد الموالد** المختلفة لبعض آل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعض الصالحين ، وهى فى واقعها أصبحت مواسم تجارية وللكثير من المتدينين فيها ذكرى صالحة فاذا طهرت مما يعلق بها ويؤتى خلالها من المنكرات الكثيرة كانت حسنة ولها آثرها الحميد فى نفوس المتدينين وفى الحالة الاقتصادية الاقليمية .

ـ ماهى العلاقة بين الزكاة والاشتراكية ؟

ـ الاشتراكية كما تعلمون لها مفاهيم مختلفة عند الشعوب اختلافا واسع المدى . ومفاهيمها المعتدلة التى ليس فيها التطرف الكبير فى القضاء على الفرد وافنائه فى حياة المجتمع ، وأنا أعتقد أن اشتراكيتنا الحديثة معتدلة غاية الاعتدال وهى لاتفر من الأديان بل بالعكس تريد أن تعيش فى ظل الأديان السماوية وهى فى واقعها لا تخرج عن النظم الاسلامية لا فى كثير ولا فى قليل . . والاشتراكية المعتدلة هى من روح الاسلام والزكاة بجميع أنواعها سواء كانت زكاة أموال أو حرث أو زكاة فطر كلها من النوع الاشتراكى المعتدل التى جاء بها الاسلام .

ـ هل تدل مظاهر الاحتفال بالعيد على تقدم الأمة ؟

ـ أعيادنا الاسلامية الأصلية دليل على تمكن الايمان ، وعلى نضج الأمة من الناحية الدينية . والأعياد المحلية دليل على تمكن منزلة صاحب العيد من نفوس الأمة أو الشعب الذى يقيم فى هذا الاقليم .

فالأعياد بوجه عام دليل على أن سببه قد حل من النفوس محلا عظيما فانأردت بالنضج نضج المدنية والحضارة كائنة ما كانت فانى أقول ان أعيادنا الاسلامية لاشأن لها الا بالحضارة الدينية .. الحضارة التى يمليها الدين وهى عندنا حضارة عظيمة .

وأرجو الله أن يديم على المتدينين دينهم والعمل على مايحيى ذكراه فى نفوسهم وعلى المحزونين أن يلطف الله بهم وعلى الفرحين أن يديم الله أفراحهم وأنيوفق الجميع الىمافيه رضاه .

وقال الأستاذ محمد زكى عبد القادر رئيس تحرير جريدة الأخبار : الاعياد وجدت قبل الأديان السماوية . بل وقبل الأديان عموما وبعد أن جاءت الاديان أضفت عليها المسحة الدينية .

والانسان محتاج لكى يقطع رتابة الحياة ويهدأ فىوسط الصراع المستمر من أجل الرزق ومما يستلزمه ويتطلبه أحيانا من انغماس فى الماديات الى فترات من الانصراف عن المادة الى مطالب الروح .

والعيد وان اقترن ببعض المظاهر المادية فهو فى جوهره وقفة روحية فى طريق الحياة

يتخلص فيها الانسان من مقتضيات الصراع المادى من أجل الحياة ويخلو لنوازعه الروحية التى هى جوهر الحياة .

واذا تجاوزنا من هذا الجانب الروحى فان العيد مناسبة اجتماعية للتزاور والتصافى والتعامل والبيع والتجارة ثم أنه مناسبة اجتماعية على الصعيد الاسلامى العام تلتقى فيه الشعوب والأمم الاسلامية فى فرحة تقع فى وقت واحد ويلتقى فيها الحجاج الى بيت الله الحرام من كل قطرا عربى يتفاهمون ويتعاونون ويتشاركون .

ـ ماهو الفرق بين الأعياد الدينية والأعياد الوطنية ؟

ـ الأعياد متعدده منها الدينى ومنها الوطنى والاجتماعى ومنها مايقام فى مناسبات الحصاد أومناسبات مختلفة كالاحتفال بانشاء المؤسسات الجديدة وبعض البلاد تحتفل بنزول المطر أو فيضان النيل وعيد شم النسيم وعيد الربيع . كل هذه الأعياد ترضى نزعات مختلفة فالعيد الدينى يرضى نزعة الايمان . والعيد الوطنى يرمز الى حب الوطن والتمسك بأرضه واحترام مقدساته والدفاع

هل تعتبر مظاهر الاحتفال بالعيد مقياسا لنضج الأجيال ووعيها ؟

ـ الاحتفال بالأعياد . مجرد الاحتفال شيء مألوف فى كل الشعوب مهما يكن حظها من التخلف او التقدم ولكن الذى يميز امة على امة من حيث مقدارها هو أسلوب الاحتفال بالأعياد، ونستطيع أن ندرك هذه الظاهرة من مقارنة أسلوب الاحتفال بالأعياد عند بعض الأمم التى بلغت هى الحضارة درجة متقدمة . وعند الأمم الأخرى التى لم تبلغ هذه الدرجة .

وهذا شيء طبيعى لأن مظاهر العمل أياكانت سواء الاحتفال بالأعياد أو فى غيرها من المناسبات الاجتماعية هى انعكاس لاسلوب التفكير والتطور وفهم الحياة .

عنه ضد المعتدين . والأعياد الأخرى فى المناسبات الاجتماعية والزراعية وغيرها ترضى الانسان . والنزعات الاجتماعية ترضى فيه مايتصل بالمهنة والرزق .

الى جانب ذلك تأتى أعياد كأعياد الأم وغيرها كثيرة وفيها أعياد على مستوى عالمى كعيد الامم المتحدة .

وقال فضيلة الأستاذ احمد محمد هريدى مفتى الجمهورية العربية العربية المتحدة :

الأعياد فى حقيقتها نوع من الاحتفال لتمجيد ذكرى من الذكريات كأعياد الانتصارات فى الحروب او الثورات الاستقلالية وتمجيد للذكرى ، تمجيد للمعنى الذى تقوم عليه هذه الذكرى . والأعياد فى الاسلام هى عيد الفطر

وعيد الأضحى ، وعيد الفطر جاء تاليا فى الزمن بعد انتهاء شهر رمضان شهر الصوم وأداء هذه الفريضة التى هى ركن من أركان الاسلام .

وعيد الأضحى جاء فى أعقاب الحج وأداء أعماله . والحج ركن أيضا من أركان الاسلام

فهذه الأعياد جاءت لتكون مظهرا من مظاهر الابتهاج بالقيام بأداء ركن من أركان الدين على وجه كامل يرضى الله ويرضى الرسول . يجتمع المسلمون فى هذه الأعياد ليتبادلوا التهنئة بقيامهم بأداء شعائر الدين وتوفيقهم فى هذه العبادة وهو معنى كريم جدير بالتمجيد لأن هذه الشعائر الكبيرة يتطلب القيام بها جهادا وكفاحا . جهادا نفسيا وجهادا جسميا وماليا .

والانسان اذ ينتصر فى نوع من الكفاح يقيم لهذا النصر احتفالا قد يكون فى مظهره بسيطا ولكنه فى معناه جليل عظيم . وعلى هذا الأساس تقوم فكرة الأعياد فى الاسلام .

والمسلمون من الوجهة الدينية يعتبرون فى هذه الأعياد ضيوفا على الله وهذا يرمز الى نوع من التكريم الى الله لعباده المؤمنين المخلصين لأنهم أطاعوه وقاموا بما فرضه عليهم بصورة ترضيه وتحقق الغاية من التكليف . لذلك أتاح لهم الفرصة ليكونوا فى ضيافته وكرامته . ومن ثم حرم الشارع الصوم فى أيام الأعياد لان حفل التكريم لايكون من مظاهره الصوم والامتناع .

– ما هى النصائح التى تقدمها للسلمين فى الأعياد ؟

– اذا كان هناك ما نتطلبه فى الاحتفال بهذه الأعياد . فهو أن يراعى الشباب والمسلمون بصفة عامة فى الاحتفال بهذه الأعياد أنها أعياد دينية لها جلالها وكرامتها . فيلتزم آداب الدين وحدود الشرع ولا يتخذ منها مناسبة يخرج عن حدود الحرية ويبيح لنفسه مالايباح ، ويأتى من الأمور سواء فى السلوك العام أو الخاص مالا يقره الشرع ، ولا عقل ولا أدب . فقد فهم الكثير من الناس وخاصة الشباب أن هذه الأعياد فرصة للترويح عن النفس والخروج على حدود الحريات واستباحة مالا يباح من دروب العبث وألوان اللهو .

وقالت الأستاذة مفيدة عبدالرحمن المحامية :

ان كل يوم فى رمضان يحمل فى معناه عيدا لأن الله سبحانه وتعالى عودنا فيه صفاء النفس وبعدها عن الشرور والصبر والاحتمال وحب الغير والعطف على الفقير . ونحن نمارس هذه الصفات المحببة الى النفس فى هذا الشهر المبارك عمليا فنكون بذلك أقرب فى التقوى والايمان الى الله لأن فيه كبح جماح النفس وعدم تركها على سجيتها .

فالعيد بهجة الكبير والصغير والغنى والفقير ولكن الذى يهمنى أن يشعر به الفقير كمايحس به الغنى ويستلزم هذا أن يخرج الغنى من ماله الزكاة ليعين بها أخاه المسلم فى يوم العيد . فالعيد ضرورة اجتماعية يجدد فيها الانسان حبه وصلته بأهله وأصدقائه .

– هل توجد علاقة بين زكاة الفطر والاشتراكية ؟

– أعتقد أن العيد هو أكبر صورة من صور الاشتراكية اذ يجب على المسلم أن يخرج زكاة الفطر وبذلك ينتعش حال المواطن الفقير ويشارك الغنى فرحته بالعيد ولا يكتفى ديننا الحنيف باخراج الزكاة فقط وانما برعاية الفقير واليتيم وهى صورة واضحة من صور الاشتراكية التى ان لم تكن قادرة على ازالة الفوارق بين الطبقات فانها تزيل الأحقاد التى قد تعلق بنفس الفقير أو المحتاج من جاره الغنى المتخم وقد سبقنا الى هذه الاشتراكية سيدنا عمر رضى الله عنه عندما كان يأخذ من الأغنياء ليعطى الفقراء وقد أراد الله بذلك الابقاء على الأغنياء فى صورة محببة أى ليبقى على مكانه الأغنياء فى قلوب الفقراء وقد وعدنا الله سبحانه وتعالى بمضاعفة مانتفقه فى سبيل الله كما جاء فى قوله تعالى :« **مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** » .

وهذا أسمى أنواع وصور الاشتراكية .

تقدم الطب

الدكتور عمر شوقى

الدكتور عمر شوقى المستشار العلمى بالمجلس الأعلى للجمعية الطبية الدولية للأمراض المدنية والمواد الحيوية ، اخصائى فى جميع فروع الأمراض الباطنية ومن مؤلفاته .

١ - فلسفة سر الحياة الذى يشتمل على بابين وهما :

أولا المخ البشرى مخ الكترونى

ثانيا : الطاقة الحيوية طاقة الكترونية

٢ - فى مجاهل العقل البشرى

وهذان المؤلفان عن الطب والذرة .

٣ - حديث بينى وبين مخى الالكترونى

وهذا المؤلف يبسط العلوم الطبية ليستطيع أن يفهمه كل فرد غير المتخصص فى الطب .

وسيادته يحدثنا فى هذا العدد عن موضوع حيوى له أهمية كبرى .

حينما جاء الاسلام حمل معه نورا يضىء الطريق أمام العالم وكانت معجزته الخالدة « القرآن الكريم » وفى ذلك معنى كبير وهو الحث على طلب العلم .. وكانت أول آية أنزلت قول الله سبحانه وتعالى « **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم** »

وقد حث الرسول الكريم على طلب العلم ، فقال اطلبو العلم ولو فى الصين ، وكان عليه السلام يفضل مجالس العلم عن مجالس الذكر . وكان قوله تعالى « **هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون** » و « **انما يخشى الله من عباده العلماء** »

كانت هذه الآيات حثا صريحا على التزود العلم والمعرفة ، واحتل العلماء مراكز عظيمة طريق النور ..طريق العلم وكان لها فى يوم ما مركز قيادى فى العلم .

وأصبحت الأمة الاسلامية مركزا يشع منه العلم والمعرفة ، واحتل العلماء مراكز عظيمة لدى الحكام حتى قال المعتضد وكان يمشى مع ثابت بن سنان الطبيب فى بستان وقد اتكأ

على يد ثابت قال وهو ينزع يده « معذرة يأبا الحسن ، لقد سهوت ووضعت يدى على يدك ، وأستندت عليها ، وليس هكذا يجب أن يكون فان العلماء يعلون . ولا يعلون .

ولقد لمع فى سماء العالم أسماء كانت لها شهرة استفاد منها العالم وأفادهم مثل ابن سنان والزهراوى وغيرهم من فطاحل الأطباء يقول الدكتور « نجيب محفوظ » عن الزهراوى انه فخر الجراحة العربية .

لقد ظلت كتب ومؤلفات العلماء المسلمين تدرس فى جامعات أوربا حتى عصر النهضة فى القرن السابع عشر ، وظلت هذه الكتب تترجم وتطبع لتكون المراجع التى يعتمد عليها أهل الصناعة .

وتوالت القرون ومرت السنون وابتليت الأمة الاسلامية بالاستعمار فأخذ من حضاراتها وثقافاتها ثم أخذ هو بدوره على مر السنين زعامة التثقيف .

وعندما نرى هذا القرن فنجد أنه قدمضى منه ستون عاما ، الأربعون عاما الأول كانت العصر الذهبى للطبيب اما الآن فيعتبر العصر الذهبى للطب .

فالطب تقدم . للتشخيص والعلاج بواسطة الأجهزة الحديثة التى جعلت الطبيب يستغنى عن حواسه الخمسة التى كانت هى الموهبة للتشخيص والعلاج فمثلا بواسطة حاسة الشم يتمكن الطبيب أن يشخص السل والسرطان والسكر ، وبواسطة النظر يمكنه تشخيص الزهرى فى القلب أو السل وأمراض أخرى كثيرة ، وبواسطة حاسة السمع المرهفة لدرجة انها تمكنه من تشخيص كهف الرئة وتحديد مكانه بالضبط ومرض القلب وبواسطة حاسة اللمس يمكنه تحديد أمراض البطن .. الخ أما الآن فقد اعتمد جميع الأطباء فى العالم على التحليلات والأشعة والأجهزة الأخرى .

والاختصاص فى الماضى كان مرحلة بعد التخصص فى جميع الأمراض وذلك لعلاقة الأمراض بعضها ببعض وهذا مالا يوجد الآن . نتمنى أن يزدهر العلم ويرتقى شأنه فى عصر نهضتنا المباركة .

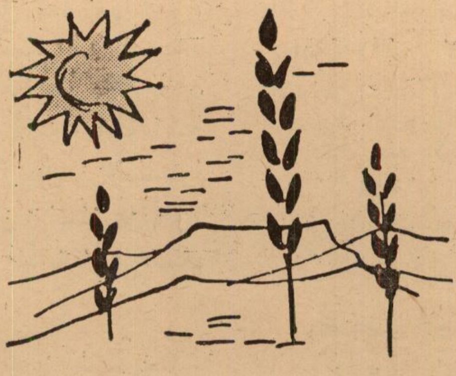

عبد الله بن المبارك

بقلم الأستاذ محمد سيد جاد الحق

سبحانك ربى ماأجل شأنك وأعلى سلطانك وأعظم قدرتك واسمى حكمتك فصصت علينا فى كتابك سير الغابرين وأنبأتنا على لسان نبيك بمصير الذاهبين وقيضت لنا من العلماء العاملين والنبلاء الزاهدين والفضلاء الجادين من وهبوا أنفسهم لخدمة دينك وسنة نبيك فرحلوا الى البلدان النائية وجابوا الأقطار القاصية وقطعوا المسافات الشاسعة وتحملوا المشاق المتنوعة ليتمكنوا من لقاء الرجال الصادقين الأخيار من حملة الحديث ورواة الأخبار وتدوين أنباء من سبقهم أو عاصرهم من الأئمة الأعلام والأدباء والاعيان .

ومن هؤلاء الأعلام الذين وهبوا أنفسهم للمعرفة ، عبد الله بن المبارك . الذى كان أجمع لشمل العلم وأنظم المذاهب العرب وألزم للجادة فى الدين والخلق وأروى فى الحديث وأقضى فى الأحكام وأفقه فى الفتوى مع الاستبصار الحسن والطبع الوقاد والذهن المنقاد والقريحة الصافية والاستبانة والتأمل .

ميلاده ونشأته :

ولد عبد الله بن المبارك سنة ثمان عشرة ومائة فى مدينة مرو من أعمال خراسان من أبوين كريمين وكان أبوه تركيا مولى لرجل من التجار من بنى حنظلة من أهل همذان وكانت أمه خوارزمية وكان أبوه يعمل فى بستان لمولاه أقام فيه زمانا وقد دعاه مولاه يوما وقال له أريد رمانا حلوا فمضى الى بعض الشجر وأحضر منها رمانا وكسره مولاه فوجده حامضا فغضب عليه وقال أطلب الحلو فتجيئنى بالحامض هات لى حلوا فمضى وقطع من شجرة أخرى فلما كسره وجده أيضا حامضا فأشتد غضبه عليه وفعل ذلك مرة ثالثة فقال له بعد ذلك أنت ماتعرف الحلو من الحامض فقال له لاقال ولم ؟ قال لأنى ماأكلت منه شيئا حتى أعرفه فقال ولم لم تأكل قال لأنك ماأذنت لى فيه فتبين الأمر فوجده حقا فعظم فى عينه وزوجه ابنته فجاء عبد الله منها .

اجماع الناس على فضله :

أجمع الناس على امامته وجلالته فى كل شىء حتى صار مضرب الأمثال ومنتهى الأمال تستنزل الرحمة بذكره وترتجى المغفرة بحبه فهو من تابعى التابعين ولكن له الصدارة والمقام الأول عند ذكر أساطين الرأى وأهل المعرفة .

حديث أصحابه عنه :

اجتمع نفر من أصحاب ابن المبارك فقالوا تعالوا نعد خصال ابن مبارك من أبواب الخير فقالوا : جمع العلم والفقة والأدب والنحو واللغة والزهد والشعر والفصاحة والورع والانصاف وقيام الليل والعبادة مع شدة خوف لايعرفه الا من سلك سبيله وسار فى طريقه مع قلة الكلام فيما لايعنيه وقلة الخلاف على أصحابه وكان كثيرا مايتمثل بهذين البيتين .

واذا صاحبت فاصحب صاحبا
ذا حياء وعفاف وكرم

قائلا للشيء لا ان قلت لا
واذا قلت نعم قال نعم

رحلاته :

رحل رضى الله عنه وأكثر من الطواف فى بقاع الأرض فى طلب الحديث فلقى التابعين وروى عنهم وروى عنه خلق كثير وتفقه بأبى حنيفة وجمع الحديث والفقة والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء

كتابه الى الفضيل بن عياض :

كتب ابن المبارك الى الفضيل بن عياض يقول ٠

ياعابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك فى العبادة تلعب

من كان يخضب جيده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب

أو كان يتعب خيله فى باطل
فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
وهج السنابك والغبار الأطيب

ولقد أتانا من مقال نبينا
قول صحيح صادق لايكذب

لايستوى غبار خيل الله فى
أنف أمرىء ودخان نار تلهب

هذا كتاب الله ينطق بيننا
ليس الشهيد بميت لايكذب

فلما قرأه الفضيل بن عياض بالحرم ذرفت عيناه ثم قال صدق أبو عبد الرحمن ونصح

خراسان وطن ابن المبارك :

انفرد اقليم خراسان من بين أنحاء المعمورة بتخريج قادة الفكر وأهل اللسان وفرسان العلم وأعيانه كمحمد بن اسماعيل النجارى ومسلم بن حجاج القشيرى وأبى عيسى الترمذى واسحق بن راهوية وأحمد بن حنبل وأبى حامد الغزالى والجوينى امام الحرمين والحاكم أبى عبد الله النيسابورى وغيرهم من أهل الحديث والفقة والأزهرى والجوهرى وعبد الله بن المبارك الذى يعد من أجواد الزهاد والأدباء ٠

كلام أهل الحديث عنه :

قال أحمد بن حنبل لم يكن فى زمان ابن المبارك أحد أطلب للعلم منه ، رحل الى اليمن ومصر والشام والبصرة والكوفة ويقول عنه عبد الرحمن : كان ابن المبارك ربع الدنيا بالرحلة فى طلب الحديث لم يدع اليمن ولا مصر ولا الشام ولا الجزيرة ولا البصرة ولا الكوفة ويقول على بن الحسن بن شقيق : لم أر احدا من الناس أقرأ من ابن المبارك ولا أحسن تلاوة ولا أكثر صلاة منه كان يصلى الليل كله فى السفر وغيره وكان يرتل القراءة ويمدها فكان أمة فى عبادته ونسكه

سخاؤه :

كان له رأس مال نحو أربعمائة ألف يدور بتجربة فى البلدان فحيث اجتمع بعالم أحسن اليه وكان يربو كسبه فى كل سنه على مائة ألف ينفقها كلها فى أهل العبادة والزهد والعلم وربما أنفق من رأس ماله قال سفيان بن عينية نظرت فى أمره وأمر الصحابة فما رأيتهم يفضلون عليه الا فى صحبتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

وخرج مرة الى الحج فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر معهم فأمر بألقائه على ربوة هناك وسار أصحابه أمامه وتخلف هو وراءهم فلما مر بالربوة اذا بجارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت ثم لفته وأسرعت به الى الدار فجاء فسألها عن أمرها فى أخذ الميتة فقالت أنا وأخى هنا ليس لنا شىء الا هذا الازار وليس لنا قوت الا مايلقى على هذه الربوة وقد حلت لنا الميتة منذ أيام وكان أبونا صاحب مال فظلم وأخذ ماله وقتل فأمر ابن المبارك برد الأحمال وقال لوكيله كم معك من النفقة ؟ قال الف دينار فقال عد منها عشرين دينارا تكفينا الى مرو وأعطها الباقى فهذا أفضل من حجنا فى هذا العام ثم رجع ٠

حبه للعلم :

لم يكن عجبا أن يمتزج العلم بلحمه ودمه لأن العلم الكامل وسيلة الى كل فضيلة وصلاح وسلم ارتقاء الأمم الى أعلى درجات النجاح فهو حياة النفوس وضياء البصائر وأهله مصابيح الهداية وكواكب الأرض وللعلم شأن عند كل أمة فى ماضى الزمان وحاضره كلما سطعت أنواره عليها ارتفع شأنها وعظم عمرانها وكلما تقلص ظله خبا مجدها وأفل سعدها ولقد كان للعلماء عند العرب المنزلة العليا حتى أن الخلفاء أنفسهم كانوا يصبون الماء على أيدى العلماء ويقضون أوقاتهم بين المحابر والدفاتر ويبنون بيوت العلم كما يبنون بيوت العبادة .

طريقته فى المعرفة :

أعرض ابن المبارك عن جدل العلماء وسفسطة الدخلاء وفلسفة الحكماء لأن الفلسفة كمال بشرى والدين كمال الهى والكمال الالهى غنى عن الكمال البشرى والكمال البشرى فقير الى الكمال الالهى .

حكمه رضى الله عنه :

ومن حكمه رضى الله عنه أن رجلا قال له ياابن المبارك كم تكتب ؟ فقال لعل الكلمة التى أنتفع بها لم أكتبها بعد فقال له ماالتواضع قال التكبر على الأغنياء وقال له عبد الله بن خبيق أوصنى فقال : اعرف قدرك .

ومن كلامه . تعلمنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا .

فضله يسبق شخصه :

قدم ابن المبارك الرقة وبها هارون الرشيد فلما دخل ابن المبارك احتفل الناس بهوتدافعوا حوله بالمناكب فأشرفت أم ولد للرشيدمن قصر هناك فقالت ماللناس ؟ فقيل لها قدم رجل من علماء خراسان يقال له ابن المبارك فانجفل الناس خلفه حتى تقطعت النعال وأرتفعت الغبرة فقالت المرأة هذا والله الملك لاملك هارون الذى يجمع الناس عليه بالسوط والعصا والرغبة والرهبة .

صحبته لأبى حنيفة :

صاحب أبا حنيفة وأخذ عنه علمه فنظر اليه أبو حنيفة وسأله عن مبدأ أمره فقال كنت جالسا مع أخوانى فى البستان فأكلنا وشربنا الى الليل وكنت مولعا بضرب العود والطنبور ونمت سحرا فرأيت فى منامى طائرا فوق رأسى على شجرة يقول . ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق . قلت بلى فانتبهت وكسرت عودى وأحرقت ماكان عندى فكان هذا أول زهدى ويقول سألت أبا حنيفة يوما عن الرجل يبعث بزكاة ماله من بلد الى بلد آخر فقال لابأس بأن يبعثها من بلد الى بلد آخر لذى قرابته فحدثت بهذا محمد بن الحسن فقال هذا حسن وهذا قول أبى حنيفة وسئل ابن المبارك عن أكل لحم العقعق فقال كرهه أبو حنيفة وسئل عن وقت العشاء الآخرة فذكر عن أبى حنيفة حتى يصبح .

معرفة فضله :

يحدثنا يحيى الأندلسى فيقول كنا فى مجلس مالك فاستؤذن لابن المبارك فأذن له فرأينا مالكا تزحزح له فى مجلسه ثم أقعده بلعقه ولم أره يتزحزح لأحد فى مجلسه غيره وذلك يدل على منزلة ابن المبارك فى نفس مالك وتقديره لعلمه وفضله .

نهاية العمر :

وبعد تلك الحياة الحافلة بجلائل الأعمال غزا ابن المبارك فلما انصرف من الغزو ووصل الى هيت ألقى عصا التسيار فقضى نحبه بها فى رمضان سنة احدى وثمانين ومائةعن ثلاث وستين سنة وهيت مدينة على الفرات فوق الأنبار من أعمال العراق لكنها فى بر الشام والأنبار فى بر بغداد والفرات يفصل بينهما ودجلة تفصل بين الأنبار وبغداد وقبره ظاهر بها يزار رحم الله ابن المبارك الذى يقول فيه سفيان الثورى وددت ان عمرى كله بثلاثة أيام من أيام ابن المبارك . وسقى جدثة صيب الرحمات بقدر ماقدم للانسان من روائع الآيات .

القرآن الكريم

ومدى تأثيره فى غير المسلمين

الدكتور احمد شلبى

القرآن الكريم مصدر ثروة فكرية وروحية وقد كتب عنه الباحثون ولا يزالون يكتبون، ليبينوا صورا من اعجازه ، وافانين من بلاغته ، ونواحى التشريع المعجز فيه ، ولكنا الآن لن نلجأ للمسلمين لنرى رأيهم فى القرآن بل سنلجأ الى اعداء الاسلام واعداء محمد — صلى الله عليه وسلم — لنرى الى أى مدى كانوا يجلون القرآن ويقدسونه ، ويسعون خفية لسماعه فى لهفة ، كما يسعى الهواة لسماع موسيقى حلوة أو صوت رخيم . والفضل ما شهدت به الاعداء كما يقول الشاعر العربى :

لما واصلت قريش عدوانها على محمد وأصحابه بمكة ، كان صلوات الله عليه ينفلت كل مساء الى دار فى طرف مكة يملكها الصحابى الجليل الارقم بن أبى الارقم ، وكان أصحابه يتسللون اليه سرا ليجتمعوا حول البيت ، وليستمعوا الى هدى القرآن الكريم ، وشهد بيت الارقم ذات ليلة حدثا ضخما دونه الطبرى المؤرخ العظيم .

كان الرسول يقرأ لأصحابه من سورة غافر:

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذى الطول ، لا اله الا هو اليه المصير، مايجادل فى آيات الله الا الذين كفروا ، فلا يغررك تقلبهم فى البلاد .....

وفى أثناء القراءة كان هناك ثلاثة من شيوخ المشركين ، يتكور كل منهم فى ركن مظلم من الاركان يتسمع الى القرآن من كوة من كوى البيت ، أو نافذة من نوافذه ، دون أن يراه احد ، واستمرت جلسة كل من هؤلاء خارج البيت يتسمعون فى خشوع ودهشة حتى سمعوا خاتمة التلاوة — **صدق الله العظيم** — وهنا قام كل منهم من ركنه يريد العودة الى بيته ، ولكن واحدا منهم وهو أبو سفيان يصطدم بواحد آخر هو ابو جهل .. !!

أبو سفيان : ماذا جاء بك الى هنا يا ابن الحنظلية ؟

أبو جهل : آ آ آ وانت ماذا جاء بك يا أبا سفيان ؟

ابو سفيان : لا بد انك كنت تسمع قرآن محمد ..

« يريان الشخص الثالث يمر بهما ويحاول ان يهرب »

أبو جهل : من ؟ الأخنس بن شريق ؟ ماذا اتى بك الى هنا ؟ لا بد انك جئت تسمع قرآن محمد ؟

الأخنس : (مرتبكا) أنا آ . آ .

أبو سفيان : قل الحق ، ماهذا المنكر الذى وقع فيه ثلاثتنا ؟

أبو جهل : يا أبا سفيان ، نحن نكره محمدا ونحاربه ونضطهده ، لأنه يسفه آلهتنا ، ويغير نظام مجتمعنا ، ولكن هذا شىء وقرآن محمد شىء آخر ، انه ليس من قول البشر

أبو سفيان : هذا حق .. ولكن أتعرفان ماذا تكون النتيجة لو انكشف أمرنا ، وعرفت قريش أننا نجىء كل ليلة فى جنح الظلام لنستمع الى قرآن محمد ؟

الأخنس : نعم انها ستكون كارثة ، بل أكثر من ذلك ، لقد حدثتنى نفسى عقب كل تلاوة أن أدخل بيت الأرقم وأعلن اسلامى .

أبو جهل : (فى حدة) صه ياأخنس ،كيف يصل بك الأمر الى هذا الحد ؟ كيف ترضى أن نكون تابعين لمحمد ؟

الأخنس : (فى تحد) قل الحق يا ابن الحنظلية ألم تحدثك نفسك بمثل ما حدثتنى به نفسى ؟

أبو سفيان : لا يا صاحبى ، كفا عن الخصام وتعاليا نضع العلاج لما نزل بنا من داء .

الأخنس : العلاج أن نكف عن الحضور لسماع قرآن محمد ، فانى لا أكتمكما أن الاستمرار على سماعه سيقودنا الى الايمان برسالة ابن عبد الله .

أبو جهل : انا أوافق على رأى الأخنس ، ولكن كيف السبيل الى ذلك وطالما حملتنى قدماى الى هذه الزاوية من الارض دون وعى ؟

أبو سفيان : أرى أن نقسم باللات والعزى الا نعود الى هذا المكان

أبو جهل والأخنس : نعم ، هيا كلنا : نقسم باللات والعزى الانعود .

« وينصرف الثلاثة »

وفى الليلة التالية كان الرسول – كعادته – يجتمع بأصحابه وكان يقرأ لهم من سورة الفرقان :

تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، الذى له ملك السموات والأرض ، ولم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شئ فقدره تقديرا ..

وهناك على بعد مسافة من بيت الأرقم ، كان أبو سفيان يقف وحده يحدث نفسه :

(الآن موعد سماع قرآن محمد ، ماذا افعل ؟ هل أذهب كعادتى كل مساء ؟ لكنى أقسمت أمس باللات والعزى الا أذهب ؟ انها فرصة ، ان أبا جهل والأخنس لن يذهبا ، وسيكون فى مقدورى أن أذهب وأعود دون أن يرانى أحد ..) ويسير تجاه بيت الأرقم .

وكان هناك الأخنس بن شريق يتجول أمام بيته ويحدث نفسه : (هل تمنعنى اللات والعزى من سماع القرآن ؟ ومن يدرى أن يكون كل من أبى سفيان وأبى جهل حنث فى يمينه وذهب ليسمع كلام محمد ؟ هيا الى هناك فان كانا حنثا تساوينا فى الحنث ، وان لم يحضر أحد منهما استمعت وعدت دون أن يرانى أحد) ويتجه الى بيت الأرقم .

ومنظر ثالث لابى جهل ضجرا بجوار الكعبة ، وقد ذهب الى هناك لعله يشغل نفسه ، ولكن نفسه كانت تحدثه :(يا ترى سيبر أبو سفيان والأخنس بقسميهما ؟ اغلب الظن أن كلا منهما سيبر بقسمه ، ولكن هل سيستطيع هذا أو ذاك أن يكف عن سماع القرآن ؟ أما انا فلا استطيع أن أكف ،ان هذا الركن هو المنتدى الذى أعشقه كل مساء ، وهذا الكلام هو أسمى ما طرق أذنى منذ عرفت بلاغة أجدادى العرب ، سأذهب لسماع القرآن والويل لمن يعترضنى) ويأخذ طريقه الى بيت الأرقم .

وعندما يتكور كل منهم فى مكانه تحت الكوة التى اعتاد ان يجلس عندها ، يكون الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد وصل فى تلاوته الى قوله تعالى :

« وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ، لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا » ....

ويصل الرسول الى قوله تعالى : « **ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتا ليتنى لم أتخذ من فلان خليلا** » فيعض كل منهم على يديه ويتلو الآية عقب تلاوة الرسول .

وبعد فترة يختم الرسول تلاوته ، ويسمع وهو يقول : « **صدق الله العظيم** » ، وحينئذ يقوم كل منهم متسللا يريد العودة ، ويسائل أبو سفيان نفسه : هل بر أبو جهل والأخنس بقسميهما أو حنثا كما حنث ؟ سأرى ، ويدور حول البيت باحثا فيصادف أبا جهل ويهتف به :

أبو جهل ؟! لقد جئت أيضا ولم تبر بقسمك، وجذبك قرآن محمد .

ويرد أبو جهل قائلا : تعال أولا نتأكد من موقف الأخنس ، ثم للحساب شأن آخر ، ويطوف الاثنان ويتطلعان فيريان الأخنس من بعد وهو يحاول الافلات ، فيهتفان به :

يا أخنس ، قد رأيناك تعال لا تهرب .

ويحاول الأخنس الهرب ، ولكن ابا سفيان وابا جهل يسرعان اليه ويلتقى الثلاثة ويدور بينهم هذا الحوار :

ابو سفيان : تكررت المأساة وضعفنا عن المقاومة ، ولا بد أن خبرنا سيشيع وتكون مشكلة كبرى .

أبو جهل : (مطأطئا راسه) ماذا نعمل ؟

الأخنس : خانتنى قدماى وحملتانى دون وعى الى حيث تعودت أن أجىء .

أبو سفيان : والآن ماذا تريان ؟

الأخنس : اما ايمان واما كفر .

أبو جهل : لا سبيل الى الايمان ، ولا سبيل الى الأصنام .

ابو سفيان : ماذا تقول يا أبا جهل ؟ كيف تقول لا سبيل الى الأصنام ؟ لقد صبأت وانكرت آلهتنا .!؟

أبو جهل : يا أبا سفيان ، انى أخاف اليوم الذى وصفه محمد بقوله : **يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا ، لقد أضلنى عن الذكر بعد أن جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا .**

الأخنس : أبو جهل يحفظ كلام محمد عن ظهر قلب !!

أبو جهل : لقد حفظ أجدادنا الاشعار وعلقوها بالكعبة ، وهيهات بين شعر المعلقات والتنزيل الذى يقراه محمد ، هذا شىء يمكن ان ياتى بمثله البشر ، وهذا شىء أسمى من قوى البشر .

أبو سفيان : اشتدت الأزمة وسيفلت منا الزمام .

الأخنس : نعم سيفلت ولا بد من طريق

أبو سفيان : الطريق هو تأكيد القسم أن نتوقف عن المجىء لسماع القرآن ، انه سحر سيجرنا الى الايمان بمحمد ، والايمان بمحمد معناه الهاوية لنا ، وضياع أموالنا وعتق عبيدنا ، والقضاء على سلطاننا بمكة ، ولا سبيل لذلك .

ابو جهل : نعم لا سبيل لذلك ولا بد أن نكف عن الحضور .

الأخنس : أنا أوافق ، تعاليا نعقد قسما اكيدا ، قولا معى :

نقسم بهبل كبير الآلهة (يرددون قوله) وباللات والعزى ومناة الا نعود لسماع قرآن محمد ، وان نظل على وفائنا لمعتقداتنا ومجتمعنا .

وعاد الثلاثة الى ديارهم ، ولكن .. هل استطاعوا أن يبروا بقسمهم هذه المرة ايضا ؟ لا .. لم يستطيعوا ، فقد ذهبوا فى الليلة الثالثة على نحو ما ذهبوا من قبل ، بعد أن حدث كل منهم نفسه بأنه سيكون هذه المرة هو الوحيد ، والتقوا بعد التلاوة ولكن فى خزى ، ولم يستطع أحد منهم أن يقول شيئا ، ثم تكلم ابو سفيان بخجل قائلا :

أبو سفيان : يا صاحبى لقد عجزنا عن المقاومة ، ولم نحفل بيمين ولا بوعد ، ولن نكون فى المستقبل أقوى منا فى الماضى ، اقتراح واحد يمكن ان نقوى به عزيمتنا وان نمتنع به عن الحضور لسماع هذا القرآن .

أبو جهل : وما هو اقتراحك يا أبا سفيان؟

أبو سفيان : ان نلتقى ثلاثتنا فى مطلع كل مساء ، ونبقى معا يرقب بعضنا بعضا، ويقوى كل منا زميليه ، ونظل معا طيلة الوقت الذى يمضيه محمد فى القراءة لأصحابه .

الأخنس : هذا حل يرجى به الافلات من سحر القرآن .

أبو جهل : نعم انه حل نفلت به من الهداية.

أبو سفيان : صه يا أبا جهل !! لقد مسك سحر محمد !! هل تسمى دعوته هداية ؟

أبو جهل : نعم انها هداية ولكن ..

أبو سفيان : ولكن ماذا ؟

أبو جهل : كفى يا أبا سفيان ، والى اللقاء فى بيتك فى مطلع كل مساء .

وتوقف الثلاثة عن الحضور ، ولكن الاسلام سار يحث الخطا ويعم الآفاق ، وسار القرآن الكريم قوة تحرس الاسلام وذخيرة يجد فيه المسلمون الوان الهداية واروع التشريع لشئون الدين والدنيا .

((ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين))
صدق الله العظيم .

من وحى الاتحاد الاشتراكى العربى

كُنّا وكانوا

بلسان حال الشعب

الشاعر محمود ابراهيم طيرة

قالوا اشتراكية بالخير تأتينا فقلت بل إنها تُحيي الملايينا
كنا ضياعا ، وكانوا سادة ، نقضُوا عهد الأُخُوَّاتِ ، أن يَرْعُوا المساكينا
كنا نعانى شقاءَ العيش ، فى كَدر آنعيش فى فاقة ، بالذل ترمينا !
وكم شربنا كئُوس المر مترعة حتى الثمالة والحرمان يُضنينا !
وهم يعيشُونَ مرْحى ، فى بلَهْنِيـة عيش المتاليف ، بَلْه المستَبدِّينا!
ضَلُّوا ضلالا ، وكانت جُلُّ غايتهم فى مرتع اللَّهو ، أن يُرضوا الشياطينا!
لم يَبْسُطُوا بالنَّدَى كفًّا لسائله ولم يقولوا لداعى الخير آمينا
ما كفكفوا دمعة المظلوم يذرفها وكم من الدمع ما أدمَى مآقينا !
ولم يواسوا حزينا بات يحمله هَمًّا ثَقيلا ، ولا آسُوا المُصَابينا!
نام الضمير ، فلا سلطان عاد له ولا أيادىَ يستبقونها فينا !

لكِنْ أَنَانِيَـةُ أَعْمَتْ بصـائرهم ... عن جوهر الفضل ، فابتاعوا العناوينا
ياليت شعرى – وهل تُغنِى دِعايَتُهُم ... شيئا ، إذا كانت الأَعمال تُؤْذينا ؟ !

* * *

وجاءت الثورة الكبرى تُلَقِّنُهـم ... درس الحياة من الأَعماق تلقينا
وحطَّمَتْها صروح الظلم عاليـة ... وَمَعْقِلُ الظلمِ واه ، خِلْتُهُ طِينا !
ومن يكن بِحُصُونِ الظلم معتصِمًـا ... تَهْوِى على رأسه ، والظُّلْمُ يُرْدِينَا !!

* * *

ما أَجْمَلَ الناس أَنْ يَحْيَوْا لأُمَّتِهِمْ ... وأن يكونوا إلى الخيرات داعينا
يرعى الغنِىُّ فقيـرا بات يَحْمَـدُه ... فيُصبح الكل إخوانا معاوينـا
طابت نفوسهمُ ، قَرَّتْ عيونهـمُ ... واستشعروا الحب والإخلاص والدِّينَا
والعدل سائدهم ، والحق رائدهم ... وبالعروبة صاروا مُسْتَعِزِّينَـا
والعدل والحق والانصاف قام بها ... مَجْدُ الشعوب ، إذا كانت موازينا!
وما المساواة إلا واحَـةٌ زخرت ... بالظل والماء فى الصحراء تُؤْوِينَا
الناس فى ظِلِّها عادوا سواسيـةً ... فلا امتياز لمن كانوا مَوَالِيَنَـا

وليس ثَمَّةَ فَضْلٌ يُسْتَطالُ به   إلَّا لِمَنْ مَكَّنَ الميثاقَ تمكينا
وراح يعمل فى صبر وفى جلد   للشعب فى عَزْمَة لا تعرف اللينا !

* * *

هذى اشتراكية الْعُرْبِ التى انبثقت   من ثورة الشعب نُورًا شَعَّ يهدينا
أهلا وسهلا بها ، تسمو بنا قُدُمًا   وتربطُ الحاضر الْهَانِى بماضينا
حُلْمٌ تحقق ما كنا نُؤَمِّلُهُ   وغاليات الْمُنَى الكبرى توافينا
فى هالة النور ، والْعَلْيَا تُوَاكِبُها   والمجد زَيَّنَهَا للخلد تزيينا
والنيل صفَّقَ جذلانا يُهَدْهِدُها   كما تُهَدْهِدُ أمٌّ طفلها حينا
والشِّعْرُ من دَوْحَةِ الآداب أتحفنا   به نشيدًا سما نظما وتلحينا
يادولة العرب تيهى وارقصى طَرَبًا   يوْمُ المجادة ، يوم النصر آتينا
سيجمع الله شمل العُرْبِ فى وطن   نحيا به إِخْوَةً غُرًّا ميامينا
لابد من وَحْدَة كالعقد منتظمًا   تكون حَبَّتُه يوما فلسطينا
هناك تهتف دنيا العُرب قاطبةً   الله أكبر ، قد نلنا أمانينا
والله يرعى جَمَالًا رمز نهضتنا   وصانع المجد فى الشَّرْقَيْن آمينا

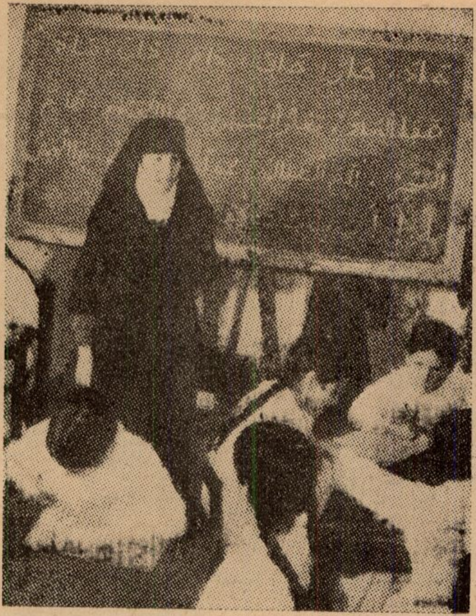

المرأة المغربية والمجتمع

* تطورت المرأة المغربية تطورا كبيرا فى السنوات الأخيرة ..

* أسهمت بنصيب ملحوظ فى جميع مظاهر الحياة العامة ..

* اشتركت فى الحركة النقابية التى تدافع عن الطبقة الكادحة ..

* قامت الحكومة المغربية بوضع قوانين من شأنها ان تستقر الأسرة بتطبيقها ..

***

فى هذه الحلقة من سلسلة التحقيقات عن المرأة المسلمة فى آسيا وأفريقيا .. انقل صورة للمرأة فى المغرب .. كيف تعيش أختك المسلمة فى المغرب ؟ .. ما هى الحقوق التى تتمتع بها ؟ ما مدى اسهامها فى الحياة العامة فى بلادها ؟ .. ما هو دورها فى الميدان الاقتصادى والاجتماعى ؟ .. هذه بعض الاسئلة التى نحاول الاجابة عليها للتعرف على الأخت المغربية المسلمة التى تربطنا بها روابط متينة خالدة من الدين واللغة ..

المرأة المغربية والمجتمع :

لقد قفزت المغرب الى الطليعة فيما يتعلق بتطور المرأة المسلمة .. وهذا التطور الذى مهدت له المغرب منذ خمسة عشرة عاما ، أصبح الآن فى قمة ارتقائه .

فالنساء فى المغرب يشاركن الرجال شيئا فشيئا فى كل أوجه نشاط الحياة .. اشتركن فى الأحزاب السياسية والنقابات كما ازداد عددهن فى الوظائف الحكومية العامة .

وقد بدأ هذا التطور فى عهد جلالة الملك الراحل المغفور له ـ **محمد الخامس** ـ وقد أوجد هذا الاتجاه أملا بدا حادا عند الشباب فاندفعوا الى هذه الحركة بأفكار جديدة نفذت وأثرت فى كل مرافق الدولة .. وبذلك أبعدوا

الأوهام والخرافات التى تعتبر دخيلة على الروح الاسلامية بقدر ما هى دخيلة ومتعارضة مع الحضارة الحديثة .

ويرجع الفضل فى اتساع هذه الحركة الى الموقف الثورى الذى اتخذه الملك الراحل ضد الروح الرجعية ، فقد دعا رؤساء العائلات الى تعليم بناتهن تعليما حديثا ، كما أنه فتح الكثير من المدارس . **وقد ضربت بنات الملك - فيما يتعلق بهذه الحركة - أفضل مثال لتشجيع الأخريات .. فالأميرة عائشة تتزعم الحركة النسائية بالمغرب .**

ومنذ ذلك الحين .. ازداد وعى المرأة بمساواتها بالرجل وبحقوقها وواجباتها . كما عملت على المشاركة فى كل نواحى الحياة العامة ، وأظهرت نشاطا فى كل أجهزة الدولة السياسية والادارية والاجتماعية .. وتفتحت أمامها ميادين واسعة للعمل والكفاح ومشاطرة الرجل فى تحمل المسئوليات التى فرضها عهد الاستقلال والتحرر من نير الاستعمار .. وكانت آخر الميادين التى اقتحمتها الفتاة المغربية المثقفة .. منحها السلطة لأن تصدر الفتاوى وتسهم مع علماء الدين فى سن القوانين والتشريعات ، والقيام بواجبات الوعظ والارشاد والحكم بين الناس بالعدل والقسطاطس. فالمرأة المغربية لها الحق فى أن **تمارس** كل الأعمال بلا استثناء ابتداء من الافتاء الى الجلوس على منصة القضاء فى المحاكم .

وبالرغم من مناصبهن فانهن يتزوجن مع استمرارهن فى العمل .. لأن العمل للمرأة المتعلمة يعاونها على ان تؤدى دورها فى الحياة الاجتماعية على أكمل وجه ..

المرأة المغربية فى المصنع :

واشتغلت المرأة المغربية فى المصانع ، بل أنه توجد مصانع تعتبر المرأة هى العامل الرئيسى فيها .. مثل مصانع النسيج أو الأطعمة المحفوظة .. ويقدر عدد المنضمات الى النقابات بعشرات الألوف .. كما يسهمن من جانبهن أيضا فى الدفاع عن حقوق الطبقة العاملة وقد حققن بعض الانتصارات فى هذا المجال .

والشىء الأساسى الذى تعمل له الحكومة ، هو تأكيد القوانين الجماعية التى لا تميز بين الرجل والمرأة .. وقد جعل هذا المرأة تحصل فى الانتخابات على مساواة كاملة مع الرجل .

المرأة المغربية والثقافة الدينية :

فى مدينة فاس توجد جامعة القرويين وهى على غرار جامعة الأزهر بالقاهرة .. تتخرج فيها استاذات عالميات فهناك كلية الشريعة وأصول الدين وينلن منهما شهادة العالمية .. ومن مميزات التعليم الاسلامى العالى فى المغرب بعد الاستقلال .. أنه يتضمن مواد عصرية فى مقدمتها اللغات الأجنبية والقوانين والتشريعات .. علاوة على أنه أفسح المجال أمامهن ليتعلمن كل العلوم التى كانت مقصورة على الشبان وحدهم .. ولهذا التحق بجامعة القرويين خلال السنوات الأخيرة عدة آلاف من الفتيات بالمغرب وهذه الميزات جعلت جامعة القرويين فى فاس وجامعة ابن يوسف فى مدينة مراكش تتساوى مع غيرها من الجامعات الدينية المثالية فى العالم .. ومن الفتيات المغربيات من يدرسن الحقوق ثم يسافرن الى فرنسا للالتحاق بجامعة السربون أو يدرسن فى المعهد التربوى العالى .. ليعملن بالتدريس وتعتبر السيدة ملكة الفاسى أديبة المغرب الأولى ويسمونها باحثة البادية رقم ٢ .

المرأة المغربية والاحساس الوطنى :

ان نهضة المرأة المغربية بدأت منذ نكبت بلاد المغرب بالغزو الاستعمارى . بدأت عن طريق المقاومة الوطنية ومشاركتها للرجل فى الدموع والعرق والدماء لتحرير البلاد وبرهنت خلال المحن التى مرت بوطنها على تقديرها لمسئولياتها فى الحياة . ويزدان تاريخ المغرب باسماء نساء كثيرات لعبن دورا هاما فى النضال الوطنى واشتركت فى المعارك التى دارت بين الوطنيين والفرنسيين فى جبال الأطلس .. وفى حرب الريف التى شنها الأمير المرحوم عبد الكريم الخطابى قامت بعضهن ، بالتجسس على الجيوش الاسبانية ونقلت أنباء تحركاتها الى مواطنها ، فلما اكتشفت أمرها طارت الى باريس واشتغلت بالأدب ونبغت

فيه وكانت لها دار أدبية يتردد عليه كبار المفكرين الأحرار .

المرأة المغربية ونظام الزواج :

لقد تم تغيير جوهرى فى نظام الزواج ووضع تشريع جديد بالنسبة لاجراءات الطلاق فى نهاية عام ١٩٥٧ ، ويعتبر هذا التغيير حدث هام فى تاريخ تقاليد الشرق الاسلامى .. فمجموعة القوانين هذه .. تستدعيها احتياجات العصر فى مجتمع حديث ودون أن تتوقف عن مسايرة العقائد الدينية . ومع القوانين الجديدة للأحوال الشخصية لم يعد الزواج يترك لراى أو لتعصب الأهل . لقد أصبح عقدا حقيقيا بين الزوجين نفسيهما .. فالقانون القديم الذى كان يعتمد على اجبار الأهل قد تغير الى ضرورة حماية وعى الأبناء بالزواج دون ضغط خارجى ..

ومن الآن فصاعدا فان حرية الاختيار هى التى ستحدد اتمام الزواج أو عدم اتمامه .. لقد كان الأهل لا يأخذون راى الزوجين والآن وفى حالة ما اذا رفض الطرفان ضغط الأهل فبامكانهما اللجوء الى القضاء لعدم اتمام الزواج .

كما قضى أيضا علي مساوىء الزواج المبكر .. فالحد الأدنى للزواج بالنسبة للزوجة ١٥ سنة و ١٨ سنة بالنسبة للزوج ـ وعلى أية حال فالدين الاسلامى اصلا لا يميل كثيرا الى نظام تعدد الزوجات ولا يعتبر ضروريا .. بل أنه نوع من التساهل عملت الدولة على تقييده بشروط عادلة لتتمشى مع الدين ـ والتنظيمات الجديدة للقانون تسمح للمراة ان تطالب بتسجيل عقد الزواج بشروط تسمح بايقاف الزواج اذا تم زواج جديد وأيضا اذا لم يكن هذا الشرط مسجلا فان الزوجة الأولى بمقدورها رفع دعوى ضد زوجها لالغاء الزواج فى حالة ما اذا لحقها ضرر من جراء زواجه الثانى ـ لهذا نظمت الحكومة اجراءات الطلاق .

ان المشرع ـ وهو يدخل هذه الاصلاحات ـ انما كان مدفوعا باهتمامه بوضع حد للتأويلات المخالفة للشريعة وبالذات تأكيدا للتطور الذى يجمع فى تناسق بين الزواج الناجح وتوازن الأسرة .

ومن المؤكد ان المرأة المغربية لم تحقق بعد كل آمالها ولكن تطورها يرجع الى تحرر البلد نفسه فقد وجدت مساندة قوية من الحكومة التى اعدت بعض المشروعات الأساسية وباتخاذها عدة مواقف فى صالح تطور المرأة بالمغرب .

الملك الضليل

الشاعر محمد علم الدين

قسما بربك ياسعود	ما أنت بالرجل الرشيد
قد كان يرجى أن تسير	بركب قائدنا المجيد
وتكون عونا للعروبة	ثم حربا لليهود
لكنما خاب الرجا	وكنت كالخصم اللدود
وطعنت فى اليمن الشها	مة والأخوة والعهود
ومددت بدرك بالرشا	وجلبت مرتزق الجنود
حرضتهم كى يدخلوا	«حرضا» فما عبروا الحدود
بل قد منوا بهزيمة	نكراء شاب بها الوليد

فارتد سهمك نحـــو نحـرك قاطعـا منه الوريد
«صنعاء» صارت كالعرين يهـاب من زار الأُسود
ماذا تريد من الرجـال الطاردين «بنى حميـد» ؟
أَتريد ارجـاع البلاد إلى التـأَخر والجمـود ؟
أَتريد تقطيـع الرقاب بلا محاكم أَو شهود ؟ !
أَتريد حرمـان البلاد من المزارع والحصيـد؟ !
ومن المدارس والمشافى والمصانع والحـديد ؟ !
أَتريد رد أئمـة حكموا ببأْسهم الشديد ؟ !
قوم جيـاع للكنوز ودائما هـل من مزيد
والشعب فى السجن الكبير يئن من ثقـل القيـود
والحـر يخـرج هائمـا فى كل واد كالشـريد
هل تحسب التاريخ يفعـل ما تشاء وما تريد ؟
حتميـة التاريخ « ملـك » الظالمين إلى خمـود
والشعب يحـكم نفسـه من بعـد تحطيم السدود

***

تالله عهـدك فى الفسـاد كعهـد عـاد أَو ثمود
ولأَنت حـاكم «مكـة» تبدو كشيطان مريـد
كدست فى القصـر المثات من الجوارى والعبيـد
وقطعت من سـرق الرغيـف ولقمـة العيش النكيد
وسـلبت ثروة أُمـة نكبت بعهـدك ياسعـود
وتركتهـا للجهـل والاملاق والمـرض المبيـد

وبرعت فى فن التـــــآ مر والخيـــانة كاليهـــود
ونسيت أن الله يمـــــــ حق كل جبـــار عنيـــد
إن كنت تحسب أن مـــا لك ســوف يعطيك الخلود
تشرى بـــه ذمم العبـــا د وتقطع الرحم الودود -
فاعلم بأنك صــــائر لمآل «قارون» الكنـــــود

***

أرأيت أخـــوتك الذيـــن تبرءُوا ممــــا تكيـــد ؟
رمـــوا الامـــارة خلفهم ووزارة الرجـــل الحقـــود
أرأيت احـــرار الجـــزيرة طـــائرين بلا وقـــــود
لم يرتضـــوا حمـــل السلا ح لقتـــل أبنـــاء الجـدود
جاءوا «لمصر» فانهـــا قلب العـــروبة والجهـــود
سنـــد التحـــرر والتحـــكم فى المصـــائر لا تحيـــد
أشبالهـــا فى كل قطـــــر طلعـــة الفجـــر الجـــديد

***

يامن حكمت عـــلى بـــلا د الطهـــر والشـــرف التليد
أيام حكمـــك مظلمـــــا ت كالليـــالى وهى ســـود
شعب «الحجـــاز» كمرجـــل يغلى ويقـــذف بالوعيـــد
ولقـــد دنا يوم الحســـا ب وانه عســـر شـــديد
سيكون عرشـــك طعمـــة للنار تحـــرق أوتبيـــد
ويزول ملكك ذو الخيـــا نة عن قريب لا بعيـــد
والشعب يرقص فرحـــة فذهـــاب عهـــدك يوم عيـــد

البرت هوبك
الذى أصبح
أحمد عبد الله رمضان
السويسرى

كنت هناك أشهد الدموع تتلألأ فى عينيه حينما نطق قائلا : أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .. وازددت يقينا بأن دين الاسلام هو دين السماحة والطهر والقداسة .. وأنه سينتشر وينتشر لأنه قوة نورانية تجذب الناس اليها من شتى البقاع .

لقد عشت لحظات مع الأخ أحمد .. عشت لحظات وأنا أرقب وجهه الذى امتلأ بالفرحة والسرور وهو يشهر اسلامه .. وفى الطريق بعد أن خرجنا من منزل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، حدثنى أحمد عن قصة اسلامه فقال : حضرت لزيارة القاهرة بدعوة من حكومة الجمهورية العربية المتحدة فانتهزت فرصة وجودى هنا لكى أشهر اسلامى .. فقد كنت أرتقب هذه اللحظة منذ أمد طويل لأننى قررت أن أعتنق الاسلام منذ ثلاثة أعوام ولكنى كنت أنتظر حتى تحين الفرصة فأشهره فى القاهرة حيث الأزهر الشريف منارة العلم والاسلام .. كنت أحلم بهذه اللحظة لأننى أعلم أن لحظة اشهار اسلامى هى ميلاد جديد بالنسبة لى .. ووصلنا الى الفندق وجلسنا هناك ليستعيد معى حياته .

كيف بدأت .. ؟ كيف اهتدى الى الاسلام ؟ .. فقال :

لقد ولدت يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٢٧ بمدينة فراى بورج بسويسرا وهناك ذهبت الى المدرسة ثم الى الكلية حيث درست اللغات اللاتينية والاغريقية والعبرية ثم رحل والدى الى برن عام ١٩٤٣ حيث أتممت دراستى وحصلت على البكالوريا الفرنسية سنة ١٩٤٧ وبعد ذلك التحقت بجامعة برن ودرست القانون والاقتصاد ، وحينما أتممت دراستى فى عام ١٩٥٦ اشتغلت بالتحرير فى هيئة الصحافة الاشتراكية الديمقراطية فى برن وهيئتنا الصحيفة هناك تشمل كثيرا من الأحزاب والنقابات الصحفية .. وأما عملها فهو كتابة مقالات يومية وأنا أقوم بالعمل فى الأسوشيتد برس والاذاعة وعدة صحف ومجلات أخرى وخلال هذا التحقت بالجيش وتدرجت فيه الى رتبة ملازم أول ولكننى عدت وتركت الجيش

للتفرغ للصحافة ومع هذا فلي ميل خاص لعلوم الفلسفة والدين والتاريخ وكتابة القصة القصيرة ..

هذا عن دراستي واعمالي واليك قصة تحولي عن ديني الى دين الاسلام وقبل هذا يجب ان تعلم انه ليس من السهل في سويسرا وفي البلاد المسيحية الاخرى أن يكون هناك المام بالاسلام .. بل جهل شامل به ، وتحامل عليه واساءه لفهم تعاليمه ، وهذا بالطبع يمنع الناس من معرفة الاسلام المعرفة الحقة والوقوف على ماله من قيم ومبادىء سامية وان كانت هناك بعض الكتب القليلة التي تدور حول هذا الدين وتحاول انصافه .. ولما كنت شغوفا بأمور العرب وسياستهم وتفهم الروابط التي تربطهم بدأت قصة اختياري للاسلام عام ١٩٥٤ أثناء ثورة الجزائر واستمرت حتى عام ١٩٥٦ مع العدوان الذي وقع على السويس ، وكرجل اشتراكي تجدني قد تأثرت كثيرا من الطريقة التي تعامل بها أوروبا الشعوب العربية ووجدت عندي الرغبة في معرفة وفهم لماذا تتبع أوروبا هذه السياسة الملتوية ؟ حتى يمكنني الدفاع عن العالم العربي بل والدعاية له والعمل على نشر الاسلام في بلدي عن طريق الصحافة التي أعمل فيها ، وفعلا قد اتجهت في الأيام الأخيرة الى السياسة العربية وتاريخ العرب والمجتمع العربي والاسلامي .. ولا بد لي من الاعتراف بأنني صدمت وتحيرت عندما قرأت القرآن لأول مرة ، فقد كانت لي نفس تجربة «جوته» ثم مع كثرة القراءة والتكرار بتفكر وامعان اندهشت واهتززت ثم أصبحت مسلوب الارادة .. واليوم تجدني أتأثر الى درجة انهمار الدموع من عيني عند قراءة مثل هذه السور .. النور . الضحى ، يس مريم ، وأهم من ذلك بكثير انه كان لدي لأول مرة في حياتي شعور ثم اقتناع بأن الله سبحانه وتعالى قد أنزل حقا هذا القرآن المكريم .. وهذا يرجع لعدة أسباب ..

*** الفكرة التي يعطينا اياها القرآن الكريم عن الله سبحانه وتعالى مطابقة للاله الذي كنت أبحث عنه منذ سنوات عديدة والذي آمنت به حتى قبل معرفتي للاسلام ..**

*** التعاليم الاسلامية القويمة التي تدعو للعقيدة الخالصة فهي تماثل ما انتهيت اليه في بحثي وهو ، أن الله سبحانه وتعالى قد كشف عن نفسه في جميع الاوقات ولكل الناس وأن رسله موسى وعيسى وغيرهما لم يدعو الى شيء سوى الاسلام وهو الخضوع لارادة واحده واله واحد ولهذا تجدني لا اقبل المذهب الذي يقول ان الرسل اسست كنائس كما يؤسس الشخص مصنعا أو شركة وانه لا يرجى للخارج عن ذلك خلاص .**

*** وهناك نقطة هامة لا يمكن اغفالها أو تجاهلها وهي أن تعاليم القرآن الكريم تحض على التسامح وتدعو اليه قال تعالى « ولو شاء الله لجعلكم امه واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » وقال جلت قدرته « لا اكراه في الدين » الى غير ذلك مما تتجلى فيه سماحة الاسلام ولم يحدث ان رأينا في تاريخ الأمة الاسلاميه تلك المظالم الدامية الجائرة التي تؤدي الى حرق الكفرة والسحرة وأيضا لم نشهد محاكم التفتيش ، وأما الانسانية الكاملة في تعاليم الاسلام فهي كثيرة وميسورة وحسبك ان القرآن الكريم بين وواضح وأحكامه واقعية ومبادئه رحبه وصادقة وقابلة للتكيف لكل الأمم وعند مختلف الأجناس في جميع أنحاء الأرض .**

*** نقطة أخرى أحب أن أضيفها فحينما تعمقت في قراءة القرآن اندهشت لعصرية القرآن في علاقته بالعلم ، ففي الاسلام لم يكن من المستحيل وجود مثل حادث « جاليليو » ، والتعاليم الاسلامية لم تعارض البحوث العلمية الحديثة ولم تقف في وجه متقتضيات العالم الحديث مثل تحديد النسل .**

هذا قليل من كثير لكنه كان دافعا قويا لاعتناقي الاسلام .. وعلى أية حال فأنا فخور وسعيد عندما أرى المسلمين اليوم مدركين لمسئولياتهم تجاه الاسلام بطريقة ثورية جديدة ، فالعبء لا شك يقع علينا جميعا في العمل جاهدين لرفع راية الاسلام في هذه الحياة المتغيرة وأمام تلك الرجعية المتقلبة والوهم المضلل ، وبذلك

يشع النور قويا خلابا فيعمى الأبصار الزائغة ويرفع الزيف والشك ويهدى الناس الى الطريق السوى والرحاب الواسع ٠٠ طريق الاسلام ورحاب القرآن ٠٠

وبعد أن فرغ الأخ أحمد عبد الله من سرد قصة اسلامه له ٠٠ **أننى أعلم انك تعمل فى ميدان الصحافة فهل سيكون هناك تأثير على عملك عندما تعود الى وطنك ويعرفون انك اعتنقت الاسلام ؟**

فأجاب قائلا : احب أن أقول لك أن الجميع يعلمون أننى مسلم حقيقة قبل حضورى الى القاهرة بل لقد أعلنت ذلك عدة مرات فى مقالات عديدة وقلت ان الاسلام هو الدين الذى يجب أن يعتنقه الجميع لأنه دين المحبة ٠٠ دين السلام ٠

وسوف أجند قلمى بعد الآن للدفاع عن الاسلام ٠٠ سأرد على الافتراءات الكاذبة التى يحاول الغربيون الصاقها بالاسلام ٠٠ سأجعل من قلمى هذا مشعلا يضىء الطريق لكل متخبط أو حائر ٠٠ سأكون أول من يكتب عن الاسلام حقيقة فى بلدى لأننى عرفته واقتنعت به ثم صمت الأخ أحمد قليلا وعقب قائلا : اننى فخور ببلدكم وبجهودكم ٠٠ انها أول مرة أحضر فيها الى هنا وقد دهشت حينما شاهدت هذه النهضة الجبارة التى حققها سيادة الرئيس جمال عبد الناصر فى عشر سنوات ٠٠ لقد زرت السد العالى وزرت المصانع العديدة ووقفت بنفسى على أعمال هذا العملاق ، وعندما أرجع الى بلدى سأكتب عن القاهرة ٠٠ عن نهضتها ٠٠ عن تقدمها فى شتى الميادين ، ثم سألت السيد أحمد عن سبب اختياره لاسم رمضان فابتسم ثم قال : انها مناسبة سعيدة أن يجىء اشهار اسلامى فى شهر الصيام المبارك ، لهذا سميت نفسى تيمنا بشهر رمضان ٠٠ واختتم حديثه معى بقوله : لقد زرت الأزهر الشريف ثم المجلس الأعلى للشئون الاسلامية وقد فرحت كثيراً بهذا النشاط الذى يقوم به المجلس فى الخارج ٠٠ ان هذه الكتب القيمة المطبوعة باللغة الانجليزية والتى تفضل السيد/محمد توفيق عويضة سكرتير عام المجلس باهدائها الى لهى خير عمل قام به المجلس ٠٠ اننا فى أشد الاحتياج الى هذه الكتب فى بلادنا لأنها توضح الاسلام وتشرح معانيه بأسلوب شيق يفهمه الجميع ، ولهذا فسأطلب المزيد من هذه الكتب لأوزعها على أصدقائى هناك ليعلموا أن الاسلام ما زال بخير كما أبعث بشكرى الى سيادة السكرتير العام على اهدائى المصحف المرتل أيضا ٠٠ هذا المصحف الذى سوف يسمعه لأول مرة اخوان لكم هناك فى سويسرا ٠

هذه قصة أخ مسلم جاء من سويسرا بحثا عن الحقيقة وجريا وراء العقيدة ٠ وهكذانرى أن الاسلام يغزو جميع القلوب ويتسلل الى سائر النفوس فى دعة وأمان لأنه دين الرحمة والهدى والمحبة والسلام ٠

أنت تسأل؟ .. والمفتي يجيب!

فضيلة الشيخ حسن مأمون

السؤال الأول :

ـ سؤال من السيد صالح حسن سعد من بلدة ابو بدوى مركز بيلا محافظة كفر الشيخ ويتضمن السؤال ان له .. ابن أخ تسبب فى وفاة والده بوضع السم فى طعامه وثبتت التهمة وقدم للمحاكمة وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة لمدة ٢٥ عاما وأن الأخ المقتول ترك ارثا عبارة عن قطعة أرض ومنزل ومن ورثته هذا الابن القاتل وابنتان وزوجته . فهل يحق لى الأرث فى هذه التركة أم لا ؟ علما بأنى شقيق المتوفى ولى أخ آخر توفى بعد مقتل أخيه فهل يحق لابنه ان يرث فى حق والده .

والجواب .

فهمت من السؤال أن الأخ السائل ابنا وضع السم فى طعام والده مما كان سببا فى وفاته وأن جريمته ثبتت أمام محكمة الجنايات المختصة التى حكمت عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة . وان أخ القتيل ترك ورثة هم الابن القاتل وبنتان له وزوجته . كما ترك شقيقه ـ السائل ـ وابن أخيه الشقيق الذى توفى والده بعد مقتل أخيه . فاذا صح مافهمته من السؤال ، وكانت هذه الوقائع صحيحة **فان ميراث القتيل يكون لزوجته بحق الثمن لوجود الفرع الوارث ـ البنتين ـ ولابنتى القتيل الثلثان فقط فرضا بالسوية بينهما ، والباقى بعد الثمن ، والثلثين من التركة يكون لأخوى ، المتوفى الشقيقين بالسوية بينهما تعصيبا ولاشىء من الميراث لابن القتيل لحرمانه من الميراث بالقتل العمد بغير حق لوضعه السم فى طعام والده . وماورثه الأخ الشقيق الثانى الذى ، توفى بعد وفاة القتيل يكون** ميراثا لورثته الموجودين وقت وفاته ومنهم ابنه ولايختص ابن الأخ الشقيق المتوفى الا فى حالة ماإذا لم يكن له وارث سواه وذلك لأن المادة الخامسة من قانون المواريث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ الذى تطبقه المحاكم للآن قد نص على أن من موانع الأرث قتل المورث عمدا سواء أكان القاتل فاعلا أصليا أم شريكا أم كان شاهد زور أدت شهادته الى الحكم بالاعدام وتنفيذه اذا كان القتل بلا حق ولاعذر وكان القاتل عاقلا بالغا من العمر خمسة عشر عاما ويعد من الأعذار ((تجاوز حق الدفاع الشرعى))

كما نصت المادة رقم ٢٤ من هذا القانون على ان المحروم من الارث بمانع من موانعه لايحجب أحدا من الورثة .

السؤال الثانى :

سؤال من الأخ مبارك محفوظ دهرى ، رئيس عام جمعية الأسعاف العربية (ممباسا ـ كينيا) وينص السؤال على أنه :

« هل يجوز شرعا أن تصرف الزكاة أو جانب منها لجمعية خيرية اجتماعية عامة تعمل على تقديم العون المشروع للمستحقين من المسلمين المعوذين أو المنكوبين والمصابين وذوى العاهات كالمسلولين وأبناء السبيل والأسر المعدمة والفقراء العاجزين من المتعلمين الى غير ذلك من أوجه الخير العامة للأمة . أفيدونا بما تقرره الشريعة المحمدية فى ذلك أجاركم الله والرجا التفصيل بالرد المفصل مع نشره بمجلة منبر الاسلام »

الجواب :

يبدو من الوقائع التى بينها السائل ومن الصورة المرفقة بهذا الخطاب والتى بينت ميزانية أموال الجمعية وأبواب الصرف التى تصرف فيها هذه الأموال ـ أن الجمعية التى يرأسها سيادته قد أنشئت لسد حاجة البلاد من ناحية رعاية الفقراء المسلمين والمرضى وطلبة العلم المحتاجين ونحو ذلك من شئون الخير والبر ، وأنها تعتمد فى القيام بمهمتها على معاونة القادرين من أهل البلاد وأنها فى حاجة الى مزيد من المال لتستكمل الأغراض التى أنشئت الجمعية من أجلها ولايسعنى بعد أن اطلعت على هذه البيانات الا أن أنوه بهذه الجمعية وأشجع القائمين عليها على المضى فى عملهم لخدمة مواطنيهم وان استحث همم أهل ممباسا وأهل كينيا على المساهمة فى التبرع لهذه الجمعية بكل مايقدون عليه من عون مادى، وأدبى ولبيان حكم جواز صرف الزكاة شرعا الى هذه الجمعية نقول ان الزكاة لغة : النماء تقول زكا يزكو زكاة بمعنى نما ، وسميت الزكاة التى فرضتها الشريعة الاسلامية بهذا الاسم لأنها تثمر المال وتنميه ويعرفها الفقهاء بأنها حق يجب فى المال ٠ وعند الحنفية تمليك جزء من مال عينه الشرع والزكاة أحد أركان الاسلام الخمسة وفرضت بالكتاب والسنه والاجماع ٠ أما الكتاب فقوله تعالى

« واقيموا الصلاة وآتو الزكاة واركعوا مع الراكعين » وقوله تعالى « وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » وغير ذلك من الآيات التى أمرت بأداء الزكاة

وأما السنة فقد ثبت ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث معاذا الى اليمن وقال له **اعلمهم أن الله سبحانه وتعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم** كما ثبتت فرضيتها بأحاديث صحيحة أخرى كثيرة مروية فى كتب السنه عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أجمع المسلمون فى جميع الأعصار على وجوبها واتفق الصحابة رضوان الله عليهم على قتال مانعيها ففى صحيح البخارى ، عن أبى هريرة قال : « **لما توفى النبى ـ صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر وكفر من كفر من العرب ٠ وقال عمر كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لااله الا الله ، فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه ، الا بحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله ماهو الا أن رأيت قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق »** وقد روى هذا الحديث أبو داود وفيه على لسان أبى بكر ، **والله لو منعونى عقالا قال أبو عبيدة على ما نقله ابن قدامة فى المغنى ٠**

العقال صدقة العام ، أما العناق كسحاب فهو الأنثى من أولاد الماعز كما جاء فى كتب اللغة ـ تراجع أمهات كتب الحنفية والجزء الثانى من كتاب المغنى والشرح الكبير لابن قدامه» والزكاة واجبه على من يملك نصابا حال عليه الحول فارغا عن دين له مطالب به من العباد وفارغا عن حوائجه الأصلية ٠ وأما مصارف الزكاة فقد بينتها الآية الكريمة رقم ٥٩ من سورة التوبة ٠ « **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم »**

والفقير من له أدنى شىء دون نصاب والمسكين من لاشىء له لقوله تعالى (**أو مسكينا ذامتربة**) والعامل على الزكاة الساعى لجمعها فيعطى من الزكاة بقدر عمله ولو كان غنيا لأنه فرغ نفسه لهذا العمل ، فاحتاج الى الكفاية فيكون أجره عمل له من وجه ولذلك يعطى له من الزكاة بقدر عمله . والمؤلفة قلوبهم جماعة من المسلمين حديثو الاسلام كانت تدفع لهم الزكاة تاليفا لقلوبهم وترغيبا فى البقاء على اسلامهم ٠ وكانوا يعطون الزكاة حال حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ٠ ويذهب كثير من الفقهاء الى أنهم سقطوا فى خلافة أبى بكر لما منعهم عمر رضى الله عنه ، وأقر هذا المنع جماعة

الصحابة ، ويقول ابن عابدين فى الجزء التالى من كتابه ٠ ان المؤلفة قلوبهم كانوا ثلاثة اقسام ، كفار كان عليه الصلاة والسلام يعطيهم ليتألفهم على الاسلام ٠ وكفار كان يعطيهم ليدفع شرهم والقسم الثالث قوم اسلموا وفيهم ضعف فى الاسلام فكان يتألفهم ليثبتوا وكان ذلك حكما مشروعا ثابتا بالنص ٠ وفى الرقاب هم الأرقاء يدفع اليهم من الزكاة ليكاتبوا الملاك ويحرروا رقابهم ٠ الغارمين : المدينون الذين لايجدون وفاء لديونهم ، وفى سبيل الله هم منقطع الغزاة اى الذين عجزوا عن اللحوق بجيش الاسلام لفقرهم بهلاك النفقة أو الدابة أو غيرهما فتحل لهم الصدقة وان كانوا كاسبين ، اذالكسب يقعدهم عن الجهاد ، وقيل منقطع الحاج وقيل طلبة العلم وفسره صاحب البدائع بجميع القرب فيدخل فيه كل من سعى فى طاعة الله وجميع سبل الخيرات اذا كان محتاجا وابن السبيل من له مال غير موجود معه ومنه مالو كان مالهمؤجلا أو على غائب أو معسر أو جاحد ، ولايجوز دفع الزكاة الا بالأصناف الثمانية التى سماها الله فى الآية ٠ ولذلك يقول الفقهاء انه لايجوز صرف الزكاة الى غير من ذكر الله تعالى من بناء المساجد والقناطر والسقايات واصلاح الطرق وتكفين الموتى والتوسعة على الأضياف ونقل عن انس والحسن ماأعطيت فى الجسور والطرق فهى صدقة ماضية ٠ وبعد ان نقل ابن قدامة فى كتابه هذين الرأيين قال والأول أصح لقوله **تعالى ((انما الصدقات للفقراء والمساكين))** ٠٠ الخ وانما للحصر والأثبات فيثبت المذكور وتبقى ماعداه ، ويدفع الى كل صنف من الأصناف المذكورة فى الآية ماتندفع بهحاجته من غير زيادة وان أعطى الزكاة كلها فى صنف واحد أجزأه ٠ وذهب الشافعى الى أنه يجب ان يقسم زكاة كل صنف من ماله على الموجود من الأصناف المذكورة فى الآية ، وأن يدفع حصة كل صنف منهم لثلاثة فأكثر فان لم يجد الا واحدا صارت حصة ذلك الصنف اليه ويستحب أن يرى ، الانسان بنفسه توزيع الزكاة ليكون متيقنا من وصولها الى أصحابها

وان دفعها الى السلطان أجزأه ٠ وقد استدل لذلك بقوله تعالى ((**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم)) الآية ١٠٣ من** سورة التوبة ولا خلاف فى جواز أخذ الامام الصدقة ومطالبة من وجبت عليه بها ٠ كما ان مطالبة أبى بكر مانعى الزكاة بها كانت لأنهم لم يؤدوها الى اهلها ولو أدوها الى اهلها لم يقاتلهم عليها لأنه مختلف فى اجزائه فلا تجوز المقاتلة من اجله ٠ وانما يطالب الامام بحكم النيابة والولاية عن مستحقيها فاذا دفعها صاحب الزكاة الى المستحقين جاز ووجه الفضيلة فى دفعها بنفسه ايصال الحق الى مستحقيه مع توفير أجر العمالة وصيانة حقهم مستحقيها من محاويج أقاربه وذوى رحمه من حظر الخيانة وتفريج كربة مستحقيها من الذين هم ادرى ، الناس بحاجته ٠

ومما تقدم يظهر أن للمذكى أن يدفع زكاة ماله لمن يستحقها بنفسه أو بوكيله كما يجوز له أن يعطى الزكاة للامام ٠الذى ، يقوم بالنيابة بصرف الزكاة للمستحقين ٠

ونظرا لأن الجمعية التى يرأسها السائل هى جمعية خيرية يشرف عليها هو وزملاؤه من أهل الخير والبر ويتولون توزيع الأموال التى يتبرع بها القادرون فى شراء أدوية للفقراء والمعوزين ومرضى السل وفى اعانة الطلبة الفقراء والعاجزين أو المصابين وغير ذلك من أعمال البر الواردة فى البيان ٠

فانه يجوز شرعا لمن وجبت عليه الزكاة فى ماله أن ينيب هذه الجمعية عنه فى صرف زكاة ماله لمن يستحقها ويجزيه ذلك ويخرج به من المسئولية أمام الله ٠ وينبغى على القائمين بشئون الجمعية أن يراعوا صرف أموال الجمعية الواردة من الزكاة لمن يستحقها من الأصناف الثمانية التى بينتها الآية وأن ينفقوا على وجوه البر الأخرى ، من تبرعات المتبرعين القادرين لامن الزكاة ، لأن دفع الزكاة لهم يلقى عليهم مسئولية صرفها الى مستحقيها ويخرج الدافعين من المسئولية والله اعلم ٠

مع القراء

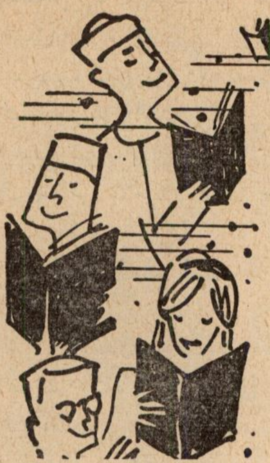

عزيزى القارىء : نحن نرحب بالنقد الهادف ونفتح له صدورنا لأننا نؤمن بأنه ضرورة قوية من ضرورات الخلق والبناء .. وطالما كانت الأغراض نبيلة والمقاصد سامية استطعنا الوصول الى الهدف بسهولة ، وبهذا يمكننا أن نعرف المعالم ونتبين الطريق حتى يشب هذا الجيل وهو متسلح بسلاح المعرفة والقوة والايمان :

شهر البر والصفاء :

السيد / السيد على ابراهيم ـ الجامعة الازهرية ـ ميت ميمون .. الجميزة غربية :

نعم ان شهر رمضان المبارك شهر الصفاء الروحى والسمو الخلقى والرياضة النفسية فهو يعلم الانسان الجود والصبر ويهذب النفس ويحلق بها فى آفاق نورانية كلها طهر ورحمة واخاء ومن أجل هذا كان من أزكى العبادات ..

ولقد أعجبنى ما جاء فى خطابك من قول لقمان الحكيم لابنه .. يا بنى : ((**اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة**)) .

شعب أصيل :

الاستاذ على محمد عبد الوهاب ـ معهد بنى مزار الدينى :

لا ينكر انسان أن شعب مصر عريق فى الأصالة نظرا لما له من مواقف بطولية رائعة وامجاد خالدة ، وكفاه فخرا أن يكون على رأسه اليوم ذلك البطل العملاق **السيد / الرئيس جمال عبد الناصر** .. وعن الابيات التى أرسلتها فالطريق أمامك طويل وعليك بالصبر والمثابرة وكثرة التحصيل .

امن وأمان :

السيد / عبد الباسط محمد القاضى ـ امام وخطيب معهد أبى العزائم بالسويس :

احساس جميل وشعور طيب ولكنى انصحك بترك النظم والانصراف الى النثر فلعله أجدى وأنفع لك ويمكنك أن تحقق فيه رغبتك وتمارس نشاطك بحرية وانطلاق .

صرخة صادقة :

الاستاذ محمد صدقى أحمد الحمراوى ـ معهد دسوق الدينى :

ان صرختك هذه صرخة قوية ومعبرة وصادقة .. فهى تعبر حقيقة عما يهز كيانك من أجل هؤلاء اللاجئين المشردين وتدل أيضا على ما سيكون لك من مستقبل زاهر فى عالم الشعر لا سيما وأنت الآن فى دور الاعداد والتكوين ولهذا تجدنى قد اخترت منها بعض أبيات ..

أنا ها هنا بين الجحور أعيش فى
عنت الخطوب وذلة الضعفاء
أنا يا أخى بين الصخور مشرد
الارض فرشى والسماء غطائى
وقد انبرى نحوى الجناة واكلهم
نزلوا بلادى بالمدى الحمراء

فاول المعتدين :

السيد / الشحات مطاوع ـ شركة مصر / حاوان للغزل والنسيج :

ان محاولتك لقرض الشعر محاولة محمودة ـ لا شك فى ذلك ـ ونحن نشكرك على هذا الجهد الكريم ، وطبعا أنت تعلم أن الشعب المصرى لن يكون لقمة سائغة لأى معتد أو غاصب فى يوم من الايام لاننا أمة حرة أبية تعرف مكانها تحت الشمس وتعرف أيضا كيف تزود عن كرامتها وحريتها مهما كلفها ذلك من جهد .

بريد التعارف

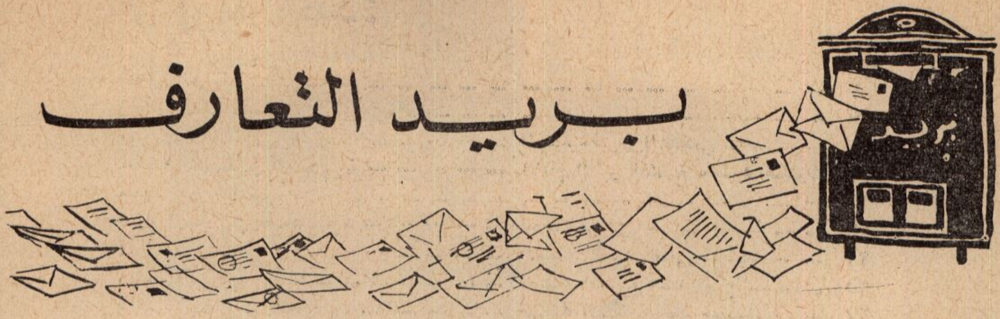

الاسم : متولى يوسف يوسف
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : كرة القدم والمراسلة
العنوان : البلامون . السنبلاوين . دقهلية

الاسم : محمد فتحى عبد الحليم
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب جامعى ٦٢ ش
الهواية : المراسلة والرحلات
العنوان : ٦٢ ش السيدة فاطمة بمحرم بك بالاسكندرية

الاسم : عبد اللطيف يونس يحيى
البلد : الجمهوريه العربيه المتحدة
١٧ سنة
السن : طالب بمدرسة
المهنة : الخديوية الثانوية ـ القاهرة
الهواية : قراءة الكتب الدينية والمراسلة
العنوان : الحلمية الجديدة ش السيد البيلاوى رقم ٨ القاهرة

الاسم : أحمد عبد الستار أحمد مخيمر
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب بمعهد المنصورة الدينى الثانوى
الهواية : قراءة الكتب الادبية والاطلاع الدينى ومراسلة الشباب المسلم
العنوان : نجير مركز دكرنس ـ دقهلية

الاسم : الحاج محمد حبيب القاضى جملاء
البلد : الفلبين
السن : ٢٧ سنة
المهنة : طالب بالجامعة الازهرية
الهواية : قراءة الكتب الدينية والثقافية والمراسلة مع شباب الدول العربيةوالاسلامية
العنوان : ٢٣ مدينة البعوث الاسلامية بالعباسية ـ القاهرة

الاسم : نبيل عبد القادر دياب
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب بمدرسة كفر الشيخ الثانوية
الهواية : كرة القدم ومراسلة الشباب المسلم
العنوان : مدرسة كفر الشيخ الثانوية بالسنة الثالثة

اقرأ فى هذا العدد :

		صفحة
معالم الطريق		٣
زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة		٧
نؤمن برباط روحى وثيق	السيد حسين الشافعى	٩
حقيقة العيد فى الاسلام	الامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت	١٢
حديث مع السفير		١٤
منهج الاسلام فى اعداد الفرد	أحمد هريدى	١٧
لا تضيقوا عليهن	الاستاذ أحمد لطفى السيد	٢٢
حرمة الانسانية	فضيلة الشيخ أحمد فرج السنهورى	٢٥
عوامل النجاح فى الحياة	فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى	٢٧
العلم بين الميثاق والشوقيات	الدكتور أحمد الحوفى	٣٢
عقوبة الحيوان والجماد	الدكتور على عبد الواحد وافى	٣٨
نحو الاخلاق	فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى	٤٢
دعوة الميثاق الوطنى	الأستاذ حسنى عبد المجيد	٤٥
لا تلهيهم تجارة	الاستاذ البهى الخولى	٤٨
الانسان فى القرآن	الدكتور أحمد الاهوانى	٥٣
جمال الدين الافغانى	الدكتور عثمان أمين	٥٨
الانفاق والتصدق	الاستاذة مفيدة عبد الرحمن	٦٢
قضية الجنوب العربى	الاستاذ عبد الله امام	٦٤
حديث مع الدكتورة سهير القلماوى		٦٩
الفقه الاسلامى	الدكتور محمد يوسف موسى	٧١
رسالة الجامعة	الدكتور عبد الحليم منتصر	٧٥
وصايا الآباء للابناء	الدكتور حسين نصار	٧٨
من آيات الله فى الكون	الدكتور حفنى شرف	٨١
الجهاد فى سبيل الله	الدكتور عبد العظيم شرف الدين	٨٥
زكاة الابدان	الدكتور عفيفى محمود	٨٨
مطالعات	الشيخ عبد العزيز الرفاعى	٩٠
ان الحق على لسان عمر	الشيخ عبد الله مصطفى المراغى	٩٣
القرآن والعلم الحديث	الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى	٩٧
خواطر مستشار	المستشار على على منصور	١٠٠
الزكوات والصدقات	الاستاذ حسن الشيخة	١٠٣
عيد سعيد	الدكتور عبد السلام سرحان	١٠٥
الاسلام قد أنصف المرأة	الاستاذ محمد عطية الابراشى	١٠٨
صفحات من التاريخ	الاستاذ عبد المنعم حمادة	١١١
جاهلية اسلامية	الأستاذ أحمد محمد بريرى	١١٧
ممالك اسلامية قديمة	الاستاذ عبده بدوى	١٢٠
المجاهرة بالحق	الاستاذ محمود لطفى عبد الكريم	١٢٤
ندوة الشهر	الاستاذ عبد الرحمن الشربينى	١٢٦
المسجد ومقوماته المعمارية	الدكتورة سعاد ماهر	١٣٠
أخبار سريعة		١٣٧
قصة العدد	الاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله	١٣٨
النور المحمدى « قصيدة »	الشاعر محمد محمد السباعى	١٤١
الاحتفال بذكرى لومومبا		١٤٥
شهيد الحرية « قصيدة »	الشاعر عبد الله شمس الدين	١٥١
الاحتفال بانتصار ثورة العراق	الاستاذ عبد العظيم ملوك	١٥٣
العيد فى الاسلام	الاستاذ عبد الفتاح راضى	١٦٣
تقدم الطب	الدكتور عمر شوقى	١٧١
عبد الله بن المبارك	الاستاذ محمد سيد جاد الحق	١٧٣
القرآن الكريم	الدكتور أحمد شلبى	١٧٦
من وحى الاتحاد الاشتراكى	الشاعر محمد ابراهيم طيرة	١٧٩
المرأة المسلمة		١٨٢
الملك الضليل « قصيدة »	الشاعر محمد علم الدين	١٨٥
لماذا أسلمت ؟		١٨٨
أنت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة الشيخ حسن مأمون	١٩١
مع القراء		١٩٤
بريد التعارف		١٩٥

المصحف المرتل

نظراً لكثرة الطلبات ونزولاً على رغبة السادة المواطنين
يسر المجلس أن يعلن عن بيع ..

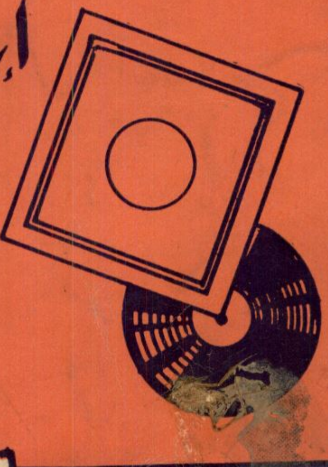

اسطوانات المصحف المرتل

وعددها ٤٤ اسطوانة بالأسعار الآتية

للأفراد :

	مليم	ج
النسخة الفاخرة	٧٩٦	٢٣
النسخة العادة	٣٢٢	١٩

والهيئات والجمعيات :

	مليم	ج
النسخة الفاخرة	٨٥٠	١٧
النسخة العادة	٤٩٥	١٤

مجموعة اسطوانات الصلاة

وتحتوى على ٧ اسطوانات
شاملة الآذان والوضوء
والصلوات الخمس

ثمنها ٥٨ قرشا

مقر البيع ٧٦ شارع الجمهورية ت ٧٢٧-٨

ترقبوا

في منتصف شهر رمضان سلسلتي

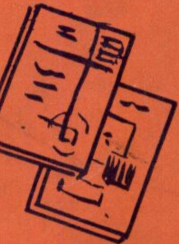

كتب إسلامية
١ الإسلام والتحرر الأفريقي
الأستاذ عبد السلام شحاتة

دراسات في الإسلام
من سير علمائنا المسلمين
الدكتور جمال الدين الرمادي

تضمن الحصول على مكتبة إسلامية جامعة بأقلام أساتذة متخصصين
يصدرها : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مطابع شركة الإعلانات الشرقية